سأظل أميرة

سأظل أميرة

رواية

أميرة حسن الكيكي

تصميم الغلاف: محمد دربالة

رقم الإيداع: 2019/8498

I.S.B.N:978- 977-6640-62-7

الطبعة الأولى 2019م

زين للنشر والتوزيع

الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر: د. رامي عبد الباقي

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com

Facebook: Zein Publish

جميع الحقوق محفوظة©

أميرة حسن الكيكي

سأظل أميرة

روايـة

اهداء

إلى روح أبي:

أعلم أنك تسمعني وإن كنت لا تراني

وكلّي يقين أنك تشعر بي وبمحبتي لك

فأنا من توجتها على العالم أميرة

الأن وقد حققت حلمك اهدي إليك روايتي

"سأظل أميرة"

إلى أمي:

دومتي لي ودام عطاؤك يا من وهبت لي الحياة

أهديكي عمري

إلى زوجي:

انصهرت روحك في روحي لتصبح روحًا واحدة أشكر لك مساندتك لي وحرصك على تحقيق حلمي

الخيانة إحساس قاتل مدمر

إحساسك بالخيانة هو الموت البطيء

هو السم الذي يتوغل في روحك ليقضي عليها

وأن يخونك من أحببت فهو العذاب

وأن خانك من لا تحب فهو أشد عذابا

فإن تتحمل الحياة مع من لا تحب فأنت تعيش في ألم يجعل حياتك غير سوية فدائما تشعر بالقهر فماذا أن زاد على قهرك خيانة من تتحمله مجبرا

ولكن ماذا إذا كنت أنت الخائن ؟

نعم ماذا إذا خنت ؟

هل ستفرق حينها خيانتك للحبيب أو لغيره !

فالخيانة هي الخيانة لا مبرر لها ولا شفيع

ولكني استعطفك فربما التمست لي عذرا لخيانتي ،فتمدني ببارقة أمل لأحيا من جديد، وربما تقسو علي ولكني أذكرك ألا يستأثر عقلك وحده بالتفكير فأرجوك اترك مساحة لقلبك ليكون شريكا لعقلك قبل أن تحكم على حياتي.

أميرة فتاة في الخامسة عشر، مصرية الملامح اكتسبت اللون المصري الجميل والشعر البني اللون المنسدل في تناغم وتناسق يداعبه نور الشمس فيكسبه البريق اللامع وأن غابت الشمس احتفظ ببريقه ولمعانه، وأن اختلفت العيون فاكتسبت اللون الأخضر الخلاب، ذات قوام ممشوق وثقة بلا حدود، فأميرة ترى جمالها وتستشعره في نظرات الإعجاب التي تطاردها في كل مكان.

فأميرة احتلت قلوب شباب الحارة كلها، ولكن قلبها حصن بلا أبواب.

تنطلق في الحارة لتنشر البهجة والسرور بين الشباب والغيرة والحسد بين الفتيات، الكل يراقبها منتظرا للفارس المغوار فاتح الحصن المغلق، وتعلو ضحكة أميرة كلما سمعت دعوات عجائز الحارة لها بالستر والزواج، فهي تعلم أنها دعوة للتخلص منها حتى تتيح الفرصة لباقي بنات الحارة للزواج، فكلما تقدم لإحدى الفتيات عريس أسرعت بلقائه خارج الحارة حتى لا يرى أميرة صدفة فتأسره بسحرها .

أما حبيبة والدة أميرة فتفتخر بجمال ابنتها بلا خوف من حسد فالحافظ هو الله والجمال نعمة ورزق تحمد ربها عليه ليل نهار، ولم تسعى حبيبة يوما لزواج ابنتها فهي تراها تستحق أعلى الشهادات ورسخت في وجدان أميرتها أن التعليم هو طريق الفلاح للخروج من الحارة والانطلاق في دنيا وعالم جديد، ولتحقيق حلم ابنتها وقفت متصدية لزوجها عبيد وولديها محسن ومحمود.

واستسلم عبيد أخيرا بعد ما حدث منذ شهر، فعبيد صاحب محل بقالة بسيط في مدخل الحارة أما محسن البكري ذو 22 عاما فهو الساعد الأيمن لوالده بعد أن اكتفى بدبلوم الصنايع، وخالفه في ذلك

محمود طالب كلية الحقوق الفرقة الثانية ورغم أنه في التعليم الجامعي إلا أنه يرى كما يرى والده أنه يجب أن تحجب أميرة بعد الإعدادية بالبيت حتى يأتيها النصيب.

فالنصيب يدق الباب يوميا وتصر حبيبة على الرفض حتى تقدم لأميرة سعيد ابن الحاج مسعود تاجر الأقمشة، وسعيد لم يكمل دراسته واكتفى بالابتدائية ويباشر أعمال والده التي تعدت التجارة للاستيراد فهو فرصة تتكالب عليها فتيات الحي، إلا أميرة التي أثارت جنونه بتجاهلها له فقرر أن يأسرها بالحلال، وبطبيعة الحال وافق عبيد قبل أن يشور زوجته أو حتى ابنته.

وعاد عبيد طائرا إلى البيت حاملا البشارة لزوجته وما أن فتح الباب ليجد حبيبة تجلس أمامه تمسك "مقوارا" تغرسه في قلب ثمرة الكوسة وتلفه لتنتزع أحشاءها وهي تغني أغنيتها المفضلة:

. يا وابور قولي رايح على فين

أسرع عبيد من خلفها ودغدغ وسطها وهو يردد

. على الجنة ونعيمها

قفزت حبيبة في دلع وعاتبته بدلال الأنثى

. اخص عليك يا بيدو خضتني كده خلتني أكسر الكوسة

اقترب عبيد وقبل رقبتها وهو يحتضنها وداعبها

. اخص عليا ألف مرة وسلامتك من الخضة يا أم الأميرة

ضحكت بدلالها

. حاسب يا راجل كده أحسن البت تصحي فجأة

اعتدل عبيد واتخذ مظهر الجدية وصاح

. وهي لسه نايمة ده إحنا قربنا على العصر

مصت حبيبة شفتها وعاتبته

. الله وماله عصر عصر براحتها يا راجل

استسلم عبيد لدلالها وتراجع عن جديته وقال

. هو أنا قولت حاجة أنا بس عايزها تساعدك في المطبخ وبرضه تتعلم حاجة تنفعها لجوازها

رمت حبيبة المقوار بغضب وصاحت

. ليه العكننة دي بقى ما قلنا السيرة دي بتعصبني يا راجل

حاول أن يهدئها فالبداية لا تبشر بالخير فقال

. طيب اهدي بس كده يا حبوبتي أنا نفسي أفهم بس إشمعنى أنتي عن ستات الحارة اللي بتكرهي سيرة الجواز كده

نظرت له بدلال وتلوت في مجلسها حتى أثارته وهي تقول

. مين قالك يا راجل أني بكره الجواز ولا سيرته هو في أحلى من الجواز

كبر عبيد وصاح مهللا وخلع قبعته ورماها أرضا وجذب مقعد ليجلس ملتصقا بحبيبة وصاح

. حبوبو حبيبة قلبي وأدي قعدة أهي

نظرتها ذات الدلال تؤثر قلبه وتجعله يبيع الغالي والنفيس لأجلها، ولكن الغالي لا يدخل في إطاره سعيد مسعود أبدا وعبيد على يقين بأنه كان لا يملك ميزة الرفض وماذا الآن بعد أن أعلن موافقته وحدد موعد مساء الخميس القادم للزيارة.

أصبح الآن الأمر شبه مؤكد ولزاما على حبيبة الموافقة ولكن ما السبيل لإجبارها على الموافقة،

شعرت حبيبة أن هناك ما يخفيه عبيد فنظرت له وقالت بجدية

. جرى أيه يا عبيد ما تجيب من الآخر كده يا خويا وتقول في أيه

تنحنح عبيد ليستجمع قوته فقال بكل حسم وقوة

. الخميس الجاي قراية فاتحة أميرة على سعيد مسعود

انتفضت حبيبة من مجلسها ورمت ما بيدها وصاحت

. نعم نعم سمعني كده من تاني لا وحياة أمك الغالية ما يحصل ولا يكون، أنت بتستعبط يا راجل وجاي تتمحك وتتلزق فاكر هتاكل بعقلي حلاوة لا والنبي ما هيحصل إلا اللي في دماغي يا عبيد يا ابن ستيتة وأنا قلت أهو.

استمع لها عبيد حتى انتهت ثم تقدم بكل هدوء وأمسك ساعدها ولواه خلف ظهرها حتى كاد أن يكسره واقترب من أذنها وقال بحسم.

. خلصتي قلة أدب وطولة لسان، طيب اسمعي بقى يا بنت شوقي، الخميس الجاي قراية فاتحة بنتك ،هتحضريها خير وبركة وهتفرحي يا أم العروسة هتتلوي وتصممي على اللي في دماغك، يبقى هشحنك على بيت أهلك، والمأذون اللي هيجوز بنتك هيطلقك فوق البيعة، وده آخر كلام عندي وكلمة زيادة هكسر نافوخك واللي يشددلك.

أدركت حبيبة أن الأمر انتهى، فعبيد رغم طيبته الشديدة إلا أنه إذا أقسم أو أصر فلا رادع له، وعبيد لم يصل لهذه المرحلة إلا بعد أن فرغ صبره فهو يوميا يرفض عريسا من أهل الحارة والحارات المجاورة أو من له أقارب بالحارة، وعليها أن تفكر في خطة لجعل سعيد هو من يقرر عدم عقد الخطبة.

وما أن خرج عبيد بعد أن هدد وتوعد حتى فتحت أميرة باب حجرتها وأسرعت تطمئن على أمها التي سألتها:

. أنتي صحيتي؟

أجابتها وهي تتفحصها وقد أوشكت على البكاء

. من زمان يا ماما

احتضنتها بحنان وربتت على ظهرها وهي تقول

. مالك مخضوضة كده ليه

رفعت رأسها وسألتها

. هو صحيح بابا هيخطبني لسعيد، ده معاه ابتدائية يا ماما ولا يمكن هيخليني أكمل تعليمي

هزت الأم رأسها وهي شاردة ونظرت لها أميرة مستفسرة ولسان حالها يسأل هل سنستسلم، وفهمت الأم مقصد نظرات أميرة فضمتها وقالت بإصرار

. هو مش خطبك إحنا بقى هنكره في حياته ونخليه هو اللي يفسخ الخطوبة

. ولو مفسخهاش

ابتسمت حبيبة وقالت:

. يبقى خلاص حكم على نفسه يبقى خاتم في صباعي وصباعك طول العمر، المهم تفتحي دماغك معايا واللي هقولوا تنفذيه بالظبط

ومضت أيام الأسبوع ببطئ، وحبيبة لا تخاطب عبيد، وانتقلت لغرفة أميرة، وأصر عبيد على عدم صلحها حتى يمضي يوم الخميس على خير.

وفي صباح الأربعاء عاد عبيد حاملا ثوبا جديدا لاميره لترتديه في الغد وناداها وأخرج الثوب، أمسكته أميرة بلا مبالاة وتركته وهو ما زال بيد والدها فسألها :

. أيه الفستان ماعجبكيش؟

نظرت له بحزن وقالت:

. والله كويس أن حضرتك سألتني رأي في الفستان، ده حضرتك مكلفتش نفسك وسألتني رأي في العريس اللي هترميني له

رمي عبيد الفستان على الأريكة واقترب من أميرة وظنت أنه سيضربها فتراجعت خطوة، إلا أنه أمسك بها من ذراعيها وقال

. أنا أرميكي، مين اللي قالك كده

ازدردت ريقها وقالت:

. ما حدش قالي حاجة بس هو حضرتك أخدت رأي، لا سألتني موافقة ولا لأ

حاول عبيد الدفاع عن نفسه فقال:

. وهو أنا هختارلك عريس أي كلام!

حاولت أميرة التملص من يديه فلم تقدر فقالت مستسلمة

. ومسألتنيش ليه ؟

. وهو أنتي هترفضي حاجة اخترتهالك وأنا عارف أنها مناسبة ليكي

خرجت حبيبة التي كانت تستمع للحوار وقد نفد صبرها فصاحت به

. كويس أوي أنك عارف أن عريس الغفلة حاجة، وحاجة ما لهاش عازة وجاهل وابن أمه وهي اللي ممشياه وأنت جاي عامل فيها بريء وأنت بترمي بنتك الرمية السودا دى

نظر عبيد لأميرة ليجد دموعها وقد سالت فشعر بالغضب من حبيبة وحاول أن يدافع عن نفسه

. أنا اخترت لبنتي زينة شباب الحارة

. بس جاهل وابن أمه

. هي تقدر تبعده عنها

. إزاي وهو هيتجوز معاها

. مش معاها في شقة تانية

. بس في نفس العمارة

نفد صبر عبيد فصرخ

. أنتي عايزة إيه؟

أدركت أنها على وشك هزيمته فقالت بحسم

. أنا مش عايزة، أنت اللي بتبيع بنتك علشان تبقى خدامة لمسعود ومراته وبناته كمان وأنت عارف ده كويس قوي، وشايف دلال سلفتها عاملة فيها أيه، ايش حال بقى دي هتبقى مرات ابنها الحيلة، شوف هتعمل أيه فيها.

جز عبيد على أسنانه، فكيف غابت عنه هذه الحقيقة ولكن ما العمل الآن فلا يمكنه التراجع عن كلمته، ثم ما بال تلك المرأة ألم يكن بإمكانها لفت انتباهه قبل ذلك؟ وعاد وتذكر كيف رفضت وثارت ولكنها دائمة الرفض في كل الأحوال؟ فكيف له أن يدرك أنها في هذه المرة محقة؟ وكيف يتخلص من ارتباطه بمسعود؟ أنه يخجل أن يصرح بأنه لا طاقة ولا قدرة له لمعاداة مسعود.

واستشعرت حبيبة معاناته وأنه تأكد من صواب رأيها، فاستغلت الفرصة وقررت أن تمتلك زمام الأمور، وتقدم له الحل، فاقتربت منه

حتى كادت أن تحضنه وهمست في أذنه حتى ترفع عنه الخجل أمام أميرة وقالت:

. أنا عارفة أنك واثق أن كلامي صح وعارفة برضه أنه صعب عليك ترجع في كلامك بس أنا عندي الحل

استنجد عبيد بها فأسرعت تقول :

. سيبني أنا عليهم وأنت يا خويا بعيد، بس هتقول اللي هقولك عليه وبس

نظر لها محذرا ففهمت أنه يخشى أن تصغره أمام الحاضرين فأسرعت تطمئنه

. عيب يا بودي هو أنا ممكن أصغرك ولا أقلل قيمتك قدام حد، لا والنبي يا خويا ده لو جت علي أني أجوزها هجوزها واستعوض ربنا فيها

***

2

جلس عبيد وولداه في انتظار سعيد وأسرته حسب المتفق بينهم على الحضور في السابعة، وتجاوزت الساعة الثامنة والنصف، زفر محمود غضبا وصاح

. أيه قلة الذوق دي هي البداية كده استهتار وقلة قيمة

حاول محسن تهدئته فقال بسخرية

. عريس بقى ولازم يسوق دلاله

ولم ينتبه محسن إلى أنه آثار حنق محمود أكثر فصاح

. دلال مين ابن بتاع القماش، بس هقول أيه الغلط من عندنا

واتجه بنظره لوالده واستطرد

. ما كنش المفروض توافق على طول كده يا بابا الواد افتكر نفسه أمله

خرجت حبيبة لتشاركهم الحوار فقالت مهددة

. أمله على مين هو يطول يتجوز الأميرة، اصبروا عليا بس لما يجوا وأنا هعرفهم قيمتهم، بس أنا بقولك أهو منك له

وأشارت لولديها

. ما حدش يقاوحني ولا يقاوح أبوكم في اللي هيتقال وأوعى حد ينادي أميرة ولا يخليها تخرج من الأوضة

صاح محسن بفزع

. ليه هى أميرة مش هتقعد معانا

احتدت حبيبة وصاحت

. عجيبة أنت عايز الأميرة تقعد كده وسط الحوش دول ولا تكونش فاكر أختك زي أي بنت عادية، لا يا بابا بنتي متعلمة ولسه هتكمل علامها.

نظر محسن متعجبا إلى والده وشقيقه فكيف ستكمل تعليمها واليوم سترتبط بسعيد، بينما ابتسم محمود سعيدا فهو الذي أصر أن تكتفي أخته بالإعدادية، سيصبح اليوم نصيرها لإكمال دراستها، رغبة منه في تلقين سعيد وأسرته درسا فهز رأسه بسعادة ليؤكد لوالدته تأييده لها، بينما فاض كيل محسن فصاح

. حد يفهمني هتكمل علام إزاي

ردت حبيبة

. الغاوي يا حبيبي ينقط بطاقيته واللي عايز بنتنا يرضى بشروطنا

ولم تكد تنهي جملتها حتى دق جرس الباب معلنا قدوم الضيوف، منعت حبيبة ولديها من فتح الباب وأصرت أن تكون هي المستقبلة للضيوف، وبالفعل فتحت لتجد أمامها زينب والدة سعيد الذي يقف خلفها، أبدت حبيبة تعجبها وكأنها فوجئت بالزيارة، فتعجبت زينب وسعيد الذي أسرع قائلا

. إحنا جينا حسب الميعاد معلش أتأخرنا شوية على بابا ما رجع من الدكان وهو طالع ورايا أهو

هزت حبيبة رأسها في حيرة وقالت وهي تدعي التوتر وعدم الفهم

. ميعاد أيه

مصت زينب شفتيها وقالت:

. جري أيه يا أم العروسة

ضربت حبيبة جبينها بكف يدها وصاحت وهي تفسح الطريق للدخول

. يا خرابي نسيت لا مؤاخذة يا أختي أصل كان عندي حاجات مهمة خلتني أتوه وأنسى

لوت زينب شفتيها وهي تدلف للداخل وتقول بتهكم

. هو في حاجة أهم من قراية فتحة بنتك

ضحكت حبيبة بسخرية

. يا ختي الفاتحة بنقرأها كل صلاة

كانت حبيبة تبغي أن تؤكد لسعيد ووالدته عدم مبالاتهم بالأمر فتفقده الثقة بنفسه، وبالفعل توتر سعيد بينما وقف محمود ومحسن لاستقباله ووصل الحاج مسعود وبعد التحية والسلام طلب مسعود يد أميرة.

نظر عبيد لزوجته التي هزت رأسها له لينفذ ما تم الاتفاق عليه، وبالفعل تنحنح مسعود قليلا ثم قال

. أنا هلاقي لبنتي أحسن من سعيد ده ابننا

ولم تمنحه زينب الفرصة فأسرعت تقول بحماس

. وأنا هحطها في عينية وأكلها وأشربها، هيبقى معايا وشقتها مفروشة من مجاميعه

نظرت حبيبة لعبيد نظرة المنتصر فلقد ثبت صدق ظنها وشعر عبيد بالخطر على ابنته فصاح بسرعة

. بس أنا عندي مشكلة حلها في إيدك يا سعيد

نظر سعيد بقلق وسأله ماهى المشكلة فقال عبيد بإصرار

. أنا وعدت أميرة أنها هتكمل تعليمها للجامعة

لوت زينب شفتيها امتعاضا وقال مسعود

. ولازمته أيه العلام مالوش عازة البت هتتجوز وتروح بيتها

نظرت حبيبة أرضا وقالت بحزن

. آدي الله وآدي حكمته، بس الوعد وعد وكلمة أبو محسن ما يقدرش يرجع فيها،

تململت زينب في جلستها وقالت بتهكم

. ولما هو كده يا ختي إدى كلمة للحاج مسعود ليه

تململت حبيبة بنفس حركة زينب وقالت بنفس اللهجة

. الغاوي يا حبيبتي ينقط بطاقيته واللي عايز بنتنا يرضى بشرطنا

أطلقت زينب ضحكة ساخرة وقالتك

. غاوي.. هو مين اللي غاوي ده يا عينية.. وبعدين لسه هيقعد 3 سنين على ما تخلص

وعلي نفس الوتيرة وبعد أن ضحكت كضحكة زينب قالت بنفس السخرية

. لا وغلاوتك دول سبع سنين ما هو لسه الجامعة، ده لو مدخلتش طب ولا هندسة

أسرع عبيد يقاطعها فالأمر هكذا أصبح مكشوفا، أنه يريد الرفض وهو يتجنب إثارة غضب مسعود قدر طاقته، فأمسك زمام الحديث وقال بسرعة

. لا طبعا هما تلات سنين ثانوي بس، والجامعة تكملها وهي في بيت جوزها

ورغم اعتراض حبيبة إلا أنها حركت رأسها في حركة ساخرة إعلانا عن تأييدها وهي تردد

. آه طبعا آه

كادت زينب أن تفقد هدوءها وهى تقول:

. وهي النبي حارسها هتراعي جوزها وبيتها وتراعيني ولا تشوف مذاكرتها وجامعتها؟

نظرت حبيبة نظرة السعادة والانتصار لعبيد فكل الأحداث تؤكد أنها على صواب وأسرعت تحدث مسعود مباشرة

. إلا قولي يا حاج هو أنت عايز بنتي لابنك تبقى مراته وست بيته ولا علشان تخدم المدام بتاعتك

توترت زينب لنظرة مسعود الغاضبة والذي أسرع يجيب

. لا طبعا هي مالها ومال زينب، مراتي عندها بناتها يخدموها ولما يتجوزوا أجيبلها بدل الخدامة اتنين

اعتدلت حبيبة في جلستها وقالت

. أيوة طمنتني يا خويا أهو خدامة من الاتنين تبقى تخدم أميرة أصلها مش وش بهدلة

ونظرت لزينب وقالت

. ولا ليكي عليا يمين، حتى كوباية الشاي مابتعملهاش، أصل أميرة دي غالية علينا قوي

مصت زينب شفتيها تهكما وحركت يديها تعبيرا عن الحسرة والخيبة وقالت متهكمة

. يا حلاوة يا حلاوة على بنات اليوم

وبحركة استفزازية مضغت حبيبة قطعة من العلكة ألقتها في فمها في غفلة من الحاضرين وقالت

. وهو أنتي يا ست زينب علمتي بناتك الاتنين شغل البيت والطبيخ

نظرت لها زينب احتقارا وقالت

. فشر بناتي يا ختي هوانم ولاد ناس

وصلت حبيبة لمبتغاها أخيرا بعد أن كادت أن تيأس فقفزت وقلبها يرقص بسعادة

. نعم نعم نعم إذا كان بناتك يا ختي ولاد ناس فأنا بنتي أميرة، فاهمة يعني أيه، وست الحارة دي كلها فاقعدي معوج واتكلمي عدل

ارتبك الحاضرون من الرجال، وشعر سعيد بالحيرة والغضب من والدته التي تفسد عليه خطبته رغم أن الواضح للجميع أن طلبه سيرفض، ولكن سعيد أرجع ذلك لحدة وكبرياء أمه.

وأخطأت أميرة خطأها الأكبر عندما فتحت الباب بسرعة وخرجت دون أن تستدعيها حبيبة فقد ظنت أن الأمر تطور لمعركة، وبخروجها طل القمر فغابت كل الغيوم وتلجم سعيد منبهرا بجمالها، وشعرت زينب بالغيرة والحسد لجمال أضناه القدر عن بناتها، وردد مسعود بسعادة وسرور

. تبارك الله.. تبارك الله أحسن الخالقين

ونظر لعبيد وقال سريعا

. إحنا موافقين نخطب السنة دي والجواز بعد 3 سنين وتكمل كليتها في بيت جوزها

شعرت حبيبة بالدوار وكادت أن تسقط أرضا لولا أن أمسك بها عبيد وألقاها لابنه محمود وهو مقهور، ليمد يده مصافحا لمسعود وتقرأ الفاتحة.

عادت زينب وقد اشتعل قلبها غضبا وحقدا على أميرة وأمها وألقت حقيبتها على الفراش والتفتت بغضب إلى مسعود وصرخت في وجهه

. أيه اللي أنت عملته ده؟

لم يفهم مسعود ما الخطأ الذي ارتكبه فأسرع يسأل

. إيه عملت إيه؟

زفرت بغضب

. أنت ما شوفتش البت حلوة إزاي!

ضحك مسعود وضرب كفا بكف وهو يتهكم

. لا حول ولا قوة إلا بالله.. هه وبعدين

اختنقت زينب وكادت أن تبكي غضبا

. أنت إيه.. البعيد ما بيفهمش

نظر لها متحيرا فأسرعت توضح

. أنت يا راجل عندك بنتين أكبر منها، ما فكرتش خطيب بنتك ولاء لما يشوف الزفتة دي هيفكر إزاي في بنتك، ولا سهام مين اللي هيبص لها والبلوة دي موجودة

ولأن مسعود رجل فلم يفهم أن نار الغيرة والحسد هي التي تتحكم في زينب في هذه اللحظة ولكنه سألها بحيرة

. طيب ما أنتي عارفة من الأول أن البنت حلوة مارفضتيش ليه من الأول

كادت أن تصرخ

. أنا ماشفتهاش من سنين السنين ولا عمري تخيلتها بالشكل ده.. لا يا مسعود أنا لا يمكن أقهر بناتي أبدا

لم يستمع مسعود فالأمر بات منتهيا وعليها تدبر أمرها وبناتها، وهو على غير اقتناع أن هناك علاقة بين خطبة ابنه لأميرة وبناته من أي ناحية، فولاء خطبت وهل يتجرأ أشرف خطيبها على النظر لعروسة سعيد، لا هذا من المستحيلات، لم يكترث مسعود وقرر المضي قدما في إتمام الخطبة، التي تقرر لها أول الشهر التالي أي بعد أسبوعين، وسعيد يسبح في الفضاء يحلم بعروسه الأميرة.

***

استسلمت حبيبة وصبرت أميرة التي تتبع أمها إلى الآن، فتحب إن أحبت أمها وقبلت، وترفض إن رفضت أمها، وتستسلم أن استسلمت أمها، والآن الأم تخطط لامتلاك سعيد إن كان قد كتب عليها إتمام الخطبة فلابد أن يظل سعيد الفتى المطيع وستحارب الكون بمجراته لتكمل أميرتها تعليمها العالي مهما تكن العواقب.

اتصل سعيد بعبيد ليستأذن في اصطحاب أميرة وحبيبة لشراء الشبكة، واستعدت أميرة وتزينت فهي الآن في مرحلة إبهار سعيد وامتلاكه بعد أن فشلت خطة حبيبة الأولى لفسخ الخطبة.

وصل سعيد وما أن رأى أميرة حتى تمنى لو ركع على قدميه أمام هذا الجمال ، واصطحبهما ليمر في الطريق الى بيته لاصطحاب أمه، فزينب أبت أن تذهب لبيت أميرة ، ووصل سعيد واستأذن في الصعود لإحضار والدته، فهذا كان هدف زينب أن يرى الجميع أميرة الحارة تقف هى ووالدتها في الطريق انتظارا لها، حاولت زينب أن تؤخر نفسها حتى تطول فترة انتظار أميرة وحبيبة أمام الجميع ولكن ما لم تخطط له ولم تتوقعه هو عودة ولاء وخطيبها من نزهتهم مبكرا لتلتقي ولاء بأميرة فتلقي التحية وتحاول أن تمر سريعا دون أن تلفت نظر أشرف لأميرة، إلا أن حبيبة نادت ولاء وقالت متهكمة

. جري أيه يا ولاء معدية كده يا ختي ولا كأننا نسايب ولا باركتي حتى لأميرة

شعرت ولاء بالحرج ونظرت لأشرف الذي ركز نظره على الفاتنة التي أمامه فتمنت ولاء أن تلطم أميرة وحبيبة وأسرعت لمصافحتهما لتنهي اللقاء سريعا ولكن حبيبة أمسكت بيدها فمنعتها من الفرار وسألتها

. خطيبك ده يا لولو

أصبح لزاما على ولاء أن يتم التعارف، ولم يكن أشرف بحاجة إلى أن تدعوه للتعارف فلقد أسرع وانتزع يد حبيبة محررا يد ولاء وأمسك يد حبيبة وقال بحماس

. أيوة حضرتك أنا أشرف خطيب ولاء وحضرتك

ضحكت حبيبة فأشرف كان يكلمها ونظره مثبت على أميرة التي كانت تنظر للفراغ غير مبالية بما يدور ولكنها سمعت حبيبة تقول

. أنا حماة سعيد يا خويا ودي أميرة بنتي عروسته

ترك أشرف يد حبيبة ومد يده مصافحا لأميره في لحظة نزول زينب التي ما أن رأت أشرف حتى هرعت اليه منادية

. أشرف

انتفض اشرف وارتبك وسحب يده في تردد والتفت لزينب ملبيا، التي استطردت

. أيه اللي رجعكم بدري كده يا حبيبي؟

مسح أشرف قطرات العرق المتجمعة فوق جبينه وقال متلعثما

. ولاء جالها صداع ومشيت.. قصدي صدعت وقالت لي إنها عايزة تروح

وبقلب الأم والأنثى أدركت زينب أن المحظور قد حدث وأصبحت ابنتها في خطر رغم أن أميرة كانت تقف في لا مبالاة ولا أدنى اهتمام، وبسرعة أمرت زينب أشرف وولاء بالصعود للمنزل، وجذبت أميرة من يدها وكادت

أن تجرها جرا ورحلت، وقد عزمت أن تنهي هذه الخطبة بأي طريقة، فجرح قلب سعيد أفضل من أن تجرح ابنتها بوجود اميرة بينهم.

حولت زينب أيام مسعود للجحيم فظلت تلومه على فعلته وتؤنبه وتقص عليه ما رأته بعينيها من انهيار أشرف بأميرة، حتي فكر مسعود في فسخ الخطبة ليستريح فقط من لومها اليومي له، وحسم الأمر عندما طلبت ولاء من أشرف اصطحابها لشراء فستان لحضور خطبة سعيد وأثناء جلوسه انتظارا لخروج مسعود من حجرته لاستئذانه سألت ولاء أشرف بدلال

. أيه رأيك يا أشرف أجيب لون الفستان أيه

وبدون وعي أو أدنى لحظة تفكير اندفع أشرف قائلا:

. هي أميرة لون فستانها إيه:

أصيبت ولاء بالصدمة والذهول وتسارعت أنفاسها وصاحت

. وأنت مالك بلون فستانها!

لم ينتبه أشرف لخطئه فواصل

. على رأيك.. وبعدين اللي زي دى أي لون هيليق عليها

هنا نفذ صبر ولاء فصرخت وهي تمسك رأسها ، ففزع أشرف واندفع مسعود وزينب للخارج وتسأل مسعود ما الأمر هز أشرف كتفيه فهو لا يعرف ما خطبها إلا أن ولاء أسرعت تصرخ باكية

. الأستاذ بيتغزل في جمال أميرة هانم قدامي

حاول أشرف أن يبرئ نفسه فصرخ

. أبدا والله يا عمي ما حصلش

فصرخت ولاء وهى تبكى وقصت على والدها ما حدث، ربت عليها مسعود واحتضنها وطلب منها الهدوء ثم نظر لأشرف وطلب منه

مصالحتها ولم يبخل أشرف بالاعتذار لها حتى ينهي هذا الموقف قبل عودة سعيد، فماذا سيكون موقفه أمام سعيد أن علم بالأمر.

وبدا أن الموقف انتهى ولكن في حقيقة الأمر لم ينتهي بعد فلقد تأكد مسعود الآن أن زوجته زينب على حق، وإن أراد الاطمئنان على ابنتيه فعليه ألا يقبل بأميرة في أسرته ولكن كيف السبيل لإقناع سعيد بهذا الأمر.

وبعد تفكير قرر مسعود مواجهة عبيد برغبته في عدم إتمام الخطبة واتجه لبيت عبيد وقد قرر أن يهدده ليرحل عن الحارة بل المدينة كلها مستغلا نفوذه وقوته، وبعد أن استجمع قوته قالها بحسم وعبيد وحبيبة أمامه في حيرة من أمره وكانت المفاجأة الصادمة له أن حبيبة ما أن سمعت رغبته حتى قفزت من مقعدها لتطلق زغاريد الفرحة، أصيب عبيد بالخجل وأصيب مسعود بالذهول فأسرع عبيد موضحا أنه وافق على الخطبة خجلا من مسعود وأخبره إصرار حبيبة على ألا تخطب ابنتها إلا بعد التحاقها بالجامعة، وهكذا اتفقت الرغبتان وأصبح سعيد هو المشكلة إلا أن حبيبة قالت حلا للموقف.

. سيبوا دي عليا أنا هقعد مع سعيد وأقولوا أن البنت مش عايزاه وكل شيء قسمة ونصيب

إلا أن سعيد لم يتقبل الأمر بسلاسة بل هدد وتوعد وأقسم انه سينتقم مهما طال الزمن، وهنا لجأ عبيد لمسعود لإنقاذه وابنته من تهور سعيد، وانتهى الأمر بأن اشترى مسعود دكان عبيد وبيته بأضعاف أضعاف ثمنهما، وانتقل عبيد وأسرته إلى محافظة دمياط.

لتنتهي قصة أميرة الحارة القاهرية وتبدأ في مكان جديد ولكن هل انتهى دور سعيد في حياتها، ربما ولكن فلنرى ما يخبئه لها القدر في الأيام التالية..

3

لم تتخيل أميرة أن هناك في الكون ما يمكنه أن يجعلها تتنازل عن حلمها، لقد انتقلت لدمياط واستعدت حبيبة لإنهاء إجراءات التحاق ابنتها بالمدرسة الثانوية ، وقد تأكدت بأنه لن يقف أمام حلمها لابنتها أي عائق الآن، فعبيد استسلم بعد ما حدث وقرر أن يترك لحبيبة أمر ابنتها، وانشغل في تأسيس محله الجديد بمساعدة محسن ابنه، واحتاج إلى نجار فأرشده بعض الجيران إلى حسين.

حسين شاب في أول العشرينيات من العمر ورث عن أسرته حرفة النجارة مثله مثل معظم شباب المدينة حاصل على دبلوم الصنايع دمث الخلق جميل المظهر حسن السمعة.

كلفه عبيد بإعداد الدكان فأجاد واستحسن عبيد عمله وخلقه حتى أنه تمناه زوجا لابنته من سيرته العطرة، واتفق عبيد على أن يسبقه محسن باكرا لفتح الدكان ليستكمل حسين ما بدأه.

وفي صباح اليوم التالي ذهب حسين للدكان وانتظر فطال انتظاره وقرر الذهاب لبيت عبيد لاستعجال محسن، كانت حبيبة تنتهي من فرش شقتها الجديدة بمساعدة أميرة ووقفت حبيبة تنادي ابنتها

. يا أميرة صحيتي أخواتك ؟

زفرت أميرة بغضب وقالت محتجة

. والله صحيتهم ،ومحمود نزل راح مع بابا يخلصوا ورق معرفش إيه ومحسن زي القتيل غلبت أصحيه مافيش فايدة وفي الآخر حط المخدة على دماغه ونام.

واصلت حبيبة صراخها وظلت تبرطم فهي لا تتحمل هذه الفوضى خاصة أن عبيد كوم بضاعته في أحد الأركان ووقفت أميرة وقد أوشكت

على البكاء ونظرت لملابسها المبللة وشعرها الذي أصابه الغبار فأطفأ بريقه وضربت الأرض بقدميها وقالت محتجة

. وأنا زهقت وتعبت عايزة استحمى.. الرمل بياكل جسمي

صرخت فيها حبيبة

. حما أيه وزفت أيه دلوقتي، افتحي الباب مش سامعه الجرس تلاقيه أبوكي خليه يجي يخلصني من الهم ده

وأسرعت أميرة تفتح وهي ملوثة الثياب منكوشة الشعر مغبرة الوجه وباكية العين ورغم كل ذلك فهي جميلة الجميلات وأمسكت مقبض الباب وهي تبكي بدلال وتضرب الأرض بقدميها ظنا أن من بالباب والدها فصرخت باكية

. أنا عايزة استحمى ماليش د....

ولم تكمل جملتها فالواقف بالباب لم يكن والدها إنما شاب جميل الخلقة بشوش الوجه ضاحك العين وخجول، ابتسم الشاب وقال بخجل

. هو الدش فيه مشكلة ولا الميه مقطوعة!

ارتبكت أميرة وشعرت بالخجل ولم تعرف ماذا تفعل ومن هذا، هل تغلق الباب؟ هل تهرب من أمامه؟ أم ماذا ووجدت نفسها تصرخ بغضب

. أنت مالك ومال الدش بتاعنا ولا المية بتاعتنا وبعدين أنت إيه؟

ضحك حسين فزادته الضحكة جمالا وقال متعجبا

. أنا إيه؟ أنا إنسان بني آدم

واصلت أميرة صراخها

. طيب يا إنسان يا بني آدم عايز إيه وليه؟

لم يتمالك حسين نفسه من الضحك على الغاضبة الجميلة فعلت ضحكته وقال

. أنا حسين

واصلت حدتها وهي تقول

. أنعم وأكرم.. بس ده مش رد يعني حسين وأيه

كاد حسين أن يقع أرضا من شدة الضحك إلا أنه تمالك نفسه قدر استطاعته وهو يقول

. أنا حسين ونجار وجاي أخد المفتاح بتاع الدكان لأن محسن أتأخر عليا

وأخيرا لفت نظر أميرة وجهه البشوش وضحكة عيونه فارتبكت واختلط عليها الأمر فقالت

. اتفضل يا سي مفتاح خد الدكان

وهنا انحنى حسين بنظر للأرض وهو يمسك الباب بيده ويضحك بشدة، فاحمر وجه أميرة خجلا واستوعبت ما قالت فصرخت خجلا

. إيه إيه في إيه شايف اراجوزاية قدامك

أشار لها حسين بيده لتصمت وهو يحاول أن يوقف ضحكه وقال معتذرا

. أسف أسف والله العظيم أنا بقول هاتي الدكان خليني أمشي من هنا أحسن

ألقت إليه المفتاح وقالت بحدة وكبرياء

. اتفضل الدكان أهو

وأغلقت الباب خلفه بحدة ووقفت برهة تحدث نفسها

. دكان إيه هو إيه الهبل ده؟

وفتحت الباب بسرعة وصرخت

. اسمه المفتاح يا سي نجار

أطلق حسين ضحكة عالية أجبرتها على الابتسام وهي تقف تراقبه من أعلى

وفي اليوم التالي انتهت حبيبة من إعداد الغذاء ونادت أميرة

. يا أميرة محمود فين؟

. نزل يا ماما

صرخت حبيبة وهي تخرج من المطبخ تحمل عامودا به وجبة الغداء وتقول

. نزل.. أيه الغلب ده ومين هيودي الغدا لابوكي وأخوكي والراجل اللي شغال معاهم

اندفعت أميرة بسرعة وقالت :

. أنا يا ماما هاتي العمود

وفي الطريق كانت تتذكر حسين وضحكته فتشعر بالسعادة والخدر يسري في جسدها وما أن اقتربت من الدكان حتى تباطأت خطواتها وهي تجول بنظرها بحثا عن حسين.

وأخيرا وجدته يقف أعلى سلم خشبي ويقوم بتركيب أرفف خشبية ويساعده محسن بينما يقف عبيد منشغلا بترتيب أحد الأركان ،أصبحت تمشي على مهل فكانت كأنها تشبع روحها من النظر إليه ،وما أن وصلت حتى انتبه لها محسن فأسرع غاضبا وهو يجذب العمود بقوة من يدها

. أنت أيه اللي جابك هنا ومحمود فين؟

احمر وجهها إحراجا فقالت بغضب

. محمود نزل وبعدين أمك اللي قالتلي أجيب لكم الأكل في إيه بقى

كان حسين مازال أعلى السلم وينظر لها وقد آسرته بجمالها الخلاب فأسرع يقول شاكرا

. جرى إيه يا محسن كتر خيرها يا سيدي ده أنا كنت هموت من الجوع يا أخي وبعدين ما تخافش إحنا هنا كلنا أهل

ابتسمت أميرة وانتبهت لعبيد الذي وقف جوارها يراقب الشابين بسعادة.

وفي الأيام التالية توصدت علاقة حسين بأسرة عبيد فأصبح أمرا معتادا أن يمر عليهم ويتناول الإفطار معهم بالبيت قبل الذهاب للعمل الذي تفنن فيه وابتكر ليطيل مده عمله.

وزارت أم حسين حبيبة فدخلت في قلب حبيبة مباشرة ونشأت بينهما صداقة ومحبة وكأنما امتدت علاقتهم لسنوات وليس لأيام.

وأخيرا انتهى حسين من عمله بدكان عبيد واجتمعت أسرة عبيد كلها لرص البضاعة في شكل جميل وتطوع حسين لمساعدتهم فكان من نصيبه مشاركة محسن ومحمود في نقل كراتين البضاعة، وحبيبة وأميرة وعبيد في رص البضاعة على الأرفف.

وراقب حسين أميرة فوجدها ترص زجاجات الزيت فبحث بنظره حتى وجد كرتونة الزيت فحملها واتجه لحيث تقف أميرة وناولها الكرتونة واستغل الفرصة وأمسك بيدها وقال هامسا

. أنتي حلوة قوي قوي

ارتبكت أميرة وجذبت يدها بسرعة فأوشكت الكرتونة على السقوط فأسرع حسين ليمسكها والتفتت حبيبة لحسين وسألته . حسين هي المدرسة الثانوي بعيدة عن هنا

انقلب وجه حسين وقال وقد بدا عليه الحزن

. مش قوي يا ست الكل على بعد خمسة شوارع

حمدت حبيبة ربها وقالت لعبيد

. الدكان خلص أهو.. بكرة تفضي نفسك علشان تيجي معايا نقدم ورق البت.. الدراسة قربت خلاص

كانت أميرة تراقب حسين الذي أشاح بنظره بعيدا وانطفأت ضحكة عينيه فركزت بصرها عليه وقالت موجهه الكلام لأمها

. ماما هطلع البيت أجيب حاجة وجايه

استفسرت حبيبة

نظرت أميرة بغضب وحركت شفتيها دون أن تصدر صوت قائلة

. الحمام الحمام

هزت حبيبة رأسها

. طيب ما تتأخريش وأقفلي الباب كويس

عادت أميرة تركز بصرها على حسين الذي كان يتابعها خلسة فمرت جواره وجذبت يده كأنها تدعوه ليتبعها، وفعلا خرج حسين وتبعها حتى مدخل العمارة وهى تراقبه بطرف عينيها وفي المدخل أوقفها حسين وسألها

. أنتي صحيح هتدخلي ثانوى؟

التفتت له أميرة وقالت بتعجب

. ودي فيها إيه دي!

خفض رأسه حزنا واستدار لينصرف إلا أن أميرة أمسكت يده بسرعة قائلة:

. إيه مالك في إيه؟

ابتسم بحزن وهز رأسه يمينا ويسارا وهو يجز على أسنانه وقال

. ولا حاجة ربنا يوفقك

كادت أميرة أن تبكي وهي تجذبه من يده لتمنعه من الانصراف وقالت

. لا بجد قولي في إيه!

تنفس حسين بسرعة وتمالك نفسه والتفت ليواجهها وأمسكها من كتفيها وقال بثبات وحسم

. أنا بحبك يا أميرة لا مش بحبك أنا بموت فيكي أنتي كل حاجة في حياتي معرفش إزاي بس أنا من أول ما شوفتك مش عارف أكل ولا أشرب ولا أنام، صورتك وصوتك بيطاردوني في كل مكان

ضحكت أميرة خجلا ثم قالت بارتباك

. وأنا كمان

اتسعت حدقتا عينيه فكادت أن تجحظ وهتف بصوت خفيض

. يا دين النبي أنا بحلم ولا بحلم يا رب لو حلم مش عايز أفوق منه أبدا، وعاد ونظر لها

. أميرة أنتي بتتكلمي بجد

هزت رأسها خجلا

وبسرعة أمسك يديها وضمهما ورفعهما لفمه وقبل باطن يديها فشعرت برعشة تسري في جسدها وأوشكت على السقوط أرضا، إلا أنها تمالكت نفسها ثم قالت بتلعثم لتداري ارتباكها

. هو أنت وشك أتغير ليه لما عرفت أني هدخل ثانوى

كان في أسعد لحظات حياته واستيقظ فجأة لتتحول حياته لكابوس وانقلب وجهه حزنا ونظر أرضا وقال بخجل

. أنا أصلي دبلوم صنايع

لم تفهم أميرة ما العلة، هي تتوقع أن تكون العلة لديها هي، فمن الممكن أن ترفض هي الارتباط بمؤهل متوسط، ولكن ما علته هو؟ ونظرت مستفسرة فوضح قائلا

. أنا مستحيل ارتبط بواحدة أعلى مني في المؤهل

هزت رأسها في حيرة فاستطرد

. يمكن تشوفيني معقد بس أنا مش هنكر أني فعلا عندي عقدة أنا أختي الكبيرة ليسانس آداب وأتجوزت من صنايعي زي حالتي بس شافت الويل والعذاب معاه بسبب إحساسه بالنقص أو يمكن إحساسها أنه أقل منها أنا معرفش أيه السبب اللي وصلهم لدرجة أنها تعايره بشهادته فيضطر يمد أيده عليها وفي لحظة جنون بينهم ضربها بالشاكوش على دماغها وماتت.

كتمت أميرة صرختها بينما استطرد قائلا

. أنا فعلا كنت أتمنى أني ارتبط بيكي وما أظنش أني هقدر أحب أو ارتبط بحد بعدك بس أنا مش ممكن أقف قدام المستقبل اللي اخترتيه لنفسك، ربنا يوفقك وأمسك يدها وقبلها وانصرف.

اختفى حسين بينما كانت أميرة تصارع قلبها وعقلها وأخيرا انتهى الصراع، فخرجت بكل حزم واتجهت لحبيبة وهي تجلس على الأريكة تحتسي كوبا من الشاي وجوارها اتكأ عبيد على وسادة بالأريكة وقالت بكل ثقة

. ماما أنا مش هدخل ثانوي أنا هروح مدرسة المعلمات

سقط كوب الشاي من يد حبيبة وانتظرت برهة حتى استوعبت الكلام ثم تكلمت فخرج صوتها مبحوحا ومحشرجا فقالت

. ليه أيه السبب اللي يخليكي تتنازلي عن حلمك

تسارعت أنفاس أميرة فكانت تعاني وهي تحاول أن تستجمع قوتها لتقول لأمها

. ده مش حلمي ده حلمك أنتي

صرخت حبيبة

. وكان حلمك

امتلكت أميرة شجاعتها فقالت

. لا لا أنا حلمي الوحيد كان أني أحققلك حلمك أنتى

تمالكت حبيبة دموعها وقالت بصوت مخنوق

. وإيه اللي حصل دلوقتي

أجابتها وهي تتوسل لها وتستعطفها

. بقالي حلم تاني حلم بحلمه ونفسي أحققه وأنا ماقلتلكيش أني مش هكمل أنا بقولك هدخل مدرسة المعلمات وهطلع مدرسة يعني حاجة تشرف

نفد صبر حبيبة واختنقت وقالت

. ممكن أعرف حلمك بقى أيه

ترددت أميرة ونظرت أرضا، وفكرت أن تختلق كذبة ولكنها كانت على يقين بأنها تمارس حقها في اختيار حياتها ثم أنها لا تخجل من حب أمدها بالحياة فإن كانت أمها تراها أميرة فحب حسين جعل منها ملكة متوجة على عرش قلبه فصممت ألا تكذب وصرحت لأمها بالحقيقة وشجعها نظرات عبيد المؤيدة والداعمة لها حتى أنها ظنت أنه قد علم ما بينها وبين حسين.

أوشكت حبيبة على الصراخ ولكن صوتها احتبس فاندفعت كالثور الهائج وجذبت أميرتها المدللة من شعرها وأخيرا خرج صوتها فصرخت كالطير المذبوح

. عايزة تضيعي نفسك علشان أيه علشان تتجوزي يبقى إحنا عملنا أيه ولازمتها أيه البهدلة، ونسيب بيتنا وبلدنا ليه ماكنتي اتجوزتي سعيد وخلاص، فرق أيه سعيد عن حسين

صرخت أميرة وهي تتألم

. فرق أني بحب حسين

اندفع عبيد ليخلص ابنته من يد حبيبة التي خارت قواها وتراخت يدها ومضت تبكي حلمها وحيدة في حجرتها، واستدعى عبيد حسين وواجهه بقرار أميرة وسببه، كاد حسين أن يطير من السعادة وتقدم رسميا لأميرة وتمت الخطبة واستسلمت حبيبة وحاولت أن تكون سعيدة لسعادة أميرة وفرحتها

ويوما بعد يوم كانت تزيد محبة حسين في قلب أميرة فهو العاشق الحاسم الطيب الحنون القوي الخطيب والصديق والابن والأب والأخ والمتيم في جمال أميرته، جعلها ملكة متوجة على عرش قلبه فجعلته

إمبراطورا لقلبها، لم يبخل عليها بمشاعر الحب ولا كلماته فاستغنت به عن العالم.

وهكذا تمكن من أن يصبح فردا مدللا في الأسرة ومع الأيام قبلته حبيبة بل وأحبته ورضت بنصيب ابنتها التي تفوقت في دراستها ومر العام الأول، وقرر عبيد أن يكتب كتاب أميرة لتصبح حرة الحركة مع حسين، وكتب الكتاب لتصبح زوجته مع إيقاف التنفيذ ولم يحاول حسين أن يستغل أنها أصبحت زوجته شرعا ، ولم تحاول أميرة التنازل عن تفوقها وللعام التالي تحتل المركز الأول على معهد المعلمات.

كانت حبيبة تتألم في صمت كلما تفوقت أميرة كلما تحسرت حبيبة على ابنتها التي تمنتها يوما طبيبة، أما أميرة فتعيش في سلام داخلي، فما أسعدها من حياة وما أجمل الاستقرار، وتزوج محسن وانتقل لشقته وتخرج محمود وبدأ حياته العملية.

4

في العام الثالث ومع بدايته استقبلت أميرة بالترحاب من صديقاتها في المعهد، فهي الصديقة المدللة والمتفوقة أحبها الجميع إلا قلة قليلة ممن أصابهم الحقد عليها لنجاحها وتفوقها، وانتقل للمعهد حديثا الأستاذ نادر مدرس اللغة الإنجليزية القاهري ومن أول وهلة تصاب بالرغبة في تجنبه، فكبرياؤه واضح للناظرين وإحساسه بالتميز جعله منبوذا من الزملاء وكذلك الطلاب ولكن هذا لم يكن الأمر الذي يشغل باله أو يعنيه، فهؤلاء ليسوا من الصفوة التي تستحق أن يكون بينها وسيكون في القريب...

ولكن أصبح عليه أن ينفذ تعليمات الوزارة بالخدمة في محافظة غير القاهرة فليتحمل هذا العام على وعد قطعه وكيل الوزارة لوالده ذي المنصب الحكومي الراقي بأنه سينتقل في العام التالي لأرقى مدارس القاهرة.

وأقام الأستاذ نادر بشقة فاخرة تطل على النيل حتى لا يشعر بالاغتراب فمنزل أسرته في أفخر أحياء القاهرة يطل على النيل أيضا، وصار الأستاذ نادر حديث المعهد ولم تبال أميرة، فلا رجل في الكون يستحق أن يشغل ولو جزء بسيط من عقلها، فحسين حب القلب والعقل معا، ولم يكن هذا هو حال نادر الذي انبهر بجمال أميرة وزاد انبهاره بدماثة خلقها وتفوقها، فجسدت له أميرة معنى الكمال وكانت صدمته لا توصف عندما رأى أصبع اليد اليمنى يتوسطه خاتم يعلن عن ارتباطها، ولم يكن هذا رادعا له عن انبهاره وإعجابه الذي يزيد كل يوم.

ولاحظ الجميع اهتمام نادر المبالغ فيه بأميرة إلا أميرة نفسها، فهي كعادتها لا يشغل تفكيرها أي رجل في الكون، كانت تستمع لهمزات الطالبات فتضحك ساخرة لسذاجتهن، وزاد جنون نادر بها لتجاهلها له.

ومر العام الثالث وأميرة ما زالت محتفظة بمركزها الأول، و حان موعد عودة نادر لاستلام عمله بالقاهرة، والمفاجأة كانت رفض نادر

الانتقال وأصر أن يبقى العام الدراسي التالي في دمياط، رغم محاولات السيد رجائي والده وسيدة المجتمع اعتماد هانم في تخليه عن قراره إلا أنه أصر دون تراجع.

وبدأ العام الرابع وأميرة تشعر باقتراب سعادتها مع حسين ولولا أن تعليمات الوزارة في هذا الوقت كانت تمنع زواج الطالبات أثناء التعليم الأمر الذي دفعها لتكتم خبر كتب كتابها إلا عن القلة القليلة من الأصدقاء الموثوق فيهم، لولا هذا لكانت في جنتها مع حبيبها ولكن لم يبق الكثير.

وقد شرع حسين في إعداد مسكن الزوجية في عمارة أسرته كعادة معظم أهل دمياط وسعادة أميرة كانت لا توصف بهذا فهي المحببة والمدللة لدى أسرته كلها فلوالدته هي الابنة البديلة عن بكريتها التي قتلت غدرا ولسلفتيها هي الأخت الصغرى البشوشة ذات خفة الظل ولباقي الأسرة المكونة من عمه وزوجته وأولاده فهي فاكهة العائلة الجديدة، فأميرة ستنتقل لمملكتها الجديدة ملكة توجها الحب.

ولأن في كل مملكة يوجد معارضون فمعارضو أميرة تجمعوا في شقة واحدة تقطنها عمة حسين سعاد التي زوجت أبناءها وبناتها ولم يتبق لها إلا سهير ابنتها الصغرى والتي نشأت وكبرت وهي لا تسمع من أمها إلا أنها عروسة حسين فكانت صدمتهما لا توصف عندما ارتبط حسين بأميرة، ولم تجد سعاد ولا سهير مؤيدا لهما حتى شقيق سهير الذي يكبرها بعامين إيهاب لم يرى أي غضاضة في ارتباط حسين بمن أحبها، فإيهاب يرى أنه بعد حديث القلب تصمت كل الأحاديث.

ورغم ذلك كانت أميرة تحاول التودد والتقرب من سعاد وابنتها من أجل حسين، فحسين يستحق أن تحب من أجله ألد أعدائها ما دام هذا العدو يحمل في قلبه معزة وحب لحسين وأن حمل في قلبه الحقد والكره لها فلا يعنيها، فالحب ملكها وملك قلبها فلم يعد للكره أو الحقد أو

الغضب مكان، وبالحب قرر حسين أن يكون بناء جنته فصمم أن يصنع بيده كل قطعة في جنته، فأنهى فراش حجرة نومه ووقف يتأمله ويتخيل أميرته تنام كالأميرات، حتى عندما انتهى من حجرة السفرة تخيل أميرته ملكة تتوج المائدة ورعاياها من الأسرتين يستمدون من طعامها الذي أعدته بيدها رحيق الحياة.

كان كالأم التي تحمل رضيعها برفق وحنان، هكذا كان يحمل كل قطعة أثاث وبقلبه فرحة اكتسبها من سعادة مليكته كلما رأت إبداعه في إعداد كل قطعة خشبية فكان كالفنان الذي ألهمته معشوقته فابتكر وأجاد، وباتت أميرة تلتهم كتبها الدراسية لتسعد حبيبة بتفوقها وتعوضها عن حلمها السابق، ولم تهتم أميرة بشغف نادر بها الذي بات واضحا للجميع حتى هي نفسها استشعرت اهتمامه المبالغ بها ومحاولاته المستميتة لأرضائها فأدارت ظهرها لكل المحاولات، وظل نادر أستاذها فقط لا غير وذات مرة قام نادر بتوزيع أوراق الإجابة عن أحد الامتحانات الشهرية لكل الطالبات عدا أميرة ورغم يقينها أنها الأولى كالمعتاد إلا أنها شعرت بأن في الأمر شيء غريب فوقفت تسأل عن ورقة امتحانها، فادعى نادر التعجب وبحث بين أوراقه القليلة التي أمامه ثم رفع بصره لها وقال بهدوء

. بعد الحصة تعالي معايا هشوفهالك في أوضة المدرسين

فكرت أميرة أن تنسى الأمر ولكنها خافت أن تغضبه وماذا في الأمر فالحجرة ليست حجرته الخاصة بل هي حجرة الأساتذة مدرسي اللغة الإنجليزية جميعا، وانتهت الحصة وجمع نادر أوراقه المتناثرة بسرعة وهو ينظر لها مراقبا، وابتسم في خبث عندما وجدها تتجه إليه فاتجه من فوره للخارج ليلتقي بالأستاذ شاكر صديقه المقرب والوحيد مدرس الرياضيات واستأذن نادر منه لاصطحاب أميرة معه على أن تعود فورا،

هز شاكر رأسه بالموافقة لتجنب إحراج نادر رغم إحساسه أن بالأمر شيئا مريبا، فنادى أميرة التي ظهر عليها التردد

. ما تتأخريش وإلا هكتبك غياب

لقد حاول أن يمنحها المبرر لسرعة العودة، وكان الطريق من الفصل لحجرة المدرسين قصيرا فلم تتاح الفرصة لنادر بالحوار معها ففضل أن يراقبها بطرف عينيه، وما أجملها من أنثى استأثرت بمعاني الجمال وحدها ، وتنهد نادر بعمق ليعود ويستنشق هواء تتنفسه هي، حتى الهواء ذاب عشقا في جمالها فتغيرت خصائصه وأصبح أكثر إنعاشا ، وتمني أن يملكها ليحجبها حتى عن نسمات الهواء، فنادر لا يعرف للحب معنى إلا إنه امتلاك فقط، وأخيرا فتح باب الحجرة لتصدم أميرة عندما وجدتها خالية، فرفضت وبكل إصرار الدخول للحجرة وألح نادر فأثار شكها وغضبها ولأول مرة في حياتها تصبح فظة مع أحد مدرسيها فقالت بحدة

. لا حضرتك اتفضل شوف لي الورقة وأنا هستناك هنا أو أقولك أنا مش عايزاها من أصله أنا عارفة إني الأولى فمش فارقة

أي امرأة أنتِ، أنا لم أسمح يوما لأنثى أن ترفضني ولم تخلق بعد على الأرض الأنثى التي تقاومني.

وبمنتهى الغرور اتجه إلى الداخل وأحضر ورقة الإجابة التي وضعها مسبقا في مكان محدد وعاد إليها ومزقها بكل هدوء وألقاها في وجه أميرة و قال لها بمنتهى البرود

. ممكن تكوني الأولى في العلم، بس أكيد الأخيرة في الأخلاق والتربية

كانت صدمتها لا توصف وأشعل غضبها وتمنت لو كانت تملك الجرأة لعادت وانتقمت منه.

عادت أميرة لفصلها وقد حبست دموعها حتى ظنت زميلاتها أن الكون انهارت عواميده ورسبت في امتحانها، ورغم أنها تمكنت من

الصمود وعدم البكاء إلا أن شاكر ظل مراقبا لها ومستفسرا وبانتهاء الحصة وقبل أن تتجمع الطالبات حولها استدعاها شاكر للخارج فتبعته لتقص عليه ما حدث، وصرح لها شاكر بحب نادر لها، ورفضت أميرة مجرد أن تسمع كلمة حب من رجل غير حسين وطلبت منه أن ينهي الأمر مع نادر.

وقفت سمية صديقة أميرة تستمع لحوار أميرة مع نادر، وأوهمها عقلها الصغير أنه لو علم نادر بخبر عقد قران أميرة على حسين لأصابه اليأس وكفتها شره، فأسرعت سمية لتخبر شاكر أستاذها وطلبت منه أن يخبر نادر ليفقد الأمل في أميرة، ولم تعلم سمية أنها كانت السبب لانهيار سعادة أقرب صديقة لها ، وبعد أن علمت أميرة بعد سنوات طوال أن سمية من أوصلت نبأ زواجها لنادر لم تغفر لها ولم تسامحها أبدا، فنادر أصابته الصدمة للوهلة الأولى ولكنه ما لبث أن شعر بأن القدر يساعده للانتقام منها وإذلالها.

في اليوم التالي استدعت مديرة المعهد أميرة وظنت أميرة أنه تكريم جديد لتفوقها وتميزها، إلا أن وجه المديرة كان ينبئ عن وجود كارثة، أشارت لها المديرة بالجلوس، جلست أميرة في ترقب وقد أصابها القلق، ظلت المديرة لثواني تتابع ورقة في يدها بكل اهتمام فكانت تقرأ كل كلمة وحرف، وبعد وهلة رفعت بصرها ونظرت لأميرة من خلف عدسات نظارتها وقالت مستفسرة

. أميرة أنتي خطيبك يبقى حسين زيدان صح

هزت أميرة رأسها وقد تسارعت دقات قلبها وكادت تفقد وعيها حتى أنها لم تتمكن من الرد

ولم تنتظر مديرتها الرد بل اكتفت بهز رأسها ردا وأكملت

. أميرة أنتي تلميذة مجتهدة وممتازة وأنا كلي يقين أنك هتكوني معلمة جديرة بمهنة سامية كالتعليم وأنا أعرف أنك أمينة وصادقة فهسألك سؤال عايزة له رد مباشر

كانت أميرة قد أصابها الجنون فظلت تدور وتلف وقاومت وجمعت كل طاقتها لتتمكن فقط من هز رأسها وأخيرا تمكنت من ذلك، وراقبت فم المديرة بحذر لترى حركة شفتيها وبمنتهى الهدوء سألتها المديرة:

. بمنتهى الصراحة يا أميرة أنتي مخطوبة ولا مكتوب كتابك؟

سقط قلبها فشعرت أنه غاب في بئر عميق وأغمضت عينيها وتمنت أن تكذب فهذه لن تحسب كذبة بل هو إنقاذ لروحها وروح أمها وقفزت أمامها صورة حبيبة فبكت ولم ترحم دموعها قلب مديرتها فكررت السؤال بحدة.

نظرت أميرة لمديرتها مستعطفة ولكن لسانها لم يطاوع قلبها للكذب فقالت بدموعها

. مكتوب كتابي

ألقت المديرة الورقة على المكتب وأغلقت الملف ، ماذا هل أغلقت الملف لتنهي حياتها، وراقبت أميرة الحكم عليها وهي على ثقة أنه الإعدام ، فهذه قوانين لا رحمة فيها أبدا، وإن كان موتها لأجل حبها لحسين فمرحبا بالموت ولدعته، ولكن حكم الإعدام سينفذ في حبيبة أمها فهي لن تتحمل ما قالته المديرة وبكل حزن

. آسفة يا أميرة أنا مضطرة أبلغك أنك مفصولة من المعهد وفورا

بكت أميرة وانهارت وهى تستمع لمديرتها وهى تقول

. الحقيقة لو كان الخبر ده وصلني أنا الأول كنت هقدر اعتبر نفسي معرفش حاجة لأنك تلميذة غالية عليا قوي بس للأسف في إخبارية

وصلت المنطقة التعليمية وفي الحالة ده أنا مش هقدر أعمل حاجة أنا آسفة فعلا وخسارة ألف خسارة.

رفعت رأسها فلم ترى إلا حبيبة أمامها تبكي حلمها ومستقبل ابنتها فأي قهر قهرته هي لأمها.

أمها التي حاربت واستبسلت في معركتها لتحقق لها الانتصار والمستقبل المشرف وها هي كانت هي السبب في الهزيمة والنكسة فكيف ستواجه أمها كيف ستخبرها أن ابنتها التي حلمت بها يوما طبيبة وتنازلت عن حلمها وقبلتها كمعلمة عادت لها تحمل الإعدادية فقط وأضاعت من عمرها أربع سنوات، لا ورب العرش فالموت أهون فلما لا ترحمني يا إلهي وتقبض روحي فشهادة وفاتي أرحم من فشلي، يا إلهي اغيثني اغيثني يا إلهي.

وبرحمة من الله اقتربت منها المديرة وأمسكتها من ذراعيها وأوقفتها أمامها وقالت بحماس

. بس أنا عندي حل هو صعب شوية بس هو ده الحل الوحيد

استغاثت بها أميرة وبنظرة كلها توسل ورجاء تكلمت فخرج صوتها همسا

. أي حاجة أي حاجة أنا موافقة بس ما اتفصلش

تنفست المديرة بقوة وقالت بحزم

. الحل الوحيد أنك تطلقي ونرفق وثيقة الطلاق بالشكوى

سقطت أميرة على المقعد ورددت همسا

. أطلق أنا أطلق من حسين

سارت أميرة على غير هدى تحدث نفسها فهي إما ان تكتب وثيقة عذاب أمها بالقضاء على المتبقي من حلمها ، وإما ان تكتب وثيقة موت حيها وحلمها هي، فالخياران كلاهما أصعب من الآخر.

وفي الطريق التقت بسمية وأخبرتها أميرة بمصابها فأصاب سمية الذهول كيف ستخبر صديقتها المقربة أنها السبب في مصابها، وتمنت سمية لو كان لسانها قد قطع قبل أن تلفظ بسرها، كانت سمية تنظر لها متوسلة أن تغفر لها ذلتها ولكن لم يطاوعها قلبها لتبوح بفعلتها وما الفائدة الآن إذا علمت أميرة فلن يفيدها الأمر بل سيزيد من عذابها وقهرها، وحاولت سمية أن تجد لأميرة الخلاص عسى أن تكفر عن خطيئتها وفجأة قفزت لذهنها فكرة فصرخت بسعادة وسط الطريق حتى انتفضت أميرة وظنت أن عقل صديقتها أصابه لوثة من صدمة فراقها، إلا أن سمية وقفت تصفق وتهلل وسط الطريق وقالت بسعادة

. أنا هقولك الحل

ولم تنتظر أن تسألها أميرة فقالت

. إحنا هنخلي حسين يطلقك على الورق كده وكده يعني، وناخد القسيمة نقدمها للمديرة وترجعي المدرسة ونستنى السنتين دول وبعدين ترجعوا تتجوزوا تانى.

***

5

انطلقت أميرة وقلبها يرقص فرحا إلى ورشة حسين فلا طاقة لها ولا صبر، اقتحمت عليه الورشة والابتسامة تملأ وجهها، أصيب حسين بالارتباك لوجود من يعاونه في عمله، ولم تلاحظ أميرة وجود عمال بالورشة فأسرعت بتهور تحتضن حسين، فأزاحها بعيدا عنه وهو في شدة الإحراج والغضب ثم التفت سريعا لمساعديه وطلب منهم الانصراف ، وانتبهت أميرة لوجود العمال ولكن الأمر لا يعنيها الآن فكل ما يهمها أنها وجدت حلا للكارثة التي حلت بها وحاولت الكلام إلا أن أشارة من يد حسين ونظرة الغضب أوقفتها وانتظرت حتى خرج آخر العمال فانطلقت بلا صبر لتتكلم، لم تكن تشعر بنفسها وهي تقص عليه ما حدث، ولم تهتم لتعبيرات وجهه ولا نظرات الحيرة فكيف لها أن تكون بكل هذه السعادة وقد فصلت حتى وصلت لحوارها مع سمية فأصغى حسين بكل انتباه ويا ليته لم يسمعها وهي تقول بسعادة

. الحل الوحيد اللي وصلنا له أننا نطلق

حاول حسين أن يستوعب الكلمة التي أصابته في مقتل فزاد غضبا على غضب وقال بحدة لم تعهدها منه أبدا

. نطلق الحل اللي خلاكي مبسوطة قوي كده أننا نطلق

وأسرعت موضحة له مقصدها وأن الطلاق لفترة مؤقتة فقط حتى أنها طلبت منه عدم إخبار أسرته ولتكتفي بأسرتها فقط فهو طلاق على ورق حلا للمشكلة فقط، ولكن حسين لم يقتنع بأن هناك شيئا في الكون يجبره على طلاق زوجته مهما تكن الأسباب، ولم يهتم حسين بالمقصد ولا الهدف ولا أي شيء، لم يهتم حسين إلا أنها بمنتهى السهولة استطاعت أن تطلب منه الطلاق، استدار حسين مبتعدا عنها يحاول أن يفكر، إلا أن أميرة كانت ترى أن الأمر لا يحتاج إلى تفكير أبدا، لقد توقعت أن يسرع

معها حسين فورا لوالدها ويتمم إجراءات الطلاق الصوري حتى تتمكن من تقديم وثيقة الطلاق في أسرع وقت.

لم تتخيل أن يحتاج الأمر لتفكير ولم تستوعب الجرح الذي أصابه في مقتل كرجل شرقي عليه أن يطلق زوجته مجبرا وتحت التهديد وإلا ضاع مستقبلها العلمي وسوس له شيطانه أي مستقبل هذا أن مستقبلها في بيت الزوجية وحسين كان رافضا لفكرة عملها بعد الزواج إلا أنه تجنب الصدام مع حبيبة فوافق مجبرا لإرضائها والآن عليه أن يطلقها مجبرا، ولكن لما لا ينتهز الفرصة فبرفضه ستفصل أميرة وهكذا ستبقى ربة وأميرة بيته فما أسهل الأمر الآن، وعاد لينظر لها وقال

. طيب سيبيني يومين بس أفكر

صرخت أميرة بغضب

. تفكر، ويومين هتفكر في أيه يا حسين الموضوع أصلا مش محتاج تفكير خالص أنت حالا هتيجي معايا الدكان عند بابا ونخلص الموضوع ده أنا ماعنديش أي استعداد يضيع عليا ولا يوم في الدراسة

ضحك حسين مستهزئا وقلبه ينزف ألما

. يا اااه ده مستقبلك عندك أهم مني بكتير

كانت صدمتها لا توصف ووقفت تراقبه وتتساءل من هذا؟ من يكون؟ وبصوت مخنوق وغاضب قالت

. أنا.. أنا اللي بتقولي الكلام ده.. أنا بعد ما أتخليت عن حلمي ومستقبلي ورضيت ادخل المعهد واتنازلت عن الثانوي علشانك.. تقولي الكلام ده

وزاد غضب حسين لم يتمكن من رؤية الموقف بصورته الصحيحة، لم يسمع صوتها الباكي ولكنه سمعها تعايره بتخليها عن مستقبلها ولا يعرف لماذا قفز إلى ذهنه صورة شقيقته الكبرى وتخيلها لحظة معايرتها

لزوجها واندفاعه لقتلها في لحظة غضب بالشاكوش وبسرعة نظر حسين ليده ليجد الشاكوش بيده فألقاه أرضا بسرعة وزاد شعوره بالغضب والاختناق فصرخ

. أنتي بتعايريني بمستقبلك أنا ما طلبتش منك تتخلي عنه ولا كنت حتى أتقدمت لك أنتي اللي اخترتي وأبوكي اللي طلبني علشان اتقدملك..

الحب أم الكرامة

الحب أم المستقبل

والأدق الحب أم الكرامة والمستقبل معا وقررت أميرة وبكل كبرياء الأمراء حدثت أحد رعاياها وألقت أوامرها إليه.

. وأنا قررت أصلح الغلطة اللي غلطتها أنا ماشية وهستنى ورقة طلاقي النهاردة

مضت في طريقها ولم تلتفت خلفها مضت بخطوات كلها ثقة وإصرار حتى وصلت البيت وبين جدران حجرتها انهارت وبكت وتمنت أن تعود إليه وبأسرع وقت وتتوسل إليه ألا ينصت لها فهي كاذبة فالحب أبقى، عن أي كرامة تبحث وقد جعلها ملكة وأي مستقبل تبحث عنه بدونه، ولكنها عادت تفكر لقد تنازلت مرة فما الضرر أن يتنازل هو مرة، وانتهى الأمر بعودة عبيد مهموما ومقهورا بعد أن مر عليه حسين وأخبره في إيجاز ما حدث وكان.

وحاول عبيد أن يستوعب الموقف وتوصل إلى أن ما طلبته أميرة هو مطلب عادل لا شيء فيه، ظل حسين صامتا يستمع وهو محني الرأس يتأمل الأرض وبعد أن انتهى عبيد وقف حسين منصرفا ولكنه قال بمنتهى الحزن

. أنا خلاص طلقت أميرة

استلمت أميرة قسيمة موتها بالحياة وقدمتها لمديرة المعهد وعادت لدراستها حزينة مقهورة، حتى أنها نست ما كان بينها وبين نادر الذي شعر بالسعادة لانتصاره ولكن ما لبثت سعادته أن تحولت لحزن وأسى على ما أصابها، فأميرة أصبحت طالبه محطمة لا مبالية حزينة ولوهلة شعر بالندم ولكنه عاد وحدث نفسه أنها من دفعته للانتقام منها وكان هذا مبرره عندما واجهه شاكر بفعلته التي لم ينكرها وبرر موقفه

. أنا متوقعتش أنها ممكن توصل للطلاق

. لا أنت عارف أن واحدة متفوقة زي أميرة كان لا يمكن تقبل بالفصل

. وأيه اللي حصل يعني ما هو ممكن يتجوزها بعد السنتين

زفر شاكر بغضب واحتد

. لا اطمن حضرتك ده طلاق نهائى

وابتسم نادر بسعادة وهلل متسائلا

. أنت بتتكلم جد عرفت منين مين اللي قالك أميرة هي اللي قالتلك

كان شاكر ممتعضا ومتأففا وتحول امتعاضه لرثاء بعد أن وجد دموع نادر تنساب على خده

راقبه شاكر وهو في حيرة من أمره أيمكن أن يكون الحب هو الدافع بالفعل أم هو الكبرياء، وتوسل نادر إليه أن يطمئنه هل طلاقها نهائي بالفعل، أكد شاكر المعلومة ولم يتوقع أبدا أن يرتمي نادر على المقعد منهارا يبكي من الفرحة، اقترب منه شاكر وسأله

. أنت للدرجة دي بتحبها؟

رفع رأسه إليه وقال

. واكتر من كده كمان أنا كان عندي استعداد أقتلها وأقتل نفسي ولا أنها تروح لحد غيري

غير شاكر نبرته فجعلها أكثر هدوءا وحنانا

. بس هي كانت بتحب خطيبها

. وأنا بعشقها وهو لو كان بيحبها كان قدر يحافظ عليها ده إنسان أناني محاولش يساعدها ولا يقف جنبها بس أنا مش هسيبها ولا هسمح لها تضيع نفسها أبدا ولازم تتفوق وتطلع الأولى السنة دي كمان، واستشعر شاكر الصدق في كلامه فقال بحماس

. وأنا معاك وهساعدك بكل قوة كمان

وفي هذه اللحظة اندفعت سمية لحجرة المدرسين تصرخ متوسلة

. أستاذ شاكر حد يلحقنا أميرة وقعت من طولها

قفز نادر من مقعده وسمع شاكر يصيح

. ليه إيه اللي حصل؟

كانت سمية تحاول أن تستجمع نفسها ووسط أنفاسها المتلاحقة قالت

. واحدة زميلتنا بلغتها أن حسين إتجوز بنت عمته فوقعت من طولها

ومضت ايام وأميرة طريحة الفراش ترفض الكلام أو الطعام ولا ترتشف إلا قطرات قليلة من الماء رفضت أي محاولة من زملائها ومدرسيها لمقابلتها، كانت ترفض الحياة وقررت أن تبقى بفراشها انتظارا للموت، دق جرس الباب فتحت حبيبة ودموعها تسبقها، وجدت سمية بالباب ومعها شابان يبدو عليهما الوقار رحبت بهم وهي على يقين أنهما سينضما لسلسلة المرفوضين الذين ترفض أميرة لقاءهم، ولكن نادر أتى ليقابلها ولن يعود إلا بعد أن تعود للحياة.

وبدون مقدمات قال نادر

. مدام حبيبة حضرتك متعرفنيش صحيح لكن كل اللي أقدر أقولوا أن أميرة تهمني جدا جدا وبشكل شخصي مش مهني يعني بصفتي نادر مش أستاذ نادر كل اللي بطلبه من حضرتك تسمحيلي أدخل لها أنا مش هستأذن منها علشان أدخل أشوفها أنا هدخل لها بعد إذنك أنتي

أعجبت حبيبة بإصراره وثقته بنفسه ووجدت نفسها تهز رأسها بالموافقة وأشارت له على حجرتها، وبكل ثقة اتجه نادر للحجرة وطرق الباب مستأذن ولم ينتظر الرد بل أسرع واقتحم الحجرة وكانت أميرة مستلقية على فراشها مشعثة الشعر فلم يزيدها إلا جمالا غجريا.

ارتبكت أميرة ولم تصدق نفسها وحاولت النهوض أو حتى الغضب إلا أن الوهن أصاب جسدها فلم تقو إلا على الاعتدال فقط ولاحظت نظراته لشعرها فزاد ارتباكها وبحثت عما تستر به رأسها فوجدت طرحة ملقاة على كرسي بجوار فراشها نظرت للطرحة ولكن كيف لها أن تنالها، تابع نادر نظراتها نحو الطرحة فاتجه إليها وأمسكها وعاد بها لأميرة، مدت يدها لتأخذها إلا أنه رفع يده وبحركة مفاجئة هذب خصلات شعرها فردها لمكانها الطبيعي ثم وضع الطرحة على رأسها وألبسها لها وهي في ذهول، ثم مد يده ليكشف غطاءها فأسرعت أميرة تساوي ثيابها وتتأكد أنها مستورة الجسد ، أمسك يدها وجذبها بحنان فطاوعته وساعدها على الوقوف.

لم تعرف أميرة لما تطاوعه كل ما كانت تعرفه أنها لا تشعر بالرغبة في مقاومته، واصطحبها للخارج وما أن رأتها حبيبة حتى زغردت من الفرحة والسعادة ووسط نظرات التعجب تكلم نادر بكل ثقة وهو مثبت النظر نحو أميرة

. مدام حبيبة طابخة إيه النهاردة؟

ورغم غرابة السؤال إلا أن حبيبة اندفعت بسعادة قائلة

. ملوخية بالأرانب فضلة خيرك

عقب نادر وهو يمسك يد أميرة ويساعدها على الجلوس فقال

. وأميرة بتحبها!

اندفعت حبيبة بسعادة

. أيوة والنبي يا أبنى

ابتسم نادر قائلا

. يبقى أنا كمان هحبها ممكن تعزميني على الغدا!

وأخيرا ابتسمت أميرة في خجل.

لم تنس أميرة أبدا أن نادر من أعاد لها الحياة لم تعرف سره ولكن ما تعرفه أنها تطاوعه لا تملك أي رغبة لمقاومته، و ساعدها نادر لتعويض ما فات من دروسها، وكان يجلس معها ليلقنها طرق التدريس الحديثة ومهاراته وكيف يمكن أن تكون معلمة متميزة، وكانت حبيبة تراقبه فلقد أصبح معتادا زيارتهم لمساعدة أميرة في تحصيل ما فاتها، ولاحظت حبيبة أنه ليس كالرجال الذين اعتادتهم في حياتها، يمكن أن يكون فى تصرفاته بعض الشبه لتصرفات محمود ابنها، ولربما كانت هذه سمات الجامعيين، ولاحظت أنه مهذب جدا دائم الشكر لها عندما تقدم له ضيافته لا يخاطبها إلا وسبق كلماته حضرتك، اعتادت أن تسمع لو سمحت بعد إذنك أشكرك بالتأكيد هو مختلف حتى في ثيابه ورائحته الغير معتادة التي تفقدك الوعي من شدة روعتها.

فحدثت نفسها

. هو ده الجوز المناسب لأميرة

6

. يا ابني حرام عليك فهمني بس أنت سايب دمياط ورايح القاهرة ليه أنا ماليش غيرك دلوقتي بعد أختك ما اتجوزت، زفر إيهاب ضيقا وواصل إعداد حقيبته كان يتجنب المواجهة طوال الأيام الماضية، فمنذ أن أصرت سعاد على قبول زواج سهير وحسين رغم رفضه بل امتد الرفض لباقي أفراد العائلة وهو يتجنب الحوار خوفا من اندفاعه وإثارة غضبها وزاد غضبه وحيرته وهو يرى الفرحة التي غابت عنها منذ وفاة والده وهي تشرق على وجهها وتحسنت حالتها الصحية فنصحه عمه التزام الصمت وأنهى أي مجال للمناقشة بأن صرح له

. العروسة للعريس والجري للمتاعيس

ولكن ما الثمن،الثمن هو كسر قلب أميرة الفتاة الرقيقة، انتبه لصوت نحيب أمه فلم يقاوم رغبته في احتضانها وقبل رأسها ويدها وأجلسها جواره على طرف الفراش وقال بوقار

. يا أمي أنا مسافر أشوف مستقبلي أنا جت لي فرصة اشتغل محاسب في شركة كبيرة

هزت رأسها نفيا كالأطفال وبصوت مخنوق باكي قالت له

. لا لا أنت زعلان علشان جوزت سهير لحسين

تنهد بهدوء حتى لا يبدو عليه غضبه وتنفس بقوة ثم قال

. أيوة يا أمي زعلان بس أنا زعلان عليها يا أمي إزاي تقبل تتجوز واحد وهي عارفة كويس أنه بيحب غيرها ولسه بيحبها

مسحت الأم دموعها وقالت بحكمة

. يا ابني سيبك من الكلام الفارغ ده الحب بيجي بالعشرة بعد الجواز إحنا يا ابني اتجوزنا وعشنا ولا سمعنا عن الحب اللي قبل الجواز ده

ربت على ظهر يدها لينهي حوارا بلا فائدة وقبل يدها في حنان

. ماشي يا ماما أنتي صح بس أنا لازم أمشي وأشوف مستقبلي وأوعدك أني لو مارتحتش هرجع على طول

وانصرف بسرعة من أمامها قبل أن تواصل البكاء وودعته بدعواتها بالتوفيق، كان إيهاب كمن يفر من بيته يهرول سريعا ولا يحاول الالتفات ولكن أوقفه صوت يبغضه قدر ما أحبه يناديه بقوة

. إيهاب إيهاب

وقف إيهاب ولم يلتفت للخلف حتى وصل إليه صاحب الصوت وأمسكه من ذراعه ودفعه برقة أمامه

نفض إيهاب يده وصاح

. عايز أيه يا حسين؟

. عايز اتكلم معاك محتاجك يا ابن عمي محتاج حد يسمعني واسمعه

التفت له إيهاب وقال محتدا

. هو إحنا بنعمل إيه غير أننا بنسمعك بقالك أيام وإحنا بنسمعك وأنت مابتسمعش حد عايز أيه بقى مش نفذت أنت وأمي اللي في دماغك خلاص بقى

توسل له حسين

. بس أنا محتاج أتكلم معاك أنا فعلا صممت ونفذت اللي في دماغي واتجوزت سهير بس محتاج أكلمك قبل ما تمشى

كان حسين مهزوما فأصاب إيهاب بالحزن على حاله وطاوع يده واتجه معه إلى ورشته وجلس أمامه يسمع اعترافاته لآخر مرة

. أنا المرة دي مش هكدب عليك ولا على نفسي وهقولك الحقيقة.. الحقيقة اللي خلتني أطلق أميرة وأتجوز سهير فورا علشان أقطع خط الرجعة على نفسي وعليها

انتبه إيهاب وأصغي إليه

هذه المرة قرر حسين أن يودع إيهاب بالحقيقة دون أي رتوش أو كذب فنظر للفراغ وتحدث وكأنه يحدث نفسه

. أنا ماحبتش إلا أميرة ومش هحب غيرها أبدا بس أنا خفت ،خفت عليها مني خفت أظلمها أو أعذبها معايا بعقدتي ،أول ما أميرة اتكلمت معايا وفكرتني بتضحيتها بصيت لقيت الشاكوش في إيدي ،فكرت أني أضربها بيه أيوة فكرت أضربها أموتها اشمعني أختي.. في لحظة واحدة فكرت في قتلها خفت رميت الشاكوش ،خفت أعذبها ماحدش ضامن إيه اللي ممكن يحصل بعد الجواز ممكن قوي نتخانق لا لا لا يا إيهاب أنا مش هقدر آذيها ولا بمجرد التفكير

كان حسين صادقا فأنصت له إيهاب وهو يواصل

. وبعدين أنت عارف أننا مش بنحب الست تشتغل وكلكم نصحتوني أني ما اتكلمش دلوقتي علشان موقف حبيبة أمها وكلكم نصحتوني أنه بعد الجواز ولما تبقى في بيتي أنا حر ساعتها

هز إيهاب رأسه مقرا بموافقته وهو كان أول المقترحين عليه الانتظار حتى تصبح أميرة في بيته ثم يطلب منها التزام البيت، واستطرد حسين بحزن

. أنا ماكنتش هقدر أعمل كده، وماكنتش هستحمل أنها تتهدل في الشغل ،أنا فجأة يا إيهاب اكتشفت أن وجودي في حياتها عذاب ليها.. أميرة هتكون أحسن بعيد عني ،وبكي كالأطفال ورغم إحساس إيهاب

بصدق حسين ورغم حزنه على أميرة إلا أنه تذكر سهير فهي أولا وأخيرا شقيقته الصغرى فنظر لحسين واحتج قائلا

. وسهير ذنبها إيه تخدعها

احتد حسين وقال :

. أنا ما خدعتش سهير بالعكس أنا صارحتها بكل ده من أول يوم طلبتها فيه وهي وافقت وقبلت وقالتلي إن الأيام كفيلة تخليني أنسى حب أميرة وأحبها

همس إيهاب

. غبية طول عمرها غبية

عاتبه حسين قائلا

. لا يا إيهاب ، سهير بتحبني وعلشاني قبلت تعيش معايا وهي واثقة أني بحب أميرة وافقت تساعدني وتقف معايا في محنتى

لم يقتنع إيهاب هذه المرة ولكن عافت نفسه النقاش أو الكلام فوقف مودعا حسين بعد أن استحلفه بالله أن يراعي ربه في شقيقته، ورحل إيهاب ورفع حسين رأسه للسماء متوسلا لربه أن يعينه على تحمل فراق أميرة قلبه.

انبهرت أميرة بنادر وثقته بنفسه ولاحظ شاكر مدى انبهارها به وانسياقها خلفه أينما وجهها فحاول أن يلفت نظر سمية صديقتها لتحذيرها فأميرة قد تقع في حب نادر وهماً لمجرد أن تنسى صدمتها في حسين ورفضت سمية تحذير أميرة بل كانت تدفعها دفعا لحب نادر لتكفر عن إحساسها بالذنب تجاه صديقتها، وانتهت السنة الرابعة وتفوقت أميرة كما لم تتفوق من قبل فتأكدت حبيبة أن نادر هو الشخص المناسب لابنتها فهو كما وصفته لعبيد

. ابن ناس وأصلة عليوي والواد زي القمر ما شاء الله عليه وشميت ريحته.. أيه يا خويا الريحة دي.. لا يا عبيد الواد نضيف ومحترم في نفسه

تذمر عبيد

. ابن ناس ابن ناس، وإحنا ولاد إيه.. يا ولية افهمي الواد أنتي قلتي بنفسك عليوي قوي وإحنا غلابة قوي إذا كنتي خفتي على بنتك من زينب أحسن تتنطط على البت أومال دول بقى هيعملوا أيه

اعترضت حبيبة وأشاحت بيدها في الهواء

. لا يا خويا دول ولاد أصول حاجة محترمة كده مش تقولي الحارة وزينب إيش جاب لجاب يا راجل

نفد صبر عبيد ففضل إنهاء الحوار.

. بس خلاص اسكتي هو كان طلبها يعني للجواز ده ولا اتكلم ولا لمح حتى ومفيش وراه إلا المذاكرة ودروسك يا أميرة ومستقبلك يا أميرة

ابتسمت حبيبة وقالت بسعادة

. علشان كده أنا بحبه وأعزه

. بس بقى أميرة رجعت

تقدمت أميرة حيث والديها ووجهها يكسوه الحزن والألم فزعت حبيبة فهبت من مجلسها لتحتضن ابنتها وسألتها بلهفة

. مالك يا حبيبتي في إيه حصل حاجة

ابتسمت أميرة فزادتها الابتسامة حزنا وألما وأوشكت على البكاء وهي تقول

. مافيش يا ماما أنا بس قابلت سهير مرات وازدردت ريقها بصعوبة لتسترسل مرات حسين

ضمتها حبيبة بقوة لصدرها واستطردت أميرة

. تصدقي يا ماما دي حامل

انخلع قلب عبيد على ابنته فقام متجها لها وقبل رأسها بحنان وأمسك بيدها وأجلسها بجواره وقال

. الله يسهل لهم حالهم قوليلي يا مرمر أستاذ نادر أخباره إيه؟

نظرت له حبيبة بتهكم وابتسمت في خبث فلقد أدرك عبيد الآن أن نادر هو الأنسب لأميرة حتى وأن كان فقط لتداوى جرح قلبها، وبالفعل ابتسمت أميرة وضحكت عيناها فأضاءت ظلمات الكون وقالت بسعادة يشوبها الحيرة

. مش عارفة يا بابا، هو إنسان طيب قوي وبيعزني ويساعدني حتى في التربية العملي، يا بابا لقيتوا في المدرسة اللي بدرب فيها ودخل معايا الفصل وساعدني كتير قوي

وتنهدت فطالت تنهيدتها وقالت بحزن

. بس هو خريج جامعة وأنا... وبعد لحظة صمت استرسلت... أنا ضيعت نفسي ومستقبلي بغباء

وضحكت ساخرة رغم الألم

. علشان إيه الحب وادي أخرتها أهو

ضمها عبيد لصدره الذي يحترق حزنا وألما على ابنته وقبل رأسها وصاح وهو يحاول أن يبدو سعيدا

. اصبري يا بنت عبيد شوية وهتشوفي أميرة عبيد هتكون إيه أنا أهو وأنتي أهو

ابتسمت أميرة وألقت برأسها على صدر والدها وأغمضت عينيها في راحة وهدوء.

. أميرة أنا مسافر بكره

. على فين يا أستاذ نادر؟

. أولا أنا طلبت منك مليون مرة تبطلي كلمة أستاذ حضرتك اتخرجتي وكلها كام أسبوع وهتتعيني وتبقي زميلة

ابتسمت أميرة في خجل بينما تابع نادر

. ثانيا أنا ليا أهل برضه والسنة دي أنا ماسافرتش ولا مرة علشان كنت مشغول معاكي من حق ي أشوفهم وأطمن عليهم ولا أيه

عاودت أميرة الابتسام وقد احمت وجنتاها خجلا ،فزادت جمالا على جمالها وهمست

. أنا عارفة أني تعبت حضرتك معايا بجد ربنا يجازيك خير أنا متشكرة قوي لحضرتك

ما أجمل الحياة إن كانت بجوار أميرته وما أنعشه من هواء إن مر على أميرته، ابتسامتها تحيل الدنيا لألوان من البهجة والسرور، فما أسعده الآن وقرر نادر أن يسافر للقاهرة ليعود بأسرته ليطلب يد أميرة.

سافر نادر وما ان صرح برغبته حتى واجه سيل من الرفض والاتهامات بأن فتاة فقيرة قد ذهبت بعقل رشيدهم ،وظل يسمع أحاديث متنوعة عن الفرق في المستوى الاجتماعي والمستوى المادي، وظلت اعتماد هانم سيدة المجتمع الراقي تلقي تحذيراتها وتشجب وتحتج على مجرد تفكير نادر بالزواج بغير قاهرية ومن أسرة غير مرموقة، واستسلم أول من استسلم الأستاذ رجائي والده وأصدر قراره النهائي بالموافقة على أن يتحمل نادر وحده عاقبة سوء اختياره لزوجة أقل منه في المستوى المادي والاجتماعي والعلمي وألزم اعتماد هانم الصمت التي طاوعت زوجها

بشرط أن يعود نادر وعروسه للقاهرة لجوارها عسى أن تتمكن من جعلها سيدة مجتمع راقى.

وعلى مضض سافرت اعتماد هانم ورجائي بيه إلى دمياط بصحبة نادر وشقيقه الأصغر تامر، وفي الموعد المحدد بين نادر وعبيد في اتصال هاتفي رن جرس الباب فابتسم محمود وقال بسعادة.

. في الميعاد بالدقيقة والثانية

وتقدمت اعتماد هانم يتبعها رجائي بيه ثم نادر وشقيقه تامر، تنفست حبيبة الهواء المنعش الذي اختلط بعبير الروائح العطرة التي ظلت لأيام وأيام تبحث عما يماثلها في كل المحلات التي تعرفها فلم تجدها، وما أن ألقت بصرها على اعتماد هانم حتى شعرت بوضاعتها إلى جوار الهانم ذات الثياب الفاخرة وهذا الفراء القيم الذي لم تحظى برؤيته من قبل فانقبض قلبها وبسرعة هزت رأسها لتذهب عنها أفكارها السيئة وأسرعت تتقدم بكل وقار ومدت يدها لتصافح اعتماد بأسلوب راق أذهل عبيد وولديها إلا أنه جعل اعتماد تبتسم بسعادة رغم تحفظها.

وبعد مراسم التحية والترحيب طلب الأستاذ رجائي يد سليلة الحسب والنسب أميرة فقاطعته اعتماد هانم وقالت معتذرة

. أسفة يا رجائي بس أعتقد أنه من الأنسب أننا نتعرف على عروستنا اللي جينا مخصوص علشان نخطبها

وبسرعة وبكل ثقة ابتسمت حبيبة ولم تتح الفرصة لعبيد بالرد ،وطلبت من محمود أن ينادي أميرة، فهل القمر بدرا وأوشكت العيون أن تغمض من بريق جمالها وتقدمت أميرة بقوامها الممشوق وقد أسدلت شعرها البني خلف ظهرها في نعومة يتراقص مع كل خطوة من خطواتها واقتربت فاقتربت روائح الجنة العطرة ،وابتسمت فابتسمت الدنيا ولم يبق عليها أي حزين وقطع عليهم الاستمتاع باللوحة الفنية صوت صفارة أطلقها تامر الشقيق الأصغر لنادر وهو يصيح مداعبا

. هي دي بجد بني آدمة زينا

نكزه نادر في كتفه بينما ابتسم رجائي بيه وانشرح قلب اعتماد هانم ودعت الفاتنة لتجاورها في الجلوس، ونظرت حبيبة لعبيد بسعادة وأوشكت أن تزغرد لولا التزامها الوقار، وانتهى الاتفاق على أكمل وجه لم يعكره إلا أن صرح نادر بعودته للقاهرة والاستقرار بها، كادت حبيبة أن تصرخ فهي لا تقوى على فراق ابنتها ولكن موافقة عبيد ألزمتها الصمت ، وتم الاتفاق على إتمام الزواج فورا بعد أن تنهي أميرة إجراءات استلامها العمل ثم طلب النقل للقاهرة وفي هذه الأثناء ينتهي نادر من إعداد مسكن الزوجية الخاص بهم في أرقى أحياء القاهرة.

لم تهدأ حبيبة منذ علمت أن أميرة ستنتقل للقاهرة وأصرت على العودة للقاهرة فلا أهل لهم بدمياط وأصرت إصرارا كاد أن يهدم بيتها فلقد حدثت المواجهة بينها وبين عبيد الذي رفض أن يترك دكانه ويبدأ من جديد فلقد اشتد وهنه ويحتاج للراحة والاستقرار فلجأت حبيبة لمحسن تتوسل إليه أن يقنع والده بالانتقال للقاهرة ولم يلزمها الصمت إلا مواجهة محسن لها حين سألها

. ماشي يا ماما يعني أنتي هتسافري القاهرة تاني وعايزة شقة طبعا ودكان جداد

. أيوة وإيه يعنى؟

جز محسن على أسنانه وقال بهدوء مصطنع

. تمام يا ماما ممكن أعرف هنجيب فلوس منين

وبسرعة أجابته

. هنبيع الشقة هنا والدكان

وهنا ابتسم محسن بغيظ وقال بحدة

. هنبيع الدكان تمام ، وأنا فكرتي فيا وفي بيتي وولادي ولا إحنا مش في الحساب خالص

أصيبت حبيبة بالتوتر فكيف نست أن الدكان هو مصدر رزق ولدها وأسرته وتريثت قليلا ثم صاحت بسعادة

. أنت كمان تبيع شقتك وتيجي معانا القاهرة هو أنت ليك هنا إيه

هز محسن رأسه بسخرية وقال متهكما

. لا والله ماليش، بس ولادي ليهم جدهم وجدتهم وخيلانهم وخالتهم أهل مراتي وعزوتها بس

زمت ما بين حاجبيها وقالت بغضب

. إيه يعني الست رجلها على رجل جوزها ما هي أختك أهي هتسافر مع جوزها

ضحك محسن بصوت مرتفع وقال

. صح أختي هتتغرب هي دي المشكلة وأنتي مش قادرة تستحملي بعدها عنك علشان كده عايزة تشحططينا كلنا علشان تبقي جنبها

ازدردت ريقها وتنحنحت ثم تماسكت وقالت بقوة

. وأيه يعني بنتي الوحيدة

وهنا صرخ محسن

. ومراتي ذنبها إيه أحرمها من أهلها واخدها بلد ماتعرفش فيها حد علشان خاطر ماتسيبيش بنتك.. لا يا ماما عايزة تسافري سافروا وبيعي الدكان وأنا ومراتي وولادي لينا رب اسمه الكريم

انصرف محسن وجلست حبيبة حزينة شاردة تفكر كيف يمكنها إجبار عبيد على السفر للقاهرة ووصلت لحل أن يترك الدكان لولده محسن على أن يرسل له محسن راتبا شهريا، وقررت أن تفاتح عبيد اليوم أثناء زيارة نادر لهم حتى تصيبه بالإحراج فيقبل فورا، وبالفعل وبعد أن انتهوا من وجبة العشاء وأثناء احتساء الشاي فاتحت حبيبة عبيد مرة أخرى

رغم نظرات عبيد المحذرة لها وبعد أن انتهت، وكما توقعت تدخل نادر فاستأذن بالكلام ولكنه وجه كلامه لحبيبة فسألها

. معلش يا طنط حضرتك تتوقعي أن بثمن الشقة هنا ممكن تجيبوا شقة فين في القاهرة

ارتبكت حبيبة ولم تدرك مغزى السؤال وبعد تفكير قالت

. أي حتة مش هتفرق

أسرع نادر مقاطعا

. لا طبعا هتفرق وهتفرق كتير قوي إزاي نبقى إحنا ساكنين في أرقى أحياء القاهرة وحضراتكم أسف في منطقة شعبية أظن ده صعب شوية حتى صعب على أولادنا في المستقبل إزاي هقدر أخليهم يزوروكم في بيئة ووسط غير اللي بيتربوا فيه..

إنما هنا مافيش حتة التميز دي قوي.. ومش واضحة.. وبالعكس هتبقى فسحة وتغيير للأولاد

انتهي نادر وانتهت أحلام حبيبة وانقبض قلب عبيد وتمنى أن يمنع الزيجة لولا الفرحة في عين أميرة التي كانت تسمعه بإعجاب.

***

7

انتهت أميرة من حصتها المدرسية وخرجت مهرولة لتصطدم في طريقها بصديقتها وزميلتها هبه التي صاحت فيها

. إيه يا بنتي هو أنا ما أشوفكيش إلا وأنتي بتجري إيه يا مرمر

جمعت أميرة أغراضها المتناثرة وقالت بنفاد صبر

. ما أنتي عارفة اللي فيها

قاطعتها هبة بسرعة

. عارفة وحفظت والله

وأكملت بلهجة ساخرة

. الأستاذ نادر لو رجع البيت قبلك وملقاش الأكل جاهز ولا لو لقي البيت مترب ولا الطفاية لا قدر الله فيها سجاير هيقلب الدنيا ويخلي عليها واطيها

ردت أميرة عليها بتهكم

. ولما سيادتك عارفة واقفة في وشي ليه

أفسحت هبه لها طريق الرحيل إلا أن صوتا أوقفها وهو ينادى

. أميرة أميرة عبيد صح

نظرت أميرة للمنادي فوجدت أمامها رجلا طويل القامة له ملامح مألوفة وأن لم تتذكرها وسألته

. أيوة حضرتك مين؟

اندفع المنادي بحماس

. أنا إيهاب زين

هزت رأسها في تعجب ورددت الاسم ثم سألته

. إيهاب زين والد مين حضرتك عندي؟

اقترب منها إيهاب وتكلم قلبه قبل لسانه فتمنى أن يحتضنها ويصرخ بأعلي صوت

أنا إيهاب أنا من عشقتك من اللحظة الأولى التي رأيتك فيها أنا من تمنيت أن تتزوجي من أحببتي حتى أراكي سعيدة فقط.. أنا من هجرت أهلي وبلدي حزنا على قلبك المجروح...

وانتبه إيهاب على نظراتها المتسائلة فأسرع بالرد

. أنا إيهاب من دمياط

وتحولت نبرته للحزن والخجل

. أخو سهير وابن عم حسين

انتبهت وتذكرت فلم تتذكر إيهاب فقط بل تذكرت حسين ذلك الرجل الذي جعلها ملكة على عرش قلبه.. حسين من خاف عليها وجرحها وخانها.. حسين كان يوما لها الحياة ثم ألقى بها للهاوية وفي هذه المرة انتبهت هي لنظرات إيهاب فمدت يدها لمصافحته والترحيب به وسألته

. خير إيه اللي جابك عندنا؟

كانت نظراته تنطق بالعشق والهوى حتى هبه لاحظت هيامه بأميرة أما لسانه فتحدث

. أنا جاي أخد بنتي من الحضانة

ابتسمت أميرة بسذاجة وقالت

. بجد حقيقي طيب خير بنوتك اسمها إيه علشان اتابعها واخلي بالي منها

وأمسكت القلم وفتحت دفترها لتكتب الاسم إلا أنها توقفت تماما عندما قال لها بصوت خافت

. بنتي اسمها أميرة، أميرة إيهاب زين

نظرت له أميرة نظرة تعجب واهتمام فلم يسبق لها أن شعرت باهتمام إيهاب بها أبدا ولكنها عادت بذاكرتها للخلف فتذكرت نظراته لها وبطبيعة الحال في هذا التوقيت لم تكن أميرة ترى إلا حسين واختزلت الرجال جميعا في حسين، وعادت لتتذكر حسين ونست إيهاب الهائم عشقا فيها ونست حتى أن تسأله عن ابنته أميرة بل سألته

. حسين أخباره أيه؟

شعر إيهاب بوخزة في قلبه وتمنى أن يمسك بها ويصرخ في وجهها ألم تنسيه بعد أن خانك أما زلتي على حبك له ولكنه تماسك فقال بكل هدوء

. حسين كويس الحمد الله وعنده ريم ومحمد توأم

ازدردت ريقها بصعوبة بالغة وشعرت برغبة في لطمه وتبدلت ملامحها للغضب وهي تودعه

. ربنا يسعده طيب يا إيهاب أنا هتابع أميرة بنتك في الحضانة

والتفتت لترحل وبحركة فجائية أمسكها إيهاب من يدها ففزعت ونظرت له بحدة وهي تسأله

. خير في حاجة

تركها إيهاب معتذرا وبرر فعلته

. أنا آسف بس كنت عايز أطمن عليكي أنتي عاملة أيه

كانت ابتسامتها الحزينة خير جواب على سؤاله ولأول مرة لاحظ إيهاب أن بريق عينيها قد خبا، فاعتصر قلبه ألما وقرر أن يحاول التسرية عنها فقال لها

. أنتي مروحة

تذكرت أميرة نادر ونظرت في ساعتها فأصابها الفزع ولم تنتظر بل جرت بسرعة وهي تجيبه

. أيوة طبعا

حاول أن يوقفها أو يلحق بها إلا أن هبة أوقفته بإشارة من يدها ولأول مرة يلاحظ إيهاب وجودها أصلا واستمع لها.

. ماتحاولش، لازم تلحق تروح قبل البرنس بتاعها ما يروح ويقلب الدنيا على دماغها، وبكل الأسى سألها

. هو صعب عليها قوي كده؟

ضحكت هبه ساخرة

. صعب بس قلبك أبيض

كانت أميرة طوال الطريق تراقب ساعتها وتتعجل سائق التاكسي أن يسرع وكادت تبكي خوفا من أن يكون قد سبقها للمنزل، وحاولت أن تحسب الوقت اللازم لعودته فهو عليه أن يمر أولا على والدته لاصطحاب ابنتها سهر ذات الثلاثة أعوام ويعود بها للبيت وبدأت تحسب الوقت اللازم لانتقاله من بيت والده إلى بيتهم فالمسافة لا تتجاوز الكيلو متر وشعرت برأسها يدور ولعنت إيهاب وحسين وهبه، وأخيرا وصلت فهرولت من التاكسي لتصطدم عندما رأت سيارته أمام مدخل العمارة، تمنت في هذه اللحظة لو سقطت فكسرت قدمها أو ذراعها أو صدمتها سيارة فهذا أهون عليها من مواجهته، واستسلمت لقضاء الله وهي تدعو متوسلة..

وفتحت باب شقتها لتراه أمامها وكأنه على موعد معها يقف في انتظارها ابتسمت بخوف وصاحت وهي تحاول أن تبدو ضاحكة

. حبيبي أنت لحقت توصل قبلي أيوة يا عم العربية تحت أمرك مش زي الغلابة اللي بيجروا ورا التاكسيات

وبكل جبروت صاح فيها

. كنتي فين؟

ازدردت ريقها وهي تراقب يده في حذر وخوف

. كنت في المدرسة بس أصلي وأنا طالعة أجري خبطت هبة ووقعت في الأرض وعلي ما فقت ووقفت

وبكل برود سألها

. الوقعة كانت جامدة قوي لدرجة أنك أغمي عليكي واحتجتي تفوقي

تسارعت دقات قلبها ومازالت تراقب يده بحذر وقالت بتلعثم

. لا مش لدرجة الإغماء أنا بس...

ولم تكمل جملتها ليحدث ما توقعته وصفعها على وجهها فترنحت وسقطت أرضا تبكي حالها وهو يتحدث بكل برود

. القلم ده علشان تفوقي وتبطلي شغل الحواري اللي أنت منها

لم تعد أميرة تحاول الرد فطالما ثارت ودافعت عن نفسها واعترضت وفي النهاية يتطور الأمر ويزداد نادر في غضبه حتى وصلت لكسر ذراعها في إحدى المرات وأخيرا نصحتها اعتماد هانم أن تتجنب إثارته أو الرد عليه في ثورته فنادر كما تصفه اعتماد من أطيب القلوب إلا أنه في ثورته وغضبه يتحول لوحش كاسر فعليها أن تتحمل نوبة الغضب حتى يهدأ وعادة يعود نادر معتذرا ويطلب منها الصفح واعتادت أميرة أن تصفح فهي لا تملك إلا الصفح.

كم تمنت أن تفر وتعود لدمياط وتختبئ في أحضان والدها إلا أنها خافت ثورة نادر وخافت تهديده عندما توعدها أن هي أفشت سرهم لأسرتها بأنه سيقتل أحدهم سواء والدها أو أحد أشقائها وعاشت أميرة مستسلمة خوفا من أن يحقق تهديده فتعيش بحسرتها طوال حياتها وفي هذه المرة ظلت تبكي وحيدة على الأرض حتى أسرعت طفلتها سهر لترتمي بين يديها وتنظر بغضب لوالدها وتصرخ باكية

. أنت وحش أنت ضربت مامي وأنا مش بحبك

احتضنها نادر بكل حنان رغم مقاومتها وقال لها وهو يضمها لصدره ويربت على ظهرها

. أنا ضربت مامي علشان هي عملت حاجة غلط واللي يغلط لازم يتعاقب صح يا سهورة؟

وبكل براءة توسلت له الطفلة

. مامي مش هتعمل كده تاني

ونظرت لأمها من أعلى واستطردت

. صح يا مامي مش أنتي مش هتعملي كده تانى؟

هزت أميرة رأسها ودموعها تنهمر على خديها وقالت بحزن بالغ

. صح يا حبيبة مامي

. أنا مش فاهماكي يا أميرة أنتي أيه حكايتك اليومين دول

. حكاية أيه يا هبه

. أميرة أنت هتستعبطي عليا حكاية قريبك ده إيهاب اللي كل شوية ينطلك هنا ويستناكي تروحي معاه

تنفست أميرة بحدة وصاحت وهي متحفزة ومستعدة للانفجار

. وأيه المشكلة مش الأستاذ نادر ابن الذوات رافض يتعب نفسه ويجي ياخدني بالعربية من الشغل خلاص براحته أنا بقى لما ألاقي توصيلة ترحمني من البهدلة والجري ورا التاكسيات ما استغلهاش ليه بقى

اقتربت هبة منها في حنان وملست على كتفها

. يا أميرة أنا خايفة عليكى

وبكل تحفز صاحت أميرة

. لا ماتخافيش عليا

حاولت أميرة أن تفر من مواجهة هبة إلا أن هبة أمسكتها من ذراعها وقالت بنبرة حادة

. قلتلك لو تعبانة معاه أطلقي

التفتت أميرة وقد انفجر بركانها فصرخت

. وانتي فاكرة أني طول الخمس سنين دول ما حاولتش أطلق أنا حاولت وطلبت الطلاق من أول مرة مد أيده عليا فيها من يوم ما ضربني وسقطني وأنا حامل في الشهر الثالث ولا نسيتي.. ونسيتي عمل أيه في أبويا لما استغل نفوذ أبوه ومعارفه ولبس بابا قضية تسعيرة وكان هيترمي في السجن لولا أني اتنازلت عن المحضر اللي عملته له ورجعت البيت مذلولة.. نسيتي كل ده يا هبة نسيتي لما اتهجم عليا في الشارع وأنا معاكي ولولا أنك حضنتيني كان زمانه ضربني وسط الطريق فاكرة ولا ناسية التهديد اللي وصل لجوزك يومها.. أيه خلاص كل ده اتنسى

لم تنس هبة أبدا جبروته ولا تهديداته وتهديدات رجائي بيه ذو المنصب الحكومي الرفيع، فربتت على ظهرها وقالت لها بحنان

. مش ناسية بس أنا خايفة عليكي السكة دي أخرتها وحشة

ضحكت أميرة بألم

. أوحش من كده أيه أنا أميرة اللي جري وزحف لغاية ما عبرته بقت أخرتي خدامة مالهاش قيمة عنده، ده حتى لما أتعين في المدرسة الأجنبي بمرتب خيالي وطلبت منه يا خدني معاه ضحك واتريق عليا وقالي إنهم ما بيقبلوش إلا خريجي الجامعات يا هبة أنا واثقة أنه اتجوزني علشان يعذبني ويكسرني وبس، وأنا كنت خلاص يأست من حياتي كلها يبقى لما ألاقي فرصة أحس فيها أني لسه إنسانة مش عايزاني أمسك فيها بإيدي وأسناني

وفجأة ظهر إيهاب وفي يده طفلته أميرة التي جرت بسرعة لتحتضن أميرة الكبرى بسعادة، ضمتها أميرة لصدرها وحملتها وجمعت أغراضها واتجهت للخارج يصحبها صوت هبة متوسلة

. خلي بالك من نفسك علشان خاطرى

وفي السيارة حيث جلست أميرة بجوار إيهاب وحملت أميرة الصغيرة على قدميها همهمت أميرة بصوت عالي محتجة

. وبعدين يا إيهاب قلتلك بلاش تبص لي بالطريقة دي تاني

ضحك إيهاب بسعادة وقال

. وأنا قلتلك أن ببص لبنتي مش ليكى

ابتسمت أميرة ولم تنكر سعادتها فنظرة إيهاب لها أعادت لها ثقتها بنفسها وإحساسها بأنوثتها التي أوأدها نادر بجفائه، وبحركة ساخرة ضمت أميرة الصغيرة لحضنها واستترت خلفها فضحك إيهاب وصاح بسرور

. برضه يا أميرتي شايفك قلتلك مليون مرة أنا بشوفك بقلبي مش بعيني

ضحكت أميرة وقالت بسخرية

. شفت مش قلتلك بتبص عليا واحتضنت الصغيرة وقبلتها بسعادة

انتهت وفاء زوجة إيهاب من تنظيف المائدة بعد وجبة الغداء واتجهت للمطبخ وعادت تحمل طبق الفاكهة ووضعته أمام إيهاب وسألته بحياء

. إيهاب مين أميرة اللي بتوصلها كل يوم

نظر إيهاب لوفاء وراقب ملامحها الجميلة، فوفاء كادت تعادل أميرة في جمالها وجمال وفاء لم يكن ظاهريا فقط بل أن جمال خلقها وطبعها طغيا بكثير على جمال الشكل وابتسم إيهاب وأمسك يدها بحنان ورفعها لفمه وقبلها وقال بحنان

. أقولك يا ست الكل أميرة دي مدرسة في مدرسة أميرة بنتنا وهي يا ستي كانت جارتنا في دمياط وكمان كانت خطيبة حسين جوز أختي وساكنة في طريقي فأنا باخدها في طريقنا وإحنا راجعين من باب الذوق

وصمت لثواني ثم استرسل

. بس لو ده يضايقك يبقى خلاص آخر مرة تحصل

ضحكت وفاء بسعادة وقالت

. مش للدرجة دي يا حبيبي أنا كنت بسأل بس

ومرت ثواني وعادت تنظر له وتسأله بمنتهى الهدوء

. حبيبي هو أنت سميت بنتنا على اسمها هي

لم يحاول إيهاب أن ينكر فقال بنفس الهدوء

. أيوة يا حبيبتي أنا كنت معجب بالاسم قوي وكمان أميرة دي كانت حلوة قوي زمان بس طبعا مش في حلاوتك خاالص، فأنا كنت واعد

نفسي قبل ما أعرفك أن لو رزقت ببنت هسميها أميرة ولو ولد أمير حبا في الاسم بس

ابتسمت وفاء وقالت

. طول عمرك ذوقك حلو

اقترب منها إيهاب وضمها لصدره وقال

. أكيد وإلا ماكنتش وقعت في حبك

***

8

الليلة من أسعد الليالي التي مرت على أميرة من سنوات، اليوم تميز بأنه يوم ميلادها ولم يسبق لها منذ سنوات أن اهتمت بهذا اليوم فكان يمر مرارا عابرا لا يميزه إلا اتصال هاتفي تتلقاه من والدتها ووالدها كل عام وتحاول فيه أن تدعي السعادة والسرور، كما تصر أن تدعي أثناء زيارتها السنوية لأسرتها التي لا تتجاوز الأسبوع ويرفض نادر أن يصاحبها أثنائها ولولا الملامة لرفض أن تصحبها سهر خلالها، أما هذا العام تميز يوم ميلادها منذ الصباح الباكر، فبمجرد وصولها لباب المدرسة إلا ووجدت إيهاب أمامها ظنت أنه قد أحضر أميرة الصغرى للحضانة إلا أنه فاجأها بأن أميرة لم تحضر اليوم، فاليوم خاص بأميرته الكبرى فقط وتوسل إليها ألا تدخل للمدرسة فلقد فرغ نفسه لها طول الفترة الصباحية ليحتفل معها بيوم ميلادها ولم يكن إيهاب بحاجة للتوسل ووافقت أميرة فورا وصعدت للسيارة وانطلق إيهاب لأفخر المطاعم لتناول وجبة الإفطار كان الإفطار مكونا من باتيه وكرواسون قدم إيهاب لأميرة قطعة الباتيه وأمسكتها أميرة وقسمتها لنصفين بالسكين وكانت المفاجأة.

علبة قطيفة زرقاء اللون صغيرة الحجم أمسكتها أميرة بحذر وفتحتها لتجد خاتما ذهبيا أبهرها ليس جماله ولكن ما أبهرها رقة إيهاب وحنانه واهتمامه بأن يعد لها مفاجأة تدخل السرور على قلبها فشعرت بقلبها يرقص من السعادة حتى بكت فأسرع إيهاب يحاول أن يمسك يدها إلا أنها منعته بنظرة عينيها، فقبض يده وقال برقة

. علشان خاطري بلاش دموعك دي حتى لو كانت دموع فرح دموعك غالية قوي قوي يا أميرتي

وبالفعل كانت تشعر أنها أميرة بل ملكة هذا الكون، شعرت بقلبها يعود لينبض كقلب فتاة في السادسة عشر كادت أن تصرخ من الفرحة والسعادة، تاهت في عالم آخر ترى فيه كل أحبابها وهي ترقص وتلف وتدور وتضحك تضحك من كل قلبها، ومضت ساعات النهار وأوصلها إيهاب لمنزلها.

صعدت للمنزل ودخلت للبيت وقررت أن تبقى سعيدة لباقي اليوم فخلعت ثوبها العلوي وألقته على أحد كراسي السفرة واتجهت فورا للمطبخ وقررت أن تعد أفضل وجبة غداء لنادر وطفلتها وانهمكت أميرة في المطبخ ولم تشعر بعودة نادر.

الذي أصابه الذهول عندما وجد ثيابها ملقاة بإهمال على المقعد فأمسك بثوبها وطلب من سهر الدخول لحجرتها فورا وفي طريقه للمطبخ لمح مطفأة سجائره وما زالت تحمل بواقي ما شربه في الصباح الباكر فزاد جنونه وصرخ مناديا أميرة.

خرجت أميرة مشعثة الشعر وثيابها الداخلية أصابها العرق، جرت أميرة نحوه بسعادة ولم تلحظ ثيابها التي أمسكها والمطفأة بيد واحدة، وما أن اقتربت منه بسعادة حتى بادرها بصفعة على وجهها وضعت يدها على خدها وتماسكت ولم تسقط وتحولت سعادتها لنظرة غضب فأثارت جنونه وألقى ثيابها وهو يصرخ ويكيل لها الإهانات وبكل جبروت ضرب رأسها بالمطفأة، صرخت أميرة من شدة الألم وشعرت بسخونة الدم تسال على وجهها فصاحت به

. ربنا ينتقم منك

وهنا لم يشعر نادر بنفسه وجذبها من شعرها وألقي برأسها على الحائط عدة مرات حتى سقطت أرضا فبدأ يركلها بقدمه في مختلف أنحاء جسدها لم ترحمها دموعها ولا استغاثتها وصرخت بأعلى صوتها

. أنت ظالم ظالم طلقني بكرهك بكرهك

وهنا جذبها من شعرها واتجه بها لخارج المنزل وهو يصرخ

. صحيح واطية وتربية حواري أنتي ماينفعش تنضفي أبدا

صرخت تطلب ثيابها ولم يبالي قاومت وصرخت

. هدومي هدومي أنا عريانة أنا عريانة

ولم يبالي حاولت أن تمسك ما يمكن أن يكون ساترا لها فوجدت مفرش المائدة التي تزين بها مدخل البيت فتمسكت به وجذبته معها، وألقاها بدم بارد للخارج لم يرحم دموعها ولا صراخ طفلته المتوسلة.

سترت جسدها بمفرش الزينة وجلست في مدخل العمارة لا تعرف إلى أين تذهب هل تصعد لمنزلها لربما يكون قد هدأ وربما يصبح نادما، أم هل تلجأ لأحد الجيران ولكنها تراجعت سريعا فقد يزداد جنونه وظلت أميرة تختبئ لساعات في أحد الأركان المظلمة بالمدخل حتى حل الليل فتسللت وقد عزمت أمرها أن تعود لدمياط ولكن ما سبيلها لهذا.

وبعد تفكير قررت أن تذهب لإيهاب في منزله وبالفعل سارت تبكي وهي تتشبث بمفرش الزينة ليسترها عن العيون المتسائلة والنهمة وسمعت عبارات الغزل والاشتهاء وعبارات العطف للمقهورة، وأخيرا وصلت لمنزل إيهاب، ووقفت بالباب وقد أصابها الخجل فكيف ستقابلها وفاء، فكثيرا ما وصف إيهاب لها طيبة قلبها وسمو أخلاقها ولكن مارد فعلها عندما تجد أمامها امرأة شبه عارية، فحاولت أن تذهب عنها خوفها وقلقها وأخيرا استجمعت قوتها وشجاعتها ودقت الجرس.

انتظرت ثواني سمعت خلالها حركة مضطربة بالمنزل فحاولت أن تستنج ما الوقت فيبدو أن الوقت أصبح متأخرا جدا وشعرت بألم قدميها والتعب وقد أنهك جسدها العاري وتذكرت جسدها فأحكمت قبضتها على المفرش وأخيرا أضيء نور الصالة وفتح الباب لتجد إيهاب يقف أمامها مذهولا ويحاول أن يستوعب ما يرى، وبرزت من خلفه وفاء التي أصيبت بالصدمة والذهول، شعرت أميرة بالخجل يكاد يفتك بها وأخيرا سألها إيهاب

. أميرة في إيه، إيه اللي حصل

كررت وفاء الاسم فصاحت

. أميرة جارتكم

كانت أميرة منكسة الرأس ودموعها تنهمر وبسرعة أزاحت وفاء إيهاب عن الطريق وجذبت أميرة للداخل وما أن خطت خطواتها الأولي حتى ارتمت أميرة بين ذراعي وفاء وبكت.

. صحيت من النوم يا وفاء

. لسه يا حبيبي سيبها براحتها كفاية اللي حصل لها من المجرم اللي متجوزاه

جز إيهاب على أسنانه وقال بغضب

. أنا بيتهيألي أروح أكسر له وشه ابن...

ربتت وفاء على ظهره بحنان

. اهدى يا إيهاب خلينا نفكر هنعمل أيه للمسكينة دى

. هي ماقالتلكيش حاجة إمبارح

هزت وفاء رأسها نفيا وأجابته

. خالص يا دوب على ما حمتها ولبست دخلت السرير ونامت من التعب يا حبيبتي بس قبل ما تنام قالتلي أقولك تكلم واحدة اسمها هبة تحكي لها اللي حصل وتاخد لها أجازة طويلة

اتجه إيهاب للخارج وأكد قائلا

. تمام أنا رايح المدرسة حالا وهعدي على شغلي بالمرة أخد أجازة

اقتربت منه وفاء بحنان حتى كادت أن تحتضنه وضحكت بدلال

. وأنت تاخد أجازة ليه يا حبيبي هي حجة وبعدين إحنا ستات مع بعض سيبني أتكلم معاها براحتنا ولا أنت مش واثق في قدرات مراتك حبيبتك

شعر إيهاب بالخجل فابتسم وهز رأسه بالموافقة حتى لا يثير شك وفاء

جالت وفاء في أرجاء المنزل وقد اشتد قلقها وخوفها على زوجها، وبعد تفكير أمسكت الهاتف وطلبت دمياط لكن الغريب في الأمر أنها لم تتصل ببيت حماتها ولا حتى سهير بل طلبت ورشة حسين ودار بينهما الحوار التالى

. ألو حسين أزيك وازي سهير والولاد

وبصوت أصابه الحيرة والقلق أجابها

. بخير كويسين بيسلموا عليكم

. أُمال سهير فين هي لسه نايمة

ازدادت حيرة حسين فأسرع يجيبها

. وفاء أنتي طالبة الورشة أنا كنت لسه بفتح

شهقت وفاء من الصدمة وقالت بصوت يشوبه القلق

. بجد لا مؤاخذة يا حسين القلق اللي أنا فيه لخبطلي دماغي

. خير يا وفاء في حاجة عندكم إيهاب وأميرة كويسين

وبصوت مخنوق أجابته

. مش عارفة أقولك إيه يا حسين، بس أنا قلقانة قوي على إيهاب خصوصا من ساعة ما جارتكم اللي اسمها أميرة دي ما جت البيت إمبارح مضروبة من جوزها خايفة الشهامة تاخده ويعمل مصيبة

انتبهت كل حواس حسين وتسارعت دقات قلبه، أتقصد حبيبته أميرة أتقصد أميرته التي تخلى عنها حتى لا يظلمها أقالت إنها مضروبة من زوجها وأمسك حسين رأسه وطلب منها الإفاضة والتوضيح فأسهبت له في الشرح والوصف، أنهى حسين المكالمة على عجل وهو يقول

. أنا جاي فورا يا وفاء وأوعي تقولي لإيهاب إنك كلمتيني أنا هاجي كأني رايح أسلم شغل وبمر عادي

ابتسمت وفاء بسعادة وهي تؤكد

. أنا كنت هقول كده برضه

وأغلقت الهاتف ونظرت لساعة الحائط لتحسب الوقت اللازم لوصول حسين وحدثت نفسها

. يعني لو أتحرك على طول هيكون هنا على الساعة عشرة كويس قبل إيهاب ما يقدر يستأذن من الشغل ومع اقتراب الساعة من التاسعة

استيقظت أميرة وتململت في الفراش فشعرت بالألم يسري في أنحاء جسدها فبكت من شدة الألم وتحاملت على نفسها وقامت من فراشها واتجهت للحمام ولمحتها وفاء فأسرعت بإعداد وجبة الإفطار بصورة سريعة ورن الهاتف فأسرعت تجيب وكان إيهاب كما توقعت وسألها عن أميرة فأسرعت تجيبه

. دي في سابع نومة ما تقلقش نفسك أنت يا حبيبي، أنت رحت المدرسة وكلمت هبة صاحبتها

طمأنها إيهاب بصوت مخنوق ثم قال ما توقعته وفاء

. أنا هاخد إذن على 11 كده وهاجي علشان نشوف هنعمل أيه

رفعت وفاء بصرها لساعة الحائط أمامها ولمحت أميرة تخرج من الحمام فأنهت المكالمة بسرعة قائلة

. اللي تشوفوا يا حبيبي سلام

استقبلت وفاء أميرة بترحاب وأجلستها وقدمت لها وجبة الإفطار وبصوت واهن سألتها أميرة

. هو إيهاب راح المدرسة

ابتسمت وفاء بهدوء وقالت بتحفظ

. أيوه وكلم صاحبتك هبة اطمني

هزت أميرة رأسها بأسى وحزن وتناولت لقيمات صغيرة من وجبة الإفطار لتتمكن من الصمود، كانت وفاء تراقبها بحذر فرغم الإصابات المنتشرة في وجهها إلا أنها تبدو فاتنة وتذكرت جسدها العاري بالأمس فشعرت بغصة في حلقها، وبصوت خنقه البكاء قالت أميرة

. أنا آسفة انى أزعجتكم

ابتسمت وفاء بمرارة وسألتها

. آسفة على أيه بالظبط؟

انتبهت أميرة وحاولت أن تعرف مقصدها فسألتها

. مش فاهمة

عاودت وفاء الابتسامة بحزن ومدت يدها لتساعد أميرة على النهوض واتجهت معها لحجرة المعيشة وأجلستها على أريكة مريحة وقالت لها

. هقولك قصدي أيه

انتبهت أميرة بكل حواسها وكانت أكبر صدمة حينما وجدت وفاء تصارحها قائلة

. أقولك يا أميرة قصدي إيه، أنا واحدة بتحب جوزها قوي، لا يا مرمر أنا بعشقه جوزي ده كل حياتي وأكيد أنا كأي ست بحس بجوزي قوي وبعرف لو فيه واحدة تانية دخلت حياته وأنا عارفة وحاسة كويس قوي بعلاقتك بجوزي

أصيبت أميرة بحالة من الذهول وشعرت بالدوار ووفاء تستطرد

. وأنا لولا أني مصرة أحافظ على بيتي وجوزي معرفش أنا رد فعلي كان هيكون إيه بس أنا مش هسمحلك أبدا أنك تخربي بيتي0

حاولت أميرة أن تدافع عن نفسها أن تبرر، ولكن ما هو المبرر؟ حاولت أن تكذب وتنكر ولكن إصرار وفاء وثقتها ألزمتها الصمت وتمنت أن تصمت وفاء ولكنها لم تصمت واستطردت

. بصي يا أميرة يمكن لو كان في ظروف تانية كنت هتعاطف معاكي وأشوف أن معاكي حق بعد اللي شفته إمبارح، بس أنا آسفة جدا مش قادرة اتعاطف معاكي ولا هسمح لجوزي وأبو بنتي انه يتورط في مشاكلك أنتي وجوزك أنا فكرت اتصل بجوزك وأبلغه مكانك

فزعت أميرة إلا أن إشارة وفاء بيدها ألزمتها مواصلة الصمت وقالت وفاء متراجعة

. بس أنا رجعت عن الفكرة دي مش خوفي عليكي لا قدر الله لأنك ما تهمنيش بأمانة، لكن خوفا على جوزي أنه يتورط مع جوزك

وبصوت واهن سألتها أميرة

. ووافقتي تستقبليني وأبات في بيتك ليه

ضحكت وفاء ضحكتها المريرة وقالت

. أنت كنتي متخيلة لو أنا طردتك أو رفضت أدخلك كان إيهاب موقفه هيكون أيه أكيد طبعا بالحالة اللي أنتي كنتي فيها كان هيتعاطف معاكي ويقف في وشي ويصمم على دخولك أو ينزل معاكي وفي الحالتين هكون خسرت جوزي

وفجأة رن جرس الباب بطريقة متواصلة وعنيفة فزعت أميرة بينما نظرت وفاء لساعة الحائط لتجدها اقتربت من العاشرة فابتسمت وقالت بسعادة

. في ميعاده بالظبط واضح أنه لسه بيموت في هواكي

قفزت أميرة رغم ألمها وصاحت بخوف وفزع

. هو مين ده؟

اتجهت وفاء للباب وأجابت دون أن تلتفت لأميرة

. حسين طبعا

حسين.. أقالت حسين؟ نعم لم تخدعني أذني.. آه يا قلبي ما بك أمازال هواه ينبض في أحشائك وماذا ادعت تلك المرأة أقالت أنه مازال في هواي يعيش نعم نعم وراقبت وفاء وهي تتقدم نحو الباب وفتحته وازداد قلبها ارتجافا وهي تراه يتقدم بخطوات ملهوفة لم ينظر لوفاء ولم يلقي السلام أبدا بل وقف يتأمل أميرته واقترب واقتربت وفتح ذراعيه لتذوب بين ذراعيه وتنفض قسوة الزمان على صدره وشعرت لأول مرة منذ سنين طويلة بالارتياح حاول أن يرفع رأسها لينظر إليها فأبت أن تتخلي عن حضنه، فهمس في أذنها

. حبيبتي ألف سلامة عليكي

لقد أصبحت بألف ألف سلامة لقد عادت الروح للجسد الميت ،من قال إن الأموات لا يعودون للحياة إلا في الآخرة، لقد عادت للحياة بعد موتها وأغمضت عينيها وتمنت أن تذوب وتتحلل بين يديه وفجأة سمعت صيحة فزع

. حسين إيه اللي جابك هنا؟

رفع حسين نظره لإيهاب وقال بحدة

. كنت جاي أسلم شغل وعديت أجيبلك حاجات عمتي بعتهالك بس كويس قوي أني جيت النهاردة

نظر إيهاب حوله يبحث عما أحضره حسين فلم يجد فتساءل

. هي فين الحاجة دي يا حسين؟

رغم اضطراب حسين إلا أنه مازال ثابتا وحاول أن يستدعي أفكاره ولكن وفاء أسرعت تقول

. أنا اللي طلبت حسين يا إيهاب

ولم تبالى لنظرة الغضب منه وواصلت بثقة

. حبيت أعرفك أن اللي كنت بتجري وراها وعندك استعداد تخرب بيتك علشانها أنت بالنسبة لها ولا حاجة ولسه حب حسين مسيطر عليها رغم أنها زوجة وأم

شعرت أميرة بوخزة في قلبها ورددت بصوت خافض

. سهر سهر بنتي ودفنت رأسها في صدر حسين الذي أصابه الذهول مما تقوله وفاء فهي تقر أن إيهاب عاشق لأميرة

ارتبك إيهاب وصاح

. أنا عمري ما فكرت أخرب بيتي ولا أأذيكي

ضحكت وفاء بمرارة وصرخت

. وهو أنت لما تحب واحدة غيري تبقى ما أذتنيش، لما تنام في حضني وأنت بتفكر في غيري يبقى ما أذتنيش، وعلشان إيه تقهرني وتكسر نفسي عملتلك إيه ،قصرت معاك في إيه علشان تعمل فيا كده لما تقولها أنك شايفها بقلبك يبقى ما أقتلتنيش

واصلت طعناتها وهو في ذهول لقد أنساه الحب أن ابنته أميرة كانت تتابع حوارهما وشعر بالخجل وزاد عندما استرسلت وفاء

. كل ده علشان مين اتفضل بص وشوف الشريفة العفيفة اللي كانت بتستخبى ورا بنتك علشان ما تبصلهاش إترمت في حضن مين

نظر إيهاب لأميرة التي مازالت تستتر بين ذراعي حسين وشعر بغبائه الشديد لقد كاد أن يخرب بيته من أجل ماذا؟

ولم ترحمه وفاء فصاحت

. إيه رأيك أروح أنا كمان أدور على حضن أترمي بين إيديه علشان ينسيني جوزي اللي بيخوني

ولم تعد أميرة تتحمل فهي تشعر أنها إنسانة من أقذر ما يكون ولكنها عادت لتؤكد لنفسها أنها ضحية فقررت أن تواجه وفاء فابتعدت عن حسين قليلا وصاحت بها

. أنتي حكمتي عليا بالخيانة والقذارة علشان سمحت لنفسي أسمع كلمة إعجاب من جوزك ،عارفة لو ما كنش جوزك وكان حد تاني زي حسين مثلا كنتي هتلاقي ليا ألف عذر عارفة ليه لأني أنا مش خاينة أنا ست اتظلمت واتقهرت من ليلة الدخلة، أنا أميرة اللي الكل شايفها من أجمل الجميلات أميرة اللي كانت في يوم ملكة على قلب إنسان بيعشقها، فجأة ألاقي نفسي خدامة لا لا مش خدامة أنا ولا حاجة أنا ما حصلتش الجارية حتى الجارية والخدامة ليهم حقوق إنما أنا حقي الوحيد اللقمة اللي باكلها بتعبي وشقاية، بصي لنفسك جوزك محاسب على قده وأنتي خريجة جامعية وسهل أنك تشتغلي ومع ذلك جوزك خلاكي هانم برنسيسة ست بيت وأنا اللي جوزي ابن ذوات وبيشتغل في أكبر مدرسة أجنبية وبيقبض بالدولار ومع كل ده سايبني اتمرمط في الشغل وأجري ورا التاكسيات وارجع بيتي انضف واطبخ وبالليل أسيبه يتمتع بجسمي وفي الآخر أضرب بالجزمة وتتكسر إيدي ورجلي، والجديد أني اترمي عريانة في الشارع وأفضل طول اليوم مستخبية في بير السلم وأنا بدعي ربنا ألاقيه نازل يدور على عرضه علشان ، يستره بس ولا حاجة.

اقتربت أميرة من وفاء لتقف في مواجهتها

. تقدري تتحملي العيشة دي وأوعي تقوليلي اطلقي لأني حاولت واتهددت بقتل أهلي واتلفق لأبويا قضية تسعيرة وكان هيترمي في السجن، ، ردي عليا لو كنتي في ظروفي ولقيتي اللي بيطبطب عليكي ويقولك كلمة حلوة هتعملي إيه...

كانت مشاعر وفاء مرتبكة ولكنها صرخت بقوة

. مش جوزي، مش علشان تعوضي نقصك تدبحيني، أنا ماليش ذنب

بكت أميرة بانهيار وصرخت

. ولا أنا ليا ذنب أنا عمري ما فكرت في إيهاب ولا حبيته بس أنا إنسانة والله العظيم إنسانة نفسي أسمع كلمة حلوة نفسي أحس أني ست محترمة

وزاد انهيارها والتفتت لحسين الذي سالت دموعه حسرة على مليكته التي خان حبها وسلمها بيده للذل والقهر وزاد ألما عندما وقفت في مواجهته وقالت بأسى

. أنا مش خاينة يا حسين أنت السبب أنت السبب

جذبها حسين لحضنه بقوة فدفنت رأسها بين ضلوعه وتوسلت إليه

. خدني من هنا يا حسين رجعني دمياط

سار بها حسين وهي بين ذراعيه وخرجت دون أن تلتفت لوفاء أو إيهاب، وأغلقت وفاء الباب خلفهم وأسرع إيهاب ليحتضن زوجته يطلب منها المغفرة والسماح

***

9

مر أسبوعان منذ عودة أميرة المفاجئة لدمياط بصحبة حسين التي صارت حديث المدينة كلها وبطبيعة الحال وصل الخبر لسهير التي أوشك عقلها أن يذهب فهي طوال السنوات الماضية تحاول أن تجعله ينسى حبه لأميرة وكلما ظنت أنها نجحت سرعان ما يعود لحالة الوجوم والشرود بل امتدت لأن يهمس باسمها ليلا في أحلامه، والآن عادت أميرة للوجود ولم تبق حلم يراوده، ورغم أنها واجهته بمخاوفها ورغم أنه صرخ بوجهها واحتد قائلا

. أنتي اتجننتي دي واحدة متجوزة

فصاحت باعتراض

. والمتجوزة وصلتلك إزاي وإيه اللي يخليك تسافر القاهرة مخصوص علشانها وعرفت منين أن بينها وبين جوزها مشاكل إلا لو كنت على اتصال بيها

أوشك أن يفقد صبره فقال بغضب

. سهير كلمي مرات أخوكي وهي هتفهمك أن أميرة مدرسة بمدرسة بنت أخوكي وأنها لجأت لإيهاب لما حصلت بينها وبين جوزها مشكلة وأنا كنت مسافر أسلم بضاعة عادي ولما شوفتها طلبت مني أرجعها لأهلها

بكت سهير وهزت رأسها رفضا وقالت

. أنا مش قادرة أصدق

تركها حسين واستدار وهي يصيح

. يبقى براحتك وأنتي حرة

ثم توقف وعاد إليها قائلا

. أنا لما طلبتك ما كذبتش عليكي وقولتلك أني بكرهها أو حتى نسيتها، كل اللي وعدتك بيه أني ما أظلمكيش وأظن ده حصل وأنتي وعدتيني أنك هتنسيهالي يبقى لو أنتي مقتنعة أنها لسه في قلبي يبقى غلطتك أنتي وأنتي اللي ما نفذتيش وعدك ليا0

انتهى الحوار بينهما ورفض الاسترسال في هذا الموضوع فلم يتبق لها إلا أن تراقبه بحذر عن بعد لتتدخل في الوقت المناسب0

أما حبيبة التي أصيبت بحالة من الذهول استمرت لعدة أيام كانت تموت وهي ترى ابنتها والإصابات التي حدثت في وجهها وجسدها ولامت نفسها كثيرا، ولكن كان عليها الانتباه والحذر فمحمود ابنها أصر على مقاضاة نادر وما منعه إلا أصرار أميرة على عدم توكيله لمنعه من مقاضاة نادر خوفا على شقيقها من بطش نادر وجبروته، واختلت حبيبة بعبيد وسألته

. وبعدين يا عبيد هنعمل إيه ؟وهنسيب البت كده يا خويا؟

زفر عبيد الهواء فخرج ألما يعتصر قلبه وقال لها

. وإحنا بإيدينا إيه.. إذا كان الزفت جوزها ولا عبرنا ولا سأل عنها حتى

. حبيبتي يا بنتي يا عيني على بختك البت هتتجنن على بنتها

تمنى عبيد أن يصرخ فيها ويمنعها من الاسترسال، فما أصعب إحساسك بالضعف وأنت من يتشبث به الأحباء لتكون السند والقوى.

رمقها بنظرة غضب تخفي وراءها الألم وقال هامسا

. المصيبة في حسين كل يوم عندي في الدكان بيسأل عليها وفي الآخر طلب مني أعمل المستحيل وأطلقها من جوزها وهو مستعد يتجوزها بعد العدة على طول

ضربت حبيبة فخديها بيديها وهي تكاد تولول

. ما هو كان السبب أقول إيه ادعي عليه ولا ادعيله أنه لحقها ورجعها أنا مخي خلاص

وسمع عبيد صوت جرس الباب فدفعها برقة

. طب قومي قومي شوفي مين على الباب

وتباطأت حبيبة وهي تحاول أن تسمع ما يطمئن خاطرها

. طيب قولي وافقت على طلب حسين

أوشك عبيد أن يقذفها بكوب الشاي وصرخ

. أنتي يا ولية اتجننتي هوافق على طلاق بنتي علشان تتجوز واحد متجوز غوري من خلقتي الساعة دى

أسرعت حبيبة من أمامه وهي تبرطم

. أنا قولت حاجة.. مش هو اللي قال.. بس مخك طق أنتي كمان يا حبيبة حسين إيه وبتاع إيه هي لو أطلقت تقول يا جواز تاني بلا هم

ووصلت للباب وفتحته لتجد أمامها مفاجأة غير متوقعة تماما0

***

اقتحمت اعتماد حجرة مكتب رجائي وصاحت به

. وبعدين يا رجائي هنسيب ابنك كده ؟

أخذ رجائي نفسا عميقا من سيجاره المتضخم وأخرجه دخانا يلهو به الهواء ورمقها بنظرة حيرة وسألها

. تفتكري هعمل إيه أنا تعبت معاه خلاص ،تهوره وطيشه ما بقاش مقبول ،مش قادر يفهم أنه ما بقاش الولد الصغير اللي هيضرب الأولاد في النادي أو المدرسة وأنا هساوم أهلهم بقرشين، أو بالتهديد والموضوع يخلص ،ولا قادر يقدر أن موقفي بقى محرج في الحكومة ضيع مراته

ودلوقتي إدارة المدرسة بتشتكي من أسلوبه المستفز ولولا أنهم محتاجين لي علشان شغلهم كان زمانه أتفصل من زمان

ضربت اعتماد المكتب بيدها إعرابا عن تذمرها وغضبها وصاحت

. أنا ما يهمنيش كل ده اللي يهمني دلوقتي أن مراته لازم ترجع سهر جننتني خلاص وأنا مش هقدر استحمل

رفع رجائي إحدى شفتيه ساخرا وقال بتهكم

. وحضرتك مستنية إيه اتفضلي روحي لها دمياط هاتيها وقولي لأهلها سوري معلش ابني زودها شوية بس ما فيش مشكلة يا ريت أميرة تلبس وتروح معايا علشان بنتها تعبتني خالص

جزت اعتماد على أسنانها وقالت بغضب

. حضرتك بتتريق عليا ومين دول كمان اللي أنا هعتذر لهم ما بقاش إلا بتوع الحواري كمان

أخرج نفسا جديدا من سيجاره عسي أن يحرق به غضبه وقال

. مالهم سيادتك بتوع الحواري ومالها بنتهم عاشت تحت رجل ابنك المدلع واستحملت اللي مش ممكن حد يستحمله إهانة وضرب ما نطقتش

صرخت اعتماد

. خوف.. ما نطقتش علشان خايفة منك ومن القضية اللي كنت هتلبسها لأبوها مش كرم ولا أخلاق عليا، بقى اللي زي ده كانت تحلم تتجوز نادر بيه رجائى

أطفأ رجائي ما تبقى من سيجاره وقال وهو يقف لينهي الحوار

. اعتماد أنا ما ليش دعوة بمشاكل ابنك وحطي في اعتبارك أن محمود أخو أميرة بقى محامي له وزنه وشاطر جدا جدا وأنا مش هزر

موقفي قدام الحكومة وخصوصا سيادتك أن قضية مراكز القوى من بعد النكسة قلبت الدنيا لو سمحتي أنا مش هدخل لابنك ولا هقدر أقف لحد تاني مش بعد العمر ده ألاقي نفسي معتقل على أيد محامي شاب والسبب ابنك

واتجه رجائي للخارج وترك اعتماد في ذهول ولكنه وقف فجأة والتفت لها متسائلا

. وبعدين هو فين البيه سبب المصايب دي كلها ؟الأستاذ مختفي بقاله أكتر من أسبوع ورامي بنته عندنا وأنتي أكيد عارفة هو فين

تبدلت ملامح اعتماد وبدا عليها الارتباك وقالت بتلعثم وهي تتخطاه للخارج

. وأنا أعرف منين يعني.. ما تسأل عليه مش أنت أبوه صاحب المعالي والنفوذ

تأكد رجائي أنها على علم بمكان ابنها كما زاد يقينه بأن نادر مقدم على كارثة جديدة ففتح باب حجرة المكتب وصرخ مناديا تامر ولده الذي أنهى دراسته بكلية الطب، حضر تامر مهرولا وهو يساوي وضع نظارته ويحمل بيده أحد الكتب الروائية، رمقه رجائي بغضب وصاح به

. أنت إيه.. هو الدكتور مش عايش معانا في البيت ؟

همهم تامر بلحن لفيلم رعب وقال مداعبا

. ليه بس كده يا صاحب المعالي ما أنا أهو من يوم ما استلمت تكليفي في القصر العيني بخلص شغلي وعلي البيت فورا قاعد في أوضتي مع كتبي ولا بروح ولا باجي

زفر رجائي غضبا وصاح متذمرا

. أنا عايز أفهم الزفت نادر غطسان فين

هز تامر كتفيه وقال

. معرفش حضرتك هو في....

وفجأة قاطعه رجائي وصرخ بغضب في وجهه مما أصابه بالفزع وانتفض وبسرعة شديدة وبأسلوب أقرب للسخرية قال تامر

. حضرتك هو سافر الإسكندرية يرفه عن نفسه شوية

ابتسم رجائي بحدة واقترب من تامر ووضع يده على كتفه وقال بحزم

. وطبعا مش لوحده

وبنفس السرعة والأسلوب الساخر اعترف تامر

. لا طبعا يا فندم معاه ناني فواز بنت صاحب المعالي عمرو بيه فواز واستطرد سريعا

. وقبل ما تغضب وتثور هما اتجوزوا عرفي ،ده الكلام اللى وصلنى من الشلة كلها، وقرروا يسافروا يقضوا أسبوع عسل

نفض رجائي يده من على كتف تامر الذي بدأ يحرك كتفيه لأعلى وأسفل وتحول غضب رجائي لبركان يكاد أن يفور في وجه تامر وهو يصرخ

. ما لقاش إلا بنت عمرو فواز

وبسرعة قال تامر مهدئا

. يا بابا مش أول مرة يعملها ولا دي أول مرة لناني وحضرتك عارف وعمرو بيه نفسه عارف اطمن يا بابا

انتبه رجائي وقال مكررا

. أنت متأكد أن عمرو عارف

هز تامر راسه بالإيجاب وقال

. عارف يا بابا وبعت لها فلوس مع اشرف صاحبهم اللي في الشلة

تنفس رجائي بارتياح ولكنه ما لبث وعاد لثورته وغضبه وكرر

. والحيوان ده ما لقاش إلا ناني فواز؟

زفر تامر ضيقا وقال معترضا

. يعني يا بابا المشكلة في مين ولا المشكلة أنه أصلا أب وزوج والمفروض أنه مدرس بيربي أجيال

وقال رجائي بتهكم

. وسيادتك ما قلتلوش الكلمتين دول ليه

رفع تامر إحدى شفتيه وهمهم ساخرا

. وهو من امتي بيسمع لي ولا حتى بيهتم بيا ولا بغيري ده حتى بنته الغلبانة رماها لماما واختفى ومراته ما يعرفش عنها حاجة يا بابا نادر ماشي بدماغه وحضرتك عارف كده كويس

لم يجادل رجائي ودعا ربه أن تمر هذه الزيجة على خير فهو لا قبل له بمواجهة عمرو فواز أبدا

اقترب وقت العصر وأنهى نادر سيجارته العاشرة ونظر إلى مطفأة السجائر فوجدها امتلأت لحافتها ولم يعد بها موضع لسيجارة أخرى فزفر غضبا واتجه إلى الفراش الذي يتوسط حجرته بفندق فلسطين وراقب ناني وهي تغط في نومها وهي شبه عارية وتذكر ليلتهم الماجنة بالأمس وابتسم إلا أن ابتسامته تحولت لغضب عندما ألقي نظره على الحالة السيئة التي وصلت لها غرفته بأفخر فنادق الإسكندرية.. فناني تظل نهارها تغط في النوم حتى وقت العشاء تستيقظ لتبدأ يومها بتناول الطعام في الخارج والتنقل بين حانات وبارات الإسكندرية مع نادر ولا تتيح الفرصة لخدمة الغرفة بتنظيفها فهي تلقي مجوهراتها بإهمال ولن تسمح لأحد بالدخول دون وجودها أبدا ولأيام حاول نادر أن يقنعها بالاستيقاظ مبكرا وإتاحة الفرصة للخدم لتنظيف الحجرة إلا أن محاولاته باءت

بالفشل بل والسخرية من هاجس النظافة لديه واليوم فاض كيله وانتهى صبره وصمم على أن تنظف تلك الحجرة أو ليتركها ويعود للقاهرة وبكل إصرار اقترب من فراشها ونكزها وهو ينادي عليها تململت في الفراش ثم استيقظت متأففة وزاد غضبها عندما رأت الوقت مازال نهارا فهبت من الفراش وجلست وهي تصرخ بغضب

. إيه في إيه الدنيا ولعت القيامة قامت أمك ماتت بتصحيني ليه؟

تغاضي نادر عن وقاحتها وقال متأففا

. كفاية بقى فوقي أنا مش قادر استحمل القذارة دى

انتفضت ناني وانتبه عقلها، وفكرت لثواني هل علم نادر بخيانتها له مع أشرف بالأمس، ولكنه كان مخمورا ولم يلحظ غيابها مع أشرف، هكذا أخبرتها ماجي صديقتها أو ربما أخبره أحدهم، وبسرعة شديدة رتبت أفكارها وحدثت نفسها ،وأن يكن فزواجهما عرفي ومؤقت فلقد قررت أن تنهي الزيجة بمجرد عودتهما للقاهرة فقررت أن تلزمه حده فصرخت بهستيريا

. أنت اتجننت يا حيوان

جحظت عيناه وأصيب بالذهول وفقد عقله وصرخ فيها

. حيوان أنتي بتشتميني يا سافلة

وأسرع نادر وصفعها على وجهها فصرخت بقوتها وهبت من فراشها وحاولت أن ترد صفعته إلا أنه ألحقها بالثانية فزاد جنونها فأسرعت تهرول خارج الحجرة وهي شبه عارية وهرع نادر خلفها وجذبها من شعرها وهي تواصل صراخها وتملصت منه وجرت إلى غرفة لا تبعد عن غرفتهما إلا قليلا وطرقت الباب بطرقات حادة ومتوالية وقد خرج نزلاء الحجرات الأخرى ليستطلعوا الأمر وأخيرا فتح باب الحجرة في لحظة وصول نادر ومحاولته ركلها بقدمه ليخرج أشرف الصديق الخائن فترتمي ناني بين

ذراعيه ويصد أشرف نادر وهو يحاول أن يستجمع الموقف ويفهمه وصرخ أشرف في نادر بعد أن أدخل ناني داخل الحجرة وعاد سريعا ليصده

. نادر أنت جرى لمخك أيه دي ناني فواز أنت نسيت نفسك

وصرخت ناني من داخل حجرة أشرف

. أنا هوريك إزاي تمد إيدك على أسيادك يا كلب ولا فاكرني بنت الحواري اللي أنت متجوزها وديني لخلي بابا يسجنك أنت وأهلك

تلاحقت أنفاس نادر بينما أغلق أشرف الحجرة على ناني وهي تواصل صراخها وبقي هو مع نادر وأمسكه من كتفيه وصاح به

. فوق يا نادر اصحى لنفسك.. شوف أنت عملت في نفسك أيه.. عمرو فواز لا يمكن هيسيبك أبدا لازم تدخل تعتذر لها وتبوس أيدها علشان تسامحك

كانت نظرات نادر زائغة وقد بدأ يستوعب الموقف فعمرو فواز لن يتركه بالفعل وسيكون هو سبب في نشوب حرب بين والده وعمرو ستنتهي مؤكدا بفوز عمرو، ولن يغفر له والده أبدا فهز رأسه بالموافقة والقبول.

تركه أشرف ودخل الحجرة، فووجد ناني قد أشعلت سيجارة من علبته وتتنفس دخانها بشراهة، فتقدم نحوها واحتضنها بحنان، وبعد عدة محاولات أقنعها بقبول اعتذار نادر، فوالدها وفي ظل هذه الظروف التي تمر بها البلاد قد يستغل أعداؤه الفرصة، وربما صب والدها غضبه عليها هي، فعليها أن تقبل الاعتذار ووعدها وعدا قاطعا بأن حقها لن يضيع وسيحقق لها الانتقام من نادر بنفسه.

واعتذر نادر وقبل يدها ،وقبلا دعوة أشرف للسهر في الخارج وعادا لحجرتهما للاستعداد وكلا منهما يحمل غضبا وكرها للآخر وخرجا معا، وقضيا سهرتهما وأخيرا بعد أن فهم أشرف الأمر وأن نادر ما قصدها هي

بالقذارة وإنما كان يصف حال حجرته، أقنع أشرف نادر بحجز حجرة مجاورة لحجرتها ووافق نادر ليتخلص من إهمالها وابتسمت ناني بسعادة وهي تغمز لأشرف عشيقها، انتقل نادر لحجرته الجديدة واستمتع بالنوم في فراش نظيف ومطفأة نظيفة وتذكر أميرة وما عانته معه ولأول مرة يشعر بالحنين والشوق لها فابنة الحواري الجميلة تحملت ما لا يتحمله بشر ولم تجرؤ يوما على إهانته أو التصدي له أما هذه الغبية فلا وجه للمقارنة بينها وبين أميرته وقرر نادر أن يعود في اليوم التالي للقاهرة وينهي هذه الجريمة التي أوقع نفسه وأسرته كلها فيها، وسمع نادر خبطات رقيقة على باب حجرته فابتسم فلابد وأن ناني اشتاقت له وترغب في مشاركته الفراش وابتسم بانتصاره وفتح الباب وكانت المفاجأة.

***

10

الظلم إحساس قاتل يصيب الروح بالوهن، والظالم أحيانا يجد لنفسه ألف عذر وعذر ليبرر ظلمه، ولكن عندما يتعرض هو نفسه للظلم لا يرى أي مبرر لظالمه، وهكذا كانت سهير التي قبلت وبكل ارتياح أن تتزوج حسين رغم أنها تعلم حب أميرة له وحبه وعشقه هو لأميرته ولكنها بررت لنفسها ظلمهما لأميرة، والآن تستشعر هي الظلم ممن ظلمتها قبل سابقا وبمشاركة نفس الظالم فانقلبت العاقبة، وفتحت حبيبة الباب لتجد سهير تقف بباباها ورغم ذهولها إلا أنها ما لبثت أن أوسعت لها الطريق وهي ترحب بها على مضض.

دخلت سهير وهي كلها يقين أنها مظلومة وقد حضرت لمواجهة أميرة لتمنعها من ظلمها لها ولأولادها ولم تنتبه أنها هي من بدأت بالظلم إلا عندما وجدت نظرات حبيبة التي تنطق بالكره والحقد عليها ففكرت لثوان أن تفر فورا وحدثت نفسها بمقدار غبائها وتخلفها ولكن سبق السيف العذل ولم يبق أمام سهير بعد التحية والسلام الفاتر إلا أن تطلب أن تلتقي بأميرة.

فكرت حبيبة أن تنكر وجودها أو تدعي نومها وأخيرا استقر رأيها أن تستدعيها فالفضول كاد أن يقتلها لمعرفة ما ستقوله سهير، فرغبة عارمة أصابت حبيبة في أن تخرج غضبها المكبوت لسنوات، فلم لا تستغل هذه الفرصة وتتحين الخطأ المناسب من سهير لتنفث عن غضبها وبالفعل استدعت أميرة التي باتت اقرب للشفاء، وانبهرت سهير عندما رأت أميرة رغم ما تعرضت له من قسوة وظلم إلا أنها مازالت محتفظة بجمالها بل وزاد سحرها أكثر كثيرا فجمالها أصبح الجمال الأنثوي الفاتن، وتقدمت أميرة لتحية ضيفة غير مرغوب فيها ورمقتها أميرة بكل الكره الذي تحمله لذكرى الأيام القاسية التي مرت بها.

وراقبتها أميرة وشعرت بسعادة بالغة فسهير لا تضاهيها جمالا أبدا وأبعد ما تكون عن أن تصبح موضع مقارنة معها بل وزاد وزنها وأصبح

جسدها كتلة واحدة يكسوه الشحم فزادت ابتسامة أميرة وشعرت سهير بسعادة أميرة وبحسها الأنثوي أدركت أن أميرة تقارن بينهما من حيث الشكل وأدركت أنه شتان للمقارنة بينهما وأنها خسرت أول معركة بل وهُزمت شر هزيمة وتمنت سهير أن تهاجمها وتستعرض بزوجها الإنسان البسيط ذو الخلق ورجل البيت المحب لأبنائه وزوجته وهنا توقفت فهي تعلم أنه لم يحب إلى الآن إلا أميرة فها هي تنتصر عليها في هذا الجانب أيضا.

وبعد طول الصمت الغير مبرر فهاهى كلتا السيدتين تعيشان في خيالهما قصة تحدي للأخرى بطلها شخص واحد فقط، قطع الصمت صوت حبيبة وهي تسأل سهير

. تشربي إيه؟

انتبهت سهير واعتذرت قائلة

. لا شكرا يا طنط أنا جاية اطمن على أميرة واتكلم كلمتين معاها على انفراد لو سمحتي يا طنط

شمرت حبيبة ساعديها واستعدت للهجوم لولا أن منعتها أميرة بنظرة من عينيها وإشارة من رأسها، وطلبت أميرة بتحد من أمها أن تدعها وسهير وحدهما قليلا.

رحلت حبيبة وهي متذمرة، واعتدلت أميرة لتكون في مواجهة سهير وبكل قوة وثقة سألتها

. خير يا مدام سهير إحنا بقينا لوحدينا أهو

تسارعت دقات قلب سهير، ونست كل ما أعدته سابقا لمواجهة أميرة، حاولت أن ترتب أفكارها ولكن خانها تفكيرها لقد اختلطت حساباتها لقد أوهمها عقلها أنها ستجد أميرة وقد جار عليها الزمان وترهل جسدها

وذهب جمالها وانكسرت روحها ولم يخطر ببالها قط أن قسوة الزمان زادتها جمالا فوق جمالها، راقبتها أميرة بسعادة وهي تستعد لمواجهتها .

وخرجت من أميرة ضحكة ساخرة وهي تهز رأسها تعجبا وقالت

. وبعدين هتفضلي تبصي لي كده كتير.. زمانك حفظتي شكلي وأتأكدتي أنى لسه زي ما أنا جميلة وما انكسرتش ولا هنكسر طبعا إيه اللي ممكن يكسرني

اشتعل قلب سهير غضبا فقالت بتهكم

. يمكن جوزك اللي كسرك، أصل سمعت قبل كده أنه كسرلك دراعك

ضحكت أميرة عكس ما توقعت سهير ولكن أميرة استعدت نفسيا لمواجهتها فقالت بسعادة وهي تواصل ضحكها

. في دي معاكي حق جوزي كسرلي دراعي لأن بختي ونصيبي اتجوز راجل من كتر حبه فيا اتجنن كسرلي إيدي وكمان ممكن يقتل قتيل علشان خاطري بس دي حاجة ماتزعلنيش وخصوصا لما ألاقي اكتر من راجل يحبنى ويتمنى رضايا.. لا وبيجروا ورايا مع أني يا عيني متجوزة راجل مختل بس نقول إيه الحب يعمل المعجزات حتى اسألي إيهاب أخوكي.. لا ونبعد بعيد ونسافر ليه ما الأقرب تسألي جوزك حسين خطيبي السابق اللي افتكرتي أنك خطفتيه مني ويا حرام عشتي الوهم أنه نسيني خلاص

كانت سهير تنهار أمامها وتشعر بالضعف والوهن وازدردت ريقها بصعوبة وقالت بصوت واهن ضعيف

. أنتي بتعترفي أنك على علاقة بجوزي

السعادة هي أن تشعر بقوتك أمام من حاول كسرك يوما، ولم يكن في الكون أسعد من أميرة في تلك اللحظة وهي ترى ألد أعدائها مكسورة ومهزومة فضحكت بسعادة وقالت وهى تنكر

. أنا على علاقة بحبي الأول، لا طبعا وبعدين أنا لو على علاقة بكل راجل هيحبني تبقى مصيبة يا نهار أبيض ألاقي وقت منين

زاد حنق سهير وتقدمت أميرة أكثر منها وقالت بتحدي

. بس اطمني مش أميرة عبيد اللي ممكن تبيع نفسها أو تهين كرامتها وتخون جوزها أبدا

زفرت سهير بارتياح إلا أن أميرة أبت عليها الراحة فقالت وهى تضحك

. بس أنا ما ليش دعوة بقى باللي بيحبني وبيجري ورايا ولا باللي مستني بس أطلق علشان يبيع الكل ويرجعلي.. دي حاجة ما ليش ذنب فيها ولا إيه يا سهير؟

وابتعدت قليلا ثم استطردت

. آه صحيح وأنتي هتعرفي منين وأنتي يا عيني مجربتيش إحساس أنه يكون في راجل بيحبك وبيموت فيكي.. عارفة إحساس رهيب فعلا إحساس بيخليكي تطيري فوق السما فوق كل البشر بيرفعك لفوق لفوق وسط السحاب والنجوم

وفجأة صرخت سهير منهارة وقالت وهي تبكي

. بس كفاية حرام عليكي أنا عارفة أنك اتظلمتي وعارفة أنك فاكرة أن أنا اللي ظلمتك.. لا يا أميرة لو حد اتظلم يبقى أنا.. أنا اللي اتظلمت في الأول وفي الآخر كمان.. أنا وعيت على الدنيا والكل بيقول سهير لحسين كل العيلة كانت بتعاملني على أني خطيبة حسين من صغري أمي علمتني شغل البيت وأنا يا دوب سبع سنين علشان خاطر حسين.. دخلتني المطبخ وعلمتني كل الأكلات اللي بيحبها حسين.. كنت ببص لنفسي في المرايا وأراقب جسمي وأتفرج عليه وأسأل نفسي يا ترى هيعجب حسين.. دنيتي كلها كانت حسين ما حاولتش أسأل حتى حسين بيحبني ولا لأ لأني بتاعته وهو بتاعي وفجأة لقيتهم بيقولولي لا معلش حسين ما بيحبكيش حسين

بيحب أميرة.. مين أميرة دي معرفش تعرف إيه عننا تعرف حسين بيحب إيه بيكره إيه أنتي ما تعرفيش حاجة عنه.. أنا اللي اتربيت وعشت واتعلمت كل حاجة بيحبها وسكت واتكتمت وقعدت اتفرج على شقتي اللي بقت شقتك بين يوم وليلة وهو بيجهزها وبيفرشها وهو فرحان واتكتمت لغاية ما جالي في يوم وقالي أنا محتاجك أنا عايزك تساعديني أنسى أميرة أنسى اللي خطفتني منك وأرجعلك تفتكري أرفض وأقول لأ.. لو أنتي مكاني ولقيتي حلم عمرك اللي ضاع منك بيرجعلك تاني هتعملي إيه... أنا ماظلمتكيش أنا اللي اتظلمت لما عشت عمري أحبه ولما اتجوزته بقيت كل يوم أراقبه استنى لما يضحك علشان اطمن أنه راضي عني وقلبي يقف لما أسمع أنك بتزوري أهلك... عارفة لما مرات أخويا جابت بنتها وإيهاب سماها أميرة.. عارفة إحساسي إيه وأنا جوزي بيحضنها كنت حاسة أنه بيحضنك أنتي

وانهارت في البكاء حتى احمرت عيناها وتقدمت أميرة منها بهدوء واحتضنتها وبكت حالها معها

ورفعت أميرة رأس سهير وقالت لها وسط دموعها

. أنا ما ليش ذنب أنا لما حبيت حسين ما كنتش أعرف أنك موجودة ولا بتحبيه

اقتحمت حبيبة التي كانت تسمع حوارهما المكان وقالت وهي تشاطرهم البكاء

. يا عيني على الولاية رجالة ولاد ستين..... علشان كده طول عمري بقولك يا أميرة بلا جواز بلا نيلة الشهادة أبقالك مليون مرة

وغيرت نبرتها وقالت بجبروت

. اتكتمي منك لها مش عايزة أسمع صوت واحدة بتعيط، بتعيطي على إيه يا خايبة أنتي وهي والله ما في راجل يستاهل ولا حتى ولادي

ثم اتجهت لسهير وجذبتها إليها وقالت لها بكل حسم

. اسمعي يا بت أنتي جوزك ده ما يلزمناش، ده جوزك أبو ولادك يعني ترجعي بيتك وتظبطي حالك وتفردي الضحكة على وشك وفي بطنك شادر بطيخ صيفي ولا يهمك حاجة خالص

ابتسمت سهير بحزن بينما أسرعت أميرة تحتضنها وهي تقول

. اسمعي كلام خالتك حبيبة دي كل كلامها حكم والله يا ريتني سمعت كلامها ومشيت وراها

التفتت لها حبيبة وقالت

. لا والنبي الوقت لسه ما ضاعش وكلامي هتسمعيه هتسمعيه يا بنت عبيد من بكرة هتنزلي وتقدمي في الثانوية العامة

أصيبت السيدتان بحالة من الذهول وظنت أميرة أن أمها تعبث معها إلا أن حبيبة عادت وقالت بإصرار

. أنا ما بهزرش يا بنت عبيد إحنا مش هنقعد حاطين إيدينا على خدنا مستنين الرضا من سي نادر ولا غيره أنتي هتكملي علامك وحتى لو اتصالحتي مع جوزك برضه هتكملي علامك

دنت منها أميرة وسألتها وهي تضع يدها على كتفها لعلها تستمد منها القوة

. وسهر بنتي؟

ورغم ان وخزة أصابت قلب حبيبة إلا أنها استجمعت قوتها وواصلت بحزم

. مالها سهر مع أبوها وجدها وجدتها وهتفضل بنتك ما حدش هيقدر يغيرها ومسيرها هترجع لحضنك بس ترجع تلاقي أمها واقفة على رجليها مش مكسورة مستنية رضا أبوها

***

اقترب نادر بسعادة وهو يساوي خصلات شعره بيده ويستعد لملاقاة ناني وقد عزم على أن يجعلها طوع يديه الليلة وما أن فتح باب الحجرة حتى وجد أمامه ثلاثة رجال ضخام الجثة تقدم أولهم وأمسك بنادر من ذراعيه حاول نادر التملص من يده ولكن هيهات وعز عليه أن يصرخ طالبا للنجدة ووقفت ذاكرته عند مهاجمة الشخصين الآخرين له وكال أحدهما له عدة لكمات أصابت وجهه بينما تقدم الآخر وركله في بطنه حتى سقط مغشيا عليه.

فتح عينيه ليجد نفسه في حجرة غريبة الشكل تفحصها بنظره فاصطدم بصره بأمه اعتماد وهي تجلس على أحد المقاعد المجاورة لفراشه فاستجمع قوته ونادى عليها، فتحت اعتماد عينيها وهبت واقفة في سعادة وتقدمت نحوه وهي تنادي

. رجائي نادر فاق حبيبي يا ابني

وظهر رجائي من خلفها وأسرع نحوه، حاول نادر أن يرفع رأسه فلم يستطع فأسرعت اعتماد تطلب منه التزام مكانه واتجهت لرجائي بسرعة وطلبت منه استدعاء أحد الأطباء، وبالفعل خرج رجائي على عجل مناديا للطبيب، وبعد معاناة سأل نادر والدته

. أنا فين؟

. في القصر العيني يا حبيبي

زم ما بين حاجبيه وسأل في وهن

. هو أنا مش كنت في إسكندرية؟

ملست اعتماد على شعره بحنان وقالت

. إحنا جبناك بعربية إسعاف على هنا يا حبيبي

ضاق صدره وحاول استنشاق الهواء فوجد صعوبة فأسرعت حبيبة تطالبه بالهدوء وستقص عليه ما حدث ورغم ذلك صاح بصعوبة شديدة

. أنا هنا بقالي أد إيه؟

ربتت اعتماد على كتفه وقالت له

. بقالك أسبوع بس علشان خاطري ارتاح يا نادر وأنا هقولك كل اللي أنت عايز تعرفه بس اهدى

والتفتت تنظر للباب وهي تصيح

. هو أبوك راح يجيب الدكتور منين؟

مر أسبوع آخر على نادر وما زال طريح الفراش فإصابته كادت أن تودي بحياته فكسر أحد ضلوعه ليخترق الرئة اليمني واحتاج الأمر لجراحة كبيرة ، وحاول نادر أن يعرف ما جرى وأخيرا قص عليه رجائي أنه تلقى اتصالا من إدارة الفندق تخبره بالعثور على نادر في حجرته بحالة يرثى لها وأنه أسرع وشقيقه تامر بالسفر للإسكندرية وأصر رجائي على نقله بالإسعاف للقصر العيني.

ونظر نادر له بخجل وسأله

. ونانى؟

زفرت اعتماد بغضب كاد يشعل الحجرة وقالت بحدة

. الهانم جت زارتك مع أبوها وجابتلك ورد كمان وأبوها هدد أبوك لو حد فينا نطق أو اتكلم.. لا والهانم من وقاحتها بتقولي خليه لما يفوق يطلقني ولا حتى ما يطلقش ما يهمنيش أصلا

تذكر نادر كيف استخدم نفوذ أبوه وهدد عبيد وأميرة يوما ما وها هو قد رد الله لأميرة حقها فسبحان من لا تضيع لديه مظلمة.

تحامل على نفسه وقال

. أميرة أنا عايز أميرة يا ماما

نظرت اعتماد لرجائي وكأنها تأمره أن يحضر دمية لطفلها الصغير فاعترض رجائي وقال موجها كلامه لنادر

. أنا هبعت أعرفهم أنك في المستشفي بس ما تتوقعش أنها هتيجي

صاحت اعتماد بغضب

. ليه بقى ده أنا كنت أطلع عينها

ضحك رجائي بسخرية وقال لها

. أنتي ما فيش فايدة فيكي يا شيخة اتقي الله وشوفي ابنك جراله إيه ده ذنب بنت الناس الغلبانة اللي إحنا بهدلناها معانا

وفجأة بكى نادر كالأطفال وقال

. تفتكر يا بابا هتسامحني؟

أمسك رجائي بيده بحنان وقال

. دي بنت أصول يا نادر بس يا رب تكون اتعلمت الدرس

***

11

. مش هسمحلك تهدني مش هقبل أرجعلك تاني إلا لو عرفت أني هكون حبيبتك قبل ما أكون مراتك أنا ليا عليك حقوق وهطالبك بيها.. وعمري ما هغفر لك يا إيهاب أنك حكمت عليا أعيش عمري كله افتكر خيانتك مع كل مرة هنادي فيها بنتك

حاول إيهاب بشتى الطرق أن تغفر له زوجته زلته ولكن وفاء رغم طيبة قلبها إلا أنها من النساء اللاتي لا تنسى الخيانة بسهولة أبدا ولأنها تعلم أنها لو سامحت بسهولة فهي تعطي لإيهاب الفرصة ليعاود التفكير في أميرة فكان عليها أن تصبح صعبة المنال لينشغل عقله بمحاولات نيل العفو والمغفرة.

ونجحت وفاء لحد كبير فإصرارها على ألا تترك بيتها وأن تبقى أمامه ليلا ونهارا دون أي حوار أو حديث بينهما وإبداعها في إظهار مفاتنها جعله مشغول البال بكيفية نيل رضاها مرة أخرى، فنسى أميرة وعشقه لها ولم يحاول حتى الاتصال بدمياط للاطمئنان عليها.

وفي صباح أحد الأيام وصل إيهاب ابنته أميرة إلى المدرسة واتجه للانصرف فورا كما اعتاد ولكن أثناء انصرافه أوقفته هبة في محاولة للاطمئنان على زميلتها أميرة، حاول إيهاب إنهاء المحادثة وأخبرها أنها منذ عودتها لدمياط لم يعد يعرف عنها أي خبر والتفت للرحيل ولكن هبة أسرعت لتمسك بذراعه بقوة وجذبته نحوها حتى كاد أن يلتصق بها سهوا أو كما ادعت بأن شهقت وارتدت للخلف معتذرة وقالت بصوت باكي

. آسفة.. بس أنا أصل مضايقة قوي ونفسي اطمن على أميرة مش عارفة أعمل إيه خصوصا أني معرفش نمرة حد من أهلها في دمياط

شعر إيهاب للحظة بجفاف حلقه وحاول ابتلاع ريقه الجاف فعصى عليه الأمر فإيهاب لأسابيع يحاول استرضاء زوجته التي امتنعت عن فراشه وها هي هبة تحاول التقرب منه.

ولم يخب ظن إيهاب فهبة بالفعل تحاول أن تتقرب منه وأصبح لديها رغبة قوية في أن تحل محل أميرة في قلب إيهاب لقد أثارها حبه واهتمامه بأميرة تلك المشاعر والأحاسيس التي تعاني الحرمان منها منذ قرر زوجها السفر للخليج للعمل وتركها وحيدة دون ونيس.

قاومت هبة شيطانها كثيرا وصدت عدة محاولات لمراودتها عن نفسها بكل قوة ولكنها اشتاقت لكلمات الحب والغزل وبالأمس اتصلت بزوجها عبد الرحمن وطلبت بل وتوسلت له أن يعود أو يرسل لها لتبقى لجواره ولكنه اتهمها بالأنانية وأنها غير جديرة بتحمل المسئولية سألته أي مسئولية وهي تعاني الوحدة وطال الجدال دون أن يقتنع أحد الطرفين بوجهة نظر الآخر وأنهت مكالمتها وأصرت أن تعيش لنفسها فالعمر يضيع منها وهي وحيدة.

وبالفعل نجحت أولى محاولاتها فالتقى المحرومان معا واقترب منها إيهاب وقد بدا عليه الاضطراب وقدم لها منديلا لتمسح دموعها التي ادعت أنها بسبب قلقها على صديقتها وما كانت إلا لحالها وحرمانها.

قبلت هبة المنديل وأمسكت به فأمسك إيهاب يدها فاستسلمت له وطلب منها أن تسمح له بأن يقلها لمسكنها نهاية اليوم فقبلت على وعد كاذب منه أنه سيحاول أن يحصل لها على رقم هاتف بيت أميرة بدمياط.

وفي هذه المرة تعلم إيهاب الدرس جيدا فعاد مبكرا واصطحب ابنته من الحضانة وعاد بها إلى البيت وفوجئت وفاء عندما دق الجرس بأميرة تقف وحدها فسألتها عن والدها فقالت الطفلة ببراءة

. معرفش هو طلعني السلم وضرب الجرس ونزل على طول

احتار عقل وفاء ولكنها حدثت نفسها أنه ربما نسى حقيبته بالسيارة أو عاد ليركن سيارته أو ليشتري علبة سجائر وأسرعت لإبراز زينتها ومفاتنها وانتظرته حتى تثير جنونه وتتمنع عنه ككل يوم طوال الأسابيع الماضية وطال انتظارها.

وعاد إيهاب سريعا إلى المدرسة وخرجت هبة لتجده في انتظارها فرقص قلبها فرحا فما أحوجها لأن تشعر بالاهتمام الآن وركبت بجواره وكل حواسها تنطق برغبتها فيه، ولاحظ إيهاب تسارع أنفاسها ومد يده ليمسك يدها فاستسلمت له فرفع يدها وقبل باطن كفها فانهارت مقاومتها ولولا وجودها بالشارع لنزعت ثيابها بكل ارتياح وباندفاع الشهوة جذبت يده لتضعها على صدرها ومد يده ليتسلل بين ثيابها وقرر إيهاب دون أي حوار أن يتجه بها لأحد الفنادق المشبوهة لم يفكر إيهاب إلا في شهوة سيطرت عليه ويحتاج لمن تشاركه شهوته .

نزلت هبة من السيارة دون أي كلام وحجز إيهاب غرفة وصعد وهو يحتضن يدها بين يديه وشاركته هبة الفراش بكل ارتياح وانتهت الشهوة ليأتي الندم، فما بعد الشهوة المحرمة إلا الحسرة والندم، وندم الأنثى أشد ألما ووطأ على نفسها من الرجل وأسرعت هبة لتستر جسدها العاري دون أن تلتفت للخلف ودون أن تنظر لإيهاب الذي أشعل سيجارة من علبته ونفس دخانها في الهواء وهو يتخيل حسرة وفاء لامتناعها عنه.

انتهت هبة من ارتداء كامل ثيابها واتجهت للخارج وفي طريقها آثار حنقها أنه لم يحاول منعها أو الحديث معها فقالت له بكل برود

. أنا مش عايزة أشوف وشك تاني أبدا وانسى اللي حصل بينا ده تماما

انتبه إيهاب لها ولاحظ أنها ارتدت ثيابها واستوعب غضبها فنفض عنه غطاءه وأسرع عاريا لمنعها من الخروج إلا أنها كانت أسرع فخرجت وطرقت الباب خلفه، عاد إيهاب للفراش وبدأ يجمع ملابسه المتناثرة ليرتديها بسرعة وهو يصيح

. بنت المجنونة هو أنا ناقص جنان، بس لأ مش ممكن أضيعها من إيدي أهي دي اللي هتجيب وفاء الأرض بجد.

قطعت وفاء حجرة الصالة ذهابا وإيابا وعقلها كاد أن يجن، ونفد صبرها فأسرعت للهاتف واتصلت بمكتبه في الشركة التي يعمل بها فأخبروها بموعد انصرافه مبكرا وعدم عودته للآن فزاد جنونها ولم تعد تتحمل فاتصلت بوالدتها لتبث لها قلقها، ولامتها السيدة عواطف والدتها فقالت لها بغضب

. أنا قولتلك أنك زودتيها قوي يا وفاء ما ينفعش اللي بتعمليه ده أنتي مش هتربيه وتعلميه الأدب دي نزوة وعدت وأنتي عالجتي الموقف بذكاء يبقى خلاص تحاجي على جوزك وبنتك

وبإصرار حاولت وفاء الدفاع عن وجهة نظرها

. يا ماما قولتلك أنا لو كنت سامحته على طول كنت هديله فرصة يرجع يفكر فيها تاني

تأففت عواطف وقالت

. مش كل المدة دي وما تمنعيش نفسك عن جوزك كده هتخليه يغلط ويعمل حاجة حرام ساعتها بقى هتعملي إيه؟

شهقت وفاء بفزع وصرخت

. ده أنا كنت قتلته ولا يمكن أقعد على ذمته ثانية واحدة

ردت عليها عواطف بسخرية

. والله كويس قوي أنتي كده فعلا عرفتي تحافظي على بيتك وجوزك

أغلقت وفاء الهاتف وقد زاد قلقها وعادت لتستجوب أميرة للمرة الخامسة وأجابتها الطفلة وهي على وشك البكاء نفس جوابها الأول .

صرخت وفاء بغضب حتى انتفضت الطفلة وبكت أسرعت وفاء تحتضنها وتهدئ من روعها، وغابت الشمس وخيم الظلام وأخيرا عاد إيهاب منتشيا وسعيدا ومر بها ولم يلتفت لها رغم أنها أسرعت تكشف ثيابها وتبرز ما بين نهديها فأصيبت بالصدمة وراقبته وهو يتجه لحجرة المعيشة ويغلق الباب خلفه بكل برود، كادت وفاء أن تصرخ إلا أنها تحاملت واتجهت لحجرة المعيشة ودون أن تطرقها اقتحمت الحجرة لتجده يقف في منتصف الحجرة وظهره لها لم يحاول الالتفات إليها فصاحت ببرود

. أجهزلك الغدا.. لأ غدا إيه بقى أجهزلك العشا

ابتسم ورفع إحدى شفتيه ساخرا وقال دون أن يلتفت لها

. يا ريت بس جهزي لي الحمام الأول

ضربت وفاء الأرض بقدميها وأسرعت لتقف في مواجهته وصرخت بغضب

. ممكن أفهم كنت فين طول اليوم؟

تمنى أن يصرح لها أنه كان يطفئ نار شوقه مع امرأة أخرى إلا أنه نظر لها ولجسدها الذي أبرزت مفاتنه وأمسك كتفيها وقربها منه فظنت أنه سيحاول تقبيلها وقررت ألا تمنعه هذه المرة إلا أنه عاد ودفعها بكل برود بعيدا عنه وقال

. كنت بستجم بريح أعصابي شوية وقولت أسيبك تاخدي راحتك في البيت.. ودلوقتي أنا تعبان وعايز أنام ممكن تجهزي العشا على أما أخرج من الحمام

وتركها تضرب الأرض كالأطفال وتناول وجبة العشاء واتجه لحجرة المعيشة ليجدها مغلقة من الخارج بالمفتاح زفر إيهاب غاضبا وصاح بها

. وسيادتك شايفة أنك هتنيميني فين النهاردة؟

أسرعت وفاء لترتمي بين ذراعيه وتقبل رقبته وخده بنهم وقالت بدلال

. في سريرك وفي فرشتك طبعا

ومرت الليلة على إيهاب من أجمل الليالي وحاولت وفاء أن تسترضيه بشتى الطرق خوفا من أن يفلت زمام الأمر من يدها، واستيقظ إيهاب صباحا وهو يشعر أنه شهريار هذا الزمان فبالأمس كانت بين يديه امرأتان من أجمل ما يكون تحاولان استرضاءه وتذكر هبة وجنونها فانطلق بسرعة مع ابنته أميرة للمدرسة وذهب للبحث عن هبة ووجدها بالفعل، فاقترب منها بسرعة ولاحظ أنها تتجاهله وتمد خطاها لتتجنبه، لحق بها إيهاب وناداها بصوت منخفض

. أأقفي عندك فهميني إيه اللي قلبك عليا إمبارح؟

نفضت هبة يدها عنه وابتعدت عنه وقالت هامسة

. وأنت شايف أن ده وقته ولا مكانه

جز إيهاب على شفتيه وكاد أن يفقد أعصابه وقال لها

. خلاص هقابلك النهاردة في نفس المكان تحبي بعد الشغل ولا آخر النهار

دنت منه وقالت محذرة له

. ولا بعد الشغل ولا آخر النهار والأحسن أنك تنسى اللي حصل إمبارح

أمسك إيهاب ذراعها بقوة ألمتها وصاح غاضبا

. أنا مش لعبة في إيديكي لما تكوني عايزاها تسلمي نفسك بسهولة ودلوقتي جاية تعملي عليا شريفة.. لا يا هانم الرخيص عمره ما بيغلى تاني هستناكي النهاردة الساعة سبعة بالليل في نفس الأوضة وما تخلنيش أفقد أعصابي وأعمل تصرف يخليكي تندمي طول عمرك

رحبت أميرة بمحمود الذى جلس لجوارها وسألها مبتسما

. إيه يا سيادة التلميذة النجيبة قدمتي ورقك للثانوية العامة ولا لسه

ابتسمت أميرة وأجابته

. طبعا قدمت وجبت الكتب وبدأت أذاكر كمان

ضحك محمود وقال مهللا

. الله أكبر أيوة كده يا بنت حبيبة وطبعا أمك طايرة من الفرحة

خرجت حبيبة تحمل طبق حلوى دفعته دفعا ليد محمود الذي تلقاه منها حتى لا يسقط على ملابسه وهي تصيح بتهكم

. عقبال ما تفرح قلبي يا ضنايا وتتلم وتشوفلك واحدة تلمك ولو مش لاقي يا خويا أنا أعرف أنقيلك

أمسك محمود قطعة من الحلوى ووضعها في فمه وانتظر حتى ابتلعها على عجل وأجابها

. يا ست الكل قولتلك مش وقته لسه بدري

ضربت حبيبة فخديها بيديها كعادتها عندما يشتد غضبها وصاحت به

. مش وقته ليه يا ضنايا ما أنت شغال زي الفل واشتريت شقة في القاهرة ناقصك إيه؟

وفكر محمود أنه سيدخل في جدال سينتهي كالعادة بثورتها وغضبها عليه فحاول التنصل من الأمر فقال وهو يمسح فمه بمنديل واتخذ مظهر الجدية

. مش وقته يا ماما خلينا في المهم رجائي بيه بعتلي إمبارح

انتبهت أميرة وأصغت حبيبة وهي تنادي

. يا عبيد يا عبيد تعالي بسرعة

خرج عبيد مهرولا وحاول أن يسأل إلا أن حبيبة أشارت له بيدها أن يسمع محمود الذي واصل كلامه

. لقيته بعتلي واحد يبلغني أن نادر جوزك عمل حادثة كبيرة ومحجوز في المستشفى بقاله أكتر من أسبوعين

رفعت حبيبة يدها للسماء وهللت مكبرة

. الله اكبر الله اكبر يا عادل يا رب حقك يا بنتي رجعلك

راقب محمود تعبيرات وجه أميرة التي بدت جامدة الملامح واستمعت لحبيبة وهي تصيح

. وافتكروا يقولوا لنا دلوقتي ليه ولا تلاقيه هيخرج من المستشفي وعايزين خدامة تخدمه آه ما هى اعتماد هانم ما تقدرش على خدمته

هز محمود رأسه مقتنعا ولكنه قال ليبلغ الرسالة كاملة

. هما بيقولوا أنه كان في غيبوبة وأول ما فاق طلب أميرة

اقترب عبيد من ابنته جامدة الملامح وربت على كتفها وسألها

. رأيك إيه يا أميرة؟

رفعت أميرة رأسها ونظرت لوالدها وقالت بحزم موجهة الكلام لمحمود

. محمود بكرة هسافر معاك القاهرة

ابتسم عبيد وربت عليها بحنان

بينما صكت حبيبة صدرها وصرخت

. هترجعيله يا خايبة وتضيعي مستقبلك تاني

هبت أميرة واقفة وقالت بإصرار

. مستقبلي جنب بنتي والثانوية هاخدها يعني هاخدها

وهكذا قررت أميرة العودة للقاهرة.

اتجه عبيد لدكانه ليجد حسين يجلس جوار محسن

رحب حسين بعبيد وأسرع يقدم له مقعدا ليجاوره

زفر عبيد بضيق وانتظر حتى جلس واعتدل وقرر أن ينهي هو الأمر بنفسه

فقال لحسين

. اسمع بقى يا ابني أميرة بكره هتسافر وترجع لجوزها وبيتها وبنتها

أصيب حسين بالذهول وصاح بحدة

. بعد كل اللي عمله معاها ده.. وهترجعهاله بسهولة كده؟

جز عبيد على أسنانه وقال وهو يتحكم بغضبه

. ده مش قراري ده قرار أميرة

وقف حسين غاضباً وقال

. معلش يا عمي أنا عايز أسمع الكلام ده من أميرة نفسها

أسرع محسن وجذب حسين ليقف في مواجهته وصاح بغضب

. تسمع إيه أنت اتجننت دي واحدة متجوزة وعلي ذمة راجل وبيقولك هترجع لجوزها هو إحنا بنقول هنجوزها غصبا عنها

أمسك عبيد يد محسن ليبعده عن حسين وقال بتعقل

. اصبر بس يا محسن

والتفت لحسين قائلا

. أنا موافق يا حسين روح معاه يا محسن وصله البيت وخليه يقابل أميرة ويسمع منها

احتج محسن وثار، وأخيرا قرر عبيد أن يصحب حسين بنفسه، واستقبلت أميرة حسين وأوجز لها عبيد المسألة فقالت بكل حياء مستأذنة لوالدها

. هو لو ينفع بعد إذنك يا بابا أكلم حسين لوحدنا؟

رمقها عبيد غاضبا ولكنه قال

. ماشي هم عشر دقايق

ودخل عبيد لحجرته وترك الباب مواربا

وبسرعة التفتت أميرة لحسين وقالت

. بص يا حسين أنا ماحبتش في الدنيا دي حد قدك إلا بنتي دي عندي بالدنيا كلها

حاول حسين أن يتكلم فأوقفته بإشارة من يدها وواصلت

. أنت تفتكر لو طلبت الطلاق من نادر وطلقني واتجوزتك هكون مبسوطة.. لأ طبعا أنا هكرهك وأكره نفسي معاك أي عقل يقول أني اتخلي عن بنتي علشان الراجل اللي بحبه.. حب إيه اللي ممكن يغلب أو يتحكم في أمومتي آسفة يا حسين مش هقدر

هز حسين رأسه بأسى وقال

. أنتي ما بتحبنيش أكيد.. لو كنتي بتحبيني زي ما بحبك كنتي ضحيتي

اتسعت عيناها ذهولا وابتسمت بسخرية وقالت

. أنت ما فهمتش اللي أنا قولته أنا ما بحبش ومش هحب في الدنيا إلا بنتي وأمومتي ومش هتخلى عنها لا علشانك ولا علشان أي مخلوق تاني وبعدين ليه تطلب مني اتخلى عن بنتي وأنت تربي ولادك عادي وأنت قدمت لي إيه يخليني افضلك أنت على بنتي قدمت لي حب 000مشاعر يساووا إيه جنب حضن بنتي ليا وإحساسها أني أنا أمانها في الدنيا يساوي

إيه كل كلام الغزل قدام كلمة بحبك يا ماما لا يا حسين أنا اخترت وأنت السبب في اختياري الغلط أول مرة ومش هقبل أنك تكون السبب أني اختار غلط تاني مرة.. سهر بنتي أهم عندي من نفسي ومن كرامتي ومن أي كلام أو أحاسيس ممكن تتعاش وتتقال ونصيحتي ليك خلي بالك من سهير، مراتك بتحبك قوي بس على قد الست ما بتحب على قد ما بتكره لو حست بالإهمال أو القسوة ما تخليش سهير تبقي أميرة التانية اللي هتعيش علشان خاطر ولادها وبس.. مع السلامة يا حسين

****

ساعدت اعتماد نادر على الجلوس على مقعد في شرفة حجرته بالمستشفي واطمأنت على استقراره ودخل تامر بعد أن أنهى ورديته كطبيب وجلس مقابلا لنادر بينما جلست اعتماد بجواره وقالت موجهة له الكلام بنبرة غاضبة

. ممكن سيادتك تفهمني ما طلقتش ناني ليه لغاية دلوقتي؟

انشغل نادر برواية أنا كارنينا وقلبها يمينا ويسارا وتفحص غلافها وقال بلا أي اهتمام

. هي مش قالت لك إنها مش فارقة معاها خلاص إيه المشكلة

ضحكت اعتماد بسخرية ومرارة وأسرع تامر يجيب

. بس تفرق معاك أنت يا نادر

أشارت اعتماد بيدها لتامر وصاحت بحماس

. قوله.. فهمه الكبير الراسي العاقل ولا أنت عامل نفسك مش فاهم

ابتسامة نادر الساخرة جعلت تامر يقول بلا مبالاة

. لا للأسف يا ماما هو عارف وفاهم كويس قوي وقاصد كمان

ضربت اعتماد كتفه بغضب وصاحت

. يعني أنت عارف أن الهانم كل يوم سهرانة للصبح وبتروح تتطوح من السكر والخمرة والله أعلم بيحصل إيه كمان

رفع نادر جفنيه لأعلى ونظر لاعتماد دون أن يحرك رأسه ولا عينيه التي مازالت تتفحص غلاف الرواية وابتسم ساخرا.

12

عضت أميرة على شفتيها وتسارعت دقات قلبها، كان شعورها بالقهر مؤلما وبكرامة الأنثى، تمنت أن تعود من حيث أتت إلا أن أمومتها جعلتها تنفض عنها كبرياء الأنثى ومدت يدها وفتحت باب حجرة نادر بالمستشفى واستنشقت نفسا عميقا وتقدمت للداخل، قفزت اعتماد من على مقعدها بسعادة وأسرعت ترحب بأميرة واحتضنتها بقوة ولحق بها رجائي الذي قبل رأسها وقال بسعادة

. أنا برضه قولت بنت أصول

رفعت أميرة رأسها وقالت له بأدب

. كل ولاد الحواري ولاد أصول يا عمى

ضحك رجائي وربت على كتفها ودفعها برقة إلى فراش نادر الذي تمنى لو كان يملك القوة للوقوف على قدميه واحتضانها ولم يملك إلا أن فتح ذراعيه وهو يدعوها لتقترب منه، دنت منه أميرة وتأملت ملامحه ولأول مرة تشعر بالقبح في ملامحه لم تفهم سر هذا الإحساس فنادر ليس قبيح الشكل وإنما رأت أميرة قبح خلقه ووصلت له حيث يرقد فأمسك يدها وجذبها لصدره ليحتضنها بقوة.

لو علم نادر ما تشعر به أميرة الآن لتبدلت ابتسامته السعيدة للحزن والألم، ألم كالذي تشعر به أميرة في هذه اللحظة لقد استسلمت ليده

وشعرت بدفء صدره وسمعت دقات قلبه المتسارعة، ولكن هيهات أن تعود لسابق عهدها تمنت أميرة لو غرزت أنيابها في صدره حتى تصل لقلبه وتعتصره بيدها، كانت تصرخ في نفسها

. من أوهمك أن الأنثى يمكن أن تنسى الألم، نعمة النسيان لفقدان الحبيب والغالي فقط، أما أن تنسى المرأة من ذبحها وذبح أنوثتها وأهان كرامتها فعفوا هذه أوهام أوهمتكم بها المرأة نفسها لتتمكن من معاشرتكم فقط لتعيش لأولادها.

أغمضت أميرة عينيها ليس حبا وإحساسا بالأمان ولكن كرها حتى لا تتأمل ملامحه، الخدعة لعبة المرأة لتكمل حياتها، وانخدع نادر وظن أنها مازالت على حبها، وقررت أميرة أن تتركه يعيش أوهامه واشترطت شرطا غير قابل للمناقشة أن يتركها تكمل دراستها ووافق نادر فهو في موقف لا يسمح له بالاعتراض.

وصلت اميرة لفصلها بصحبة والدها ثم عاد ايهاب ينتظر هبه بجوار سيارته وهو ينفث غضبا وغيظا منها، وأقبلت هبة بكل ثقة وأن كان قلبها يرتجف خوفا منه حاولت أن تتجاوزه ولكن نظرة التحدي والغضب ألزمتها مكانها خوفا من الفضيحة وبكل غضب صاح بصوت هامس

. هو لعب عيال ما جتيش امبارح ليه؟

حاولت أن تبدو متماسكة فتكلمت فخرج صوتا خائفا مذعورا

. أنا قولتلك انسى اللي حصل.. دي غلطة وأنا ندمت عليها

جذبها إيهاب من ذراعها وصاح غاضبا

. الله عليكم هو أنتي عايزة تعملي زي صاحبتك أميرة وتعتبريني لعبة بتتسلي بيها لا يا شاطرة قولتلك انسي أنا من النهاردة اللي هسيب وأعملي حسابك لو ما جتيش النهاردة هفضحك عارفة إزاي بالوحمة يا حلوة تفتكري كام واحدة أو واحد غير جوزك شاف الوحمة دي

اندفعت دموع هبة وصاحت

. أنا أنا مش هقدر آجي النهاردة عندي ضيوف خليها الخميس وأوعدك هاجي في الميعاد

ابتسم إيهاب لانتصاره وركب سيارته وهو يقول

. ميعادنا يوم الخميس

وانطلق بسيارته

***

قدمت سهير الطعام لحسين وعلى وجهها ابتسامة قابلها حسين بشروده كالمعتاد، ولم تستسلم سهير ولم تكل أو تتعب فهي عازمة على استرداد زوجها تحت أي ظرف، أمسكت بقطعة من اللحم وقربتها من فمه لتطعمه إياها.. انتفض حسين ثم انتبه وأمسك يدها وأخذ منها قطعة اللحم وتناولها هو فضحكت وقالت بدلال

. الله طيب أنا عايزة أأكلك بإيدي مش أنت ابني وحبيبي

ابتسم حسين ببرود وقال

. شكرا بس أنا شبعان دلوقتي

وقام متجها للخارج فصاحت به سهير وقد أوشكت على البكاء

. أنت رايح فين طيب؟

لم يلتفت حسين إليها وقال وهو يفتح الباب

. هطلع لماما اطمن عليها

وأغلق الباب خلفه وصرخت سهير بغضب وضربت المائدة بيدها فتألمت يدها فقلبت المائدة أرضا وهي تصرخ، بينما صعد حسين لوالدته

وقبل يدها وجلس جوارها مهموما، وضعت أم حسين يدها في حجرها وسندت بجسدها على كوعها وتأملت حسين ثم قالت بغضب رغم هدوئها

. وأخرتها إيه يا ابن قلبي؟

رفع حسين رأسه لينظر إليها وقال بحزن

. أخرة إيه يا أم حسين؟

ارتفع صوتها غاضباً

. أخرة عمايلك السودا مع مراتك لهو أنت فاكر أني مش واخدة بالي داخل مبوز خارج مبوز هى إيه عليها ذنب تستحملك ما كفاية استحملتك سنين وسنين والبت صابرة وساكتة ولما شفت أميرة رجعت ريلت عليها ووجعت قلب البنية واستحملت الغلبانة لغاية ما أميرة رفضتك ورجعت لجوزها وبنتها ومراتك استحملت ولا عاتبتك وأنت البعيد ما بتحسش.

زفر حسين غضبا وصاح

. ما حدش قالها تسامح ولا تصبر ولا تستحمل

انتفضت ام حسين واقفه وقالت

. تصدق أن معاك حق اوعى تكون فاكر أنها ما بتحسش ولا ناسية عملتك لأ تبقى بتحلم عملتك السودا اتحفرت جرح في قلبها حاولت تداويه بس البعيد غبي أصل الدوا كان بإيدك يا ضنايا وأنت عزيته عليها يبقى ما تلومش إلا نفسك لما مراتك يا راجل يا سيد الرجالة تغمض عينيها وتتخيل أي راجل في الدنيا وهو بيحضنها ويبوسها ويقولها كل الكلام اللي كان نفسها تسمعه منك.

اتسعت عين حسين وزاد غضبه واسترسلت أمه وقد لاحظت غضبه

. اه أُمال أنت فاكر إيه لهو الراجل بس اللي بيحس وبيحب، الراجل بيحب مين يا موكوس ما هو بيحب ست والست لما تلاقي الراجل اللي آنها

زي الطوبة بتغمض وتحلم خد عندك عمر الشريف عماد حمدي شكري سرحان وفجأة ممكن تلاقي زكي رستم قدامها في الحقيقة بيمد لها أيده ولسانه شهد معاها وفي لحظة ضعف بسبب اللوح اللي معاها تمد له إيديها هي كمان ولا فاكرين نفسكوا أنتوا بس اللي ليكوا نزوات يا ابن الموكوسة

ودفعت حسين بيدها وهي تكاد تضرب كتفه وتقول

. قوم يا خايب ألحق مراتك قبل ما تحلم بعمر الشريف قوم انزل ما تورنيش وشك إلا وأنت راجل بجد راجل مالي عين مراته يا موكوس

هز حسين رأسه معترضا ونزل لشقته وفتح الباب بهدوء ليصاب بصدمة كادت أن تفقده عقله

***

ساعدت أميرة نادر على الاسترخاء في فراشه بعد عودتهم لمنزلهم ولم يلاحظ نادر نظرة الألم في عين أميرة عندما دخلت بيتها الذي حوله نادر بقسوته إلى سجن بلا أسوار حبست بين جدرانه مشاعرها كأنثى، واتجهت للخارج إلا أن نادر أوقفها وطلب منها الجلوس معه قليلا، فجذبت مقعداً وجلست وانتظرت أن يتكلم، طال الصمت فقامت واقفة فمنعها نادر وطلب منها الجلوس مرة أخرى فجزت على أسنانها وامتثلت لأوامره وأخيرا تكلم نادر

. أميرة أنتي فيكي حاجة متغيرة

رفعت أميرة حاجبيها وضحكت بسخرية وقالت

. والله إلا تفتكر ليه؟ هو حصل بينا حاجة لا سمح الله؟

رمقها نادر بحنان وقال

. أنا عارف أني غلطت في حقك كتير بس أنا اعتذرت

وبسخرية وتهكم قالت

. وأنا قبلت الاعتذار غصباً عن عيني وعين أهلي

انتبه نادر فقال متعجباً

. غصبا عنك ليه ؟مين اللي غصبك!

ضحكت بسخرية وقالت

. اللي غصبني بنتي واللي رجعني بنتي واللي خلاني أأقبل أبص في وشك تاني بنتي أديني أنت بنتي كده بس وأوعدك أنك عمرك ما هتشوف وشي تاني أبدا

انصدم نادر فهو لم يعتاد من أميرة التهكم فقال

. يا اااه ده أنتي على كده بتكرهيني؟

علت ضحكة أميرة وتقدمت من نادر حتى جلست جواره على الفراش وقالت

. ما قولتليش يا نادر مين اللي عمل فيك كده؟

توتر نادر وارتبك وحاول أن يتماسك

. قولتلك حادثة عربية خبطتني

هزت أميرة رأسها بالقبول وقالت بسخرية

. آه صح نسيت يعني مش علقة من رجالة ناني هانم اللي اتجوزتها بعد ما ضربتني ورميتني عريانة في الشارع.. عيبك يا نادر أنك فاكر نفسك ذكي وأنت أغبى خلق الله.. البلد كلها بتتكلم عنك وعن الهانم اللي لسه على ذمتك ومقضياها كل يوم مع راجل شكل.. اسمعني يا نادر كويس قوي أنا مش هقبل أبدا أنك تكون عبد تحت رجلين واحدة قذرة وتيجي علشان تدوسني برجليك، أنا هعيش علشان بنتي وهرضي ربنا فيك ...

واندفعت تحتضنه وتقبله بشراهة وسط ذهوله وعادت تقول بتهكم

. لا وهنام معاك وادلعك لو حبيت.. بس من ورا قلبي آه والله من ورا قلبي أصلك لو فتحت قلبي هتلاقيني بكرهك مش طايقة أشوف وشك بس برضه لو طلبتني أنا موجودة أصل إحنا أساتذة يا بابا وفنانين وبنعرف نمثل كويس قوي.. شفت أهي دي حياتنا الجديدة إيه رأيك ..

واستدارت لتنصرف إلا أنها تراجعت مرة أخرى وقالت وهي تتذكر

. آه من الحق نسيت أقولك لو أيدك اتمدت عليا تاني ورب العزة يا نادر لهستناك لما تنام وتروح في النوم وأقطعلك إيدك الاتنين..

واتجهت للخارج ولكنها وقفت مرة آخرى وقالت دون أن تنظر له وهو في حالة ذهول

. وعلى فكرة أنا حامل في الشهر الثالث، وتركته مذهولا وخرجت وأغلقت الباب بقوة خلفها وقبضت يدها ورفعتها لأعلى وهي تصرخ بسعادة وانتصار.

***

وقف حسين مذهولا يحاول أن يجمع أفكاره لقد وجد سهير تشاهد التلفاز بكل اهتمام وهو يعرض أحد أفلام شكري سرحان وشادية وكان أحد المشاهد الرومانسية واندمجت سهير مع المشهد حتى أنها لم تشعر بحسين وهو يفتح الباب وتنهدت بحرارة تنهيدة تخرج من قلب يشعر بالحرمان وأغمضت عينيها.

تذكر حسين ما قالته أمه وحدثه عقله أنها تتخيل الآن شكري سرحان في موضع غرامي معها فتقدم منها سريعا ووقف يتأملها ولأول مرة يشعر أنها جميلة بل جميلة جدا وما أجمل ابتسامتها وابتسم حسين وانحني مقتربا منها ودنا من فمها وهي مازالت في أحلامها مغمضة العين ووصل لفمها وقبلها، فزعت سهير وفتحت عينيها لتجد حسين كادت أن تفقد

وعيها من السعادة وبادلته القبلة وغابت معه في قبلة طويلة واحتضنها حسين وساعدها على الوقوف واتجه بها لحجرة نومهما وفي الطريق سألها

. بذمتك أنا ولا شكري سرحان

وأسرعت سهير بتلقائية ودون أن يثير تعجبها سبب السؤال ومغزاه قالت بحماس

. أنت طبعا حبيبي ونور عيني وقلبي وكل حاجة ليا في الدنيا

ضحك حسين بسعادة ودخل حجرته وهو يصيح ساخرا

. بركاتك يا أم حسين

وبتلقائية ضحكت سهير وقالت مداعبة

. ألف مرة

احتضنها حسين وهو يضحك وأغلق باب حجرتهما....

***

وأخيرا عادت أميرة للمدرسة واليوم الاثنين ولم يتبق إلا القليل على يوم الخميس وما زالت هبة تشعر بالخوف والقلق وأعياها التفكير كيف تكفر عن خطيئتها؟ ولكن الأهم الآن كيف يمكنها التخلص من إيهاب؟

وكانت سعادتها بعودة أميرة للمدرسة لا توصف وتمنت أن تلقي بنفسها بين أحضانها وتعترف لها بذلتها وتطلب منها مساعدتها للتخلص من إيهاب وقررت بالفعل أن تعترف لأميرة ولكن لتنتظر لنهاية اليوم.

وجلست هبة بجوار أميرة تسمع منها قصتها وما حدث طوال الأسابيع الماضية وتعجبت أشد العجب لتخلي أميرة عن حسين حبيبها إلا أن أميرة أوضحت لها أن أمومتها أبقى وأهم، ولأن صاحب العيب في الأخلاق يتمنى

أن يرى في الجميع نفس العيب، وهبه الخائنة حتى وأن قررت التوبة تمنت أن ترى صديقة عمرها مثلها خائنة فسألتها بخبث

. بذمتك ما فكرتيش لحظة واحدة أنك تسلمي نفسك لحسين وتعيشي لحظة حب

استنشقت أميرة الهواء بقوة ثم زفرته وانتظرت هبة أن تسمع اعتراف أميرة التى قالت بكل هدؤ

. دي مش لحظة حب دي لحظة خيانة وزنا أيه الحلو والمتعة فيها

صعقت هبة وشعرت بالدوار فكانت كلمات أميرة أشد عليها من الرجم بالحجارة وازدردت ريقها بصعوبة وأسرعت وأمسكت كوب الماء واحتسته مرتبكه فلم تشعر أنها سكبت نصفه على ثيابها، لاحظت أميرة توترها فانتظرت حتى انتهت وأمسكت عنها الكوب ووضعته على المائدة وهي تراقب هبة التي ظهر على وجهها الخوف والقلق فصاحت أميرة

. مالك يا هبة في إيه يا حبيبتي؟

وبدون إرادة تسابقت دموع هبة على خدها رغم كل محاولاتها للتماسك ونظرت لأميرة وسط دموعها وقالت

. أنا خايفة قوي يا أميرة أنا لوحدي ومش عارفة اتصرف

احتضنتها أميرة بحنان وسألتها

. أنا معاكي يا حبيبتي ومش هسيبك بس قوليلي في إيه؟

تعثرت الكلمات على لسان هبة وأدركت صعوبة أن تعترف بجريمتها الآن ولكنها مازالت تحتاج الى من يحميها ففكرت قليلا ثم قالت

. أميرة في واحد بيطاردني في كل حتة وبيتعرضلي وأنا خايفة منه قوي ولما هددته أني هبلغ البوليس قال إنه هيقول أني... أني نمت معاه وأني كنت على علاقة بيه وأنتي عارفة أني عايشة لوحدي وأخاف من الفضيحة

وضعت أميرة يدها على فمها وقالت

. يخربيته مين الحيوان ده يا هبة حد أعرفه؟

هزت هبة رأسها بسرعة نافية وهي تقول

. لا لا ده واحد أنت ما تعرفهوش خالص

استغرقت اميرة فى التفكير وقالت منتصره

. عرفت الحل

انتبهت هبة فسألتها

. إيه الحل يا أميرة؟

قالت أميرة بحماس

. عمي رجائي حمايا العزيز صاحب النفوذ

احتارت هبة وسألتها

. ماله حماكي؟

زفرت أميرة بغيظ وقالت مؤكدة

. يا بنتي افهمي عمي رجائي ده راجل واصل وبنفوذه وسلطته يمكن يجيب الحيوان ده لغاية عندك ويربيه

. تفتكري؟

ضحكت أميرة وقالت

. ده أكيد وبما أنه راضي عني اليومين دول فإحنا هنستغل الموقف وأحددلك معاه ميعاد تقابليه وتحكيله كل حاجة من غير خوف

ابتسمت هبة وشعرت براحة واطمئنان..

وبالفعل حددت أميرة لهبة موعدا مع رجائي بيه والذي فضل أن يكون بمكتبه الحكومي ليكون سريع التصرف هكذا أوحى لأميرة ولكن الحقيقة أن رجائي عاشق الأنثى الجميلة مثله كمثل بعض أصحاب النفوذ يرى انه سيكون أكثر حرية بمكتبه ليتلقى مقابل خدماته فورا وخاصة إذا كان هذا المكتب به حجرة خاصة للاسترخاء..

13

الخيانة من أحقر الأفعال التي تميز بها الإنسان عن باقي المخلوقات، والندم للنفس اللوامة هو طوق النجاة للتطهر من الذنب، وأحيانا يكون الندم مجرد إحساس بالخوف لا أكثر وأن ذهب الخوف ذهب الندم واندثر ولا يبقى إلا لذة الاستمتاع بالمعاصي، وهكذا كانت هبة التي ساقها الشيطان لجريمة الزنا وخوفها من إيهاب وغبائه جعلها تتراجع وتقنع نفسها بتوبتها عسى أن تقنع بها إيهاب.

فهبة لا تحتاج لرجل متهور ضعيف فإن كانت ستعيش خائنة فيجب أن تحسن اختيار الخائن الذي يشاركها جريمتها وأول صفة فيه هي القوة ليتمكن من حمايتها أن فضح أمرها، واختارت هبة الشخص المناسب فلن تجد أفضل من رجائي شريكا قويا لها، فهبه بحسها الأنثوي أدركت شراهته للنساء بمجرد أن رأته وراقبت عيناه النهمة لأدق تفاصيل جسدها فابتسمت بسعادة وذهب عنها خوفها وتسلطت عليها رغبتها الأنثوية في الاستمتاع بلذة الخيانة، ورفعت طرف شفتيها ساخرة وهي تتخيل عبدالرحمن زوجها وهو ينحني على مكتبه وسط كوم هائل من الملفات التي شغلته عنها لسنة كاملة.

جلست هبة وتعمدت أن ترفع طرف ثوبها لتبرز قدميها حتى اقتربت من الفخذين وبكل دلال وضعت قدما على قدم.

كانت نظرات رجائي لها نظرات الخبير الذي اقترب من الستين عاما وأدرك رجائي أنه أمام امرأة حديثة الانحراف لا تملك الخبرة الكافية لتعلم أن أكثر ما يثير الرجل أن يشعر بالرفض من امرأة يرغبها فيصبح على استعداد لخوض السبع بحار لاسترضائها.

أما هبة فسهلة المنال ولكن لم لا يستمتع بغباء أنثى قررت أن تخون زوجها فابتسم لها وزادت حدة ابتسامته عندما رفعت رقبتها لأعلى وملست بيدها عليها حتى وصلت لفتحة صدرها وهي مازالت تملس بيدها

وبمنتهى السذاجة دفعت سوستة فستانها لأسفل لتكشف عن صدرها وهي تدعي الشعور بالحر الشديد رغم أن المكتب مكيف فلم يتمالك رجائي نفسه فأطلق ضحكة ساخرة وقرر ألا يضيع وقته وليصل بها للهدف المطلوب وتقدم منها رجائي ومد يده لها وبكل غباء قدمت له هبة يدها وهو يقول

. فعلا المكتب حر قوي أنا بقول تعالي معايا الملحق اكتر راحة والمروحة هناك أعلى من التكييف

لم تنتبه لأسلوبه الساخر فدقات قلبها المتسارعة أصمت أذنيها وعقلها أيضا، ولم يمض الوقت الكثير إلا وكانت هبة تخلد للنوم عارية على صدر رجائي العاري واحتضنها بيد ومد اليد الأخرى وأمسك علبة سجائره وشد سيجارة بفمه وألقى العلبة ليمسك بولاعته وأشعل سيجارته وتنفس بقوة ليخرج دخان الخيانة.

وكادت سيجارته تنتهي فهز هبة بيده ففتحت عينيها فأبعدها عنه برقة واعتدل ليجلس استعدادا للقيام وقال لها دون أن ينظر لها

. ما قولتيش إيه حكاية الراجل اللي بيهددك؟

اعتدلت هبة فورا ووقفت على ركبتيها وأسرعت تحتضن رجائي من الخلف وهي تقول

. ده واحد حيوان بيهددني وعايز يستغلني ده حتى عايز

وترددت بدلال باغية واسترسلت

. عايز ينام معايا وإلا يفضحني

ضحك رجائي ونظر لها من الخلف بطرف عينه وقال

. يعني أنتي أصلا ما نمتيش معاه

ضربته هبة بدلال وقالت

. أنا أبدا والله هو هيموت عليا بس أنا علشان رفضته اتجنن

علت ضحكة رجائي الساخرة وانتهت هبة أخيرا لأسلوبه الساخر فشعرت بمدى رخصها وغبائها للمرة الثانية ولاحظت أن رجائي لا ينظر لها فلقد نال غرضه منها ولا حاجة لها.. فتذكرت إيهاب الذي أهملها هو الآخر بعد أن نال غرضه منها فاشتعلت غضبا وقررت أن تجبر رجائي على الاهتمام بأمرها فتركته ووقفت تجمع ثيابها وترتديها ولاحظت عدم اهتمامه فقالت

. البني آدم ده حيوان هو عايز يوصل لي بأي شكل بعد ما أميرة مرات ابنك اتخلت عنه وسابته

انتبه رجائي والتفت برأسه للخلف ونظر لها بغضب أصابها بالفزغ ووقف رجائي والتف حول الفراش حتى وصل لحيث تقف وقلبها يخفق بشدة خوفا وأمسك بشعرها وجذبه بقوة فصرخت وأدركت مدى غبائها فإن أخبرته أن هناك علاقة بين أميرة وإيهاب فربما يقتلها أو يرمي بها في أحد المعتقلات ليتجنب الفضيحة فحاولت أن تتصرف بذكاء لمرة واحدة في حياتها فصرخت من شدة الألم وقالت

. هو كان بيحاول مع أميرة لأنه من دمياط وجارهم بس ما قدرش على أميرة وأول ما هي حست بنيته قطعت علاقتها معاه

صرخ رجائي بصوت كالشيطان وقد زاد من قوته في شد شعرها

. قطعت علاقتها معاه يعني هي كانت على علاقة معاه!

صرخت هبة وقالت نافية

. لا لا مش قصدي هو كان بيجي المدرسة كل شوية يطمن عليها ويوصلها البيت ومعاه بنته الصغيرة بس مش أكتر من كده وأميرة قالتلي إنه لما نادر ضربها وطردها راحت له بيته علشان يساعدها تسافر دمياط وهناك مراته اللي كشفته لأميرة علشان كده أميرة قطعت علاقتها معاه

فهو اتجنن عليا أنا لما رفضته أنا كمان وقعد يصرخ ويقولي كلام غريب أنه مش هيسمحلي أرفضه زي أميرة وكلام كتير أنا حتى ما قلتش لأميرة أنه هو اللي بيهددني خفت أميرة تروحله ويعمل فيها حاجة..

وأخيرا ترك شعرها ودفعها للأرض بقوة، تنفست هبة بقوة وامتثلت لأوامره عندما صرخ في وجهها

. قومي خلصي لبسك وتعالي بره

انتهت هبة من ارتداء ثيابها بسرعة وساوت شعرها وهي تلعن غباءها وحدثت نفسها بغضب

. أخرتك هتبقي في كوم الدكة يا غبية

خرجت هبة ووقفت أمام مكتب رجائي كأي متهم ومذنب وفجأة صرخ رجائي مناديا مساعده الذي كان كأنه يقف خلف الباب وهرول ليقف جوارها بعد أن لمحته ينظر خلسة للحجرة الخلفية ويبتسم بخبث فتمنت أن تنشق الأرض وتبتلعها.

صاح رجائي آمرا مساعده

. يوسف هتاخد المدام عندك هتديك اسم واحد البني آدم ده عايز كل تفاصيل حياته من يوم ما أمه ولدته لغاية دلوقتي.. فاهم أدق تفاصيل حياته.. فرغ رجالة من عندك يجمعوا كل المعلومات وتكون قدامي بالكتير بكره العصر

هز يوسف رأسه بحماس وأشار لهبة فخرجت وهي تلعن نفسها وغباءها ألف مرة...

عادت أميرة من المدرسة لتجد البيت وقد فاحت فيه رائحة الشواء فزمت ما بين حاجبيها متعجبة ودارت بعينيها في أرجاء المنزل ووجدته منسقا ومرتبا فهزت رأسها وقد ازدادت عجبا، وقررت أن تستكشف الأمر فتقدمت نحو المطبخ لتجد سيدة تماثل حبيبة في العمر، بل أنها كثيرة

الشبه بأمها تقف لتهوي بمروحة في يدها على شواية رصت بها قطعا من اللحم تقدمت منها أميرة في حذر وقالت بهدوء بعد أن تنحنحت لتنبه السيدة لوجودها

. ممكن أعرف أنتي مين؟

ابتسمت السيدة فظهرت طيبة وجهها وقالت بحماس

. خدامتك أم عاطف يا ست أميرة

تقدمت منها أميرة وقد زادت حيرتها وسألتها

. وبتعملي إيه هنا يا أم عاطف؟

وجاءها الرد من خلفها فالتفتت لتجد نادر يقف مرتكزا على عكازين وقال

. أنا بعت جبتها من مكتب الخدم علشان تخلي بالها من البيت وسهر لأنك أكيد مش هتكوني فاضية الأيام الجاية.. وراكي مذاكرة ثانوية عامة ولا نسيتي وخصوصا أني طلبت من بابا يجيب موافقة أنك تاخدي أولى وتانية مع بعض وتمتحنهم السنة دي يعني فاضلك بالظبط حوالي شهرين

كانت أميرة تسمعه وهي في ذهول وأخيرا تكلمت بصعوبة

. هو أنا هلحق أذاكر

ابتسم نادر بحنان فأعاد لذاكرتها ابتسامته لها منذ سنوات عندما ساعدها وحفزها لتمر من أزمتها مع حسين وها هو يقول لها بحماس وحنان

. وأنا فين.. أنا طبيعي قاعد في البيت ما فيش ورايا إلا أنتي ومذاكرتك ولازم لازم تطلعي الأولى مش يمكن ألاقي مراتي في يوم طالبة في كلية الطب

ابتسمت أميرة بسعادة فأنارت له حياته من جديد وتقدمت منه ووقفت أمامه فاستنشق رائحة نفسها بسعادة وقالت له

. متشكرة يا نادر

ابتسم لها وتنحى جانبا لتمر من جانبه وقال لها

. العفو ده حقك عليا يمكن في يوم تقدري تسامحيني

وخزتها كلمته الأخيرة في قلبها فوقفت مكانها وجزت على أسنانها غيظا وقبضت يدها بقوة من شدة غيظها من نفسها لقد حاولت أن تقنع نفسها أن تلتفت وتحتضنه وتقبله، إلا أنها لم تتمكن ولو التفتت خلفها لوجدت دموع نادر التي بدأت تنسال على خده ندما وشوقا لها، إلا أن كرامتها لم تسمح لها بالنظر له فقالت بغضب وأن حاولت أن تبدو هادئة

. معلش يا نادر أديني وقت وأنا أكيد أكيد هنسى

ولم تنتظر الرد بل أسرعت لحجرة سهر التي قررت أن تستقر بها

***

وصل رجائي لمكتبه ووجد أمامه ملفا أعده يوسف عن إيهاب، ابتسم رجائي وأثنى على يوسف الذي قال بخبث

. الموضوع مش صعب خالص.. إيهاب ده أضعف وأبسط ما يكون يعني مش هياخد غلوة واحدة في إيدينا حضرتك ممكن يموت من الرعب لو كلمته بالتليفون..

ضحك رجائي ساخرا وقال

. واضح أنه لعب عيال وهبة وإيهاب دول اتنين متخلفين

ضحك يوسف بسعادة فسعادته لا تتحقق إلا إذا شعر برضا رجائي عنه وابتسم يوسف بخبث وقال وهو يراقب رجائي بمكر

. بس حضرتك إيهاب ده متجوز ملكة جمال رهيبة في جمالها ومتعلمة ومثقفة وبنت أصول أبوها كان وكيل وزارة وليها شخصية قوية جدا جدا جدا

أثارت جملته الأخيرة اهتمام رجائي فبادله نظرة المكر وقال مبتسما

. غرضك إيه يا يوسف

زادت سعادة يوسف وهو يرى نظرة الرضا على وجه ولي نعمته فقال

. أنا بس مستخسر ست بالمواصفات دي تكون ملك لراجل إمعة وتافه.. دي تستحق تكون في مكان أحسن من كده بكتير

والتفت ينظر للحجرة السرية المغلقة

فأطلق رجائي ضحكة مجلجلة عالية واهتز جسده فكاد يقفز من على مقعده بسعادة وبعد نوبة من الضحك قال ليوسف

. وريني شطارتك

رفع يوسف طرف شفته وقال بخبث

. أوامر معاليك تنفذ فورا

وبحركة عسكرية التفت وخرج من المكتب فورا.

دخل الساعي مكتب إيهاب وأخبره أن هناك من يطلب مقابلته فورا، زم إيهاب حاجبيه وطلب من الساعي السماح له بالدخول، دخل رجل طويل القامة مهيب الشكل، صافحه وجلس فورا دون دعوة ووضع ساقا على ساق.

أثارت هيبته القلق في نفس إيهاب وازدرد ريقه بصعوبة بالغة، حاول إيهاب أن يستنتج غرض الزيارة ولكن عقله قد أبى أن يسعفه فهيبة الرجل ذكرته ببعض ضباط المخابرات في قضية مراكز القوى.

أمسك إيهاب حلقه الجاف وحاول أن يتنحنح فشعر أن روحه تكاد تنتزع من جسده وتصبب عرقا بشدة فرفع يده ليمسح عرقه وكتم يوسف ضحكة تختلج في صدره للحالة المزرية التي يعانيها إيهاب.

أمسك يوسف بقلم إيهاب وبدأ في إصدار دقات منتظمة أوشكت أن تصيب إيهاب بالجنون، حاول إيهاب أن يقتل الصمت فأبت الكلمات أن تساعده وهنا قطع يوسف الصمت قائلاً

-أنا وسف سكرتير رجائى بيه ، أظن تعرفه كويس

ورجع إيهاب بظهره للخلف وكأنه يتفادى لكمة ستوجه لأنفه الآن ولم يصمت يوسف بل استرسل قائلا

. رجائي بيه كان عايز يقابلك في مكتبه الليلة الساعة سبعة ضروري وطبعا مش محتاج أقولك إيه اللي ممكن يحصل لو ما حفظتش على ميعادك معاه

وهم يوسف للقيام واستعد إيهاب ليتمكن من التنفس إلا أن يوسف عاد واسترخى في مقعده وقال ببرود

. الحقيقة أنت صعبان عليا قوي وأنا شايفك قلقان وفعلا معاك حق تقلق خصوصا ورجائي بيه عرف أن أنت اللي ساعدت مدام أميرة ورجعتها دمياط وطبعا أنت عارف الناس أصحاب النفوذ بيضايقوا قوي لما حد يعرف أسرارهم الشخصية.. لأ تخيل كمان لو عرف أنك كنت بتحاول محاولات خسيسة مع مرات ابنه...

غاص إيهاب في مقعده وأشار له يوسف ليهدأ وقال سريعا

. لأ ما تخافش أنا مش متهور لدرجة أني أقول لسعادته حاجة زي كده لأن أكيد أكيد كان هيطلب مني أخلص عليك وأنا طبعا هنفذ الأوامر

أخيرا استطاع إيهاب أن يسأل

. أنت عرفت منين؟

ضحك يوسف بسخرية وقال متهكما

. لأ كده عيب وأزعل قوي منك.. يوسف ما يتسألش عرف منين كل اللي أقدر أقولوا لك أن رجائي بيه احتراما لموقفك المشرف مع مرات ابنه بغض النظر عن الموقف الغير مشرف اللي هو ما يعرفوش طلب مني أدعوك لزيارته في مكتبه أما باقي المعلومات فدي هتكون سرنا مع بعضنا

وأشار بيده نحوه ونحو إيهاب، وأكد يوسف الموعد وانصرف فورا.

***

انتهى اليوم الدراسي وهبة ما زالت شاردة الذهن حاولت أميرة أن تعرف منها نتيجة مقابلتها لرجائي ولم تفض هبة في الكلام بل قالت باقتضاب

. وعدني أنه هيتصرف معاه

احتضنتها أميرة بسعادة وقالت

. خلاص يا بنتي اطمني عمي رجائي ده لما يحط حاجة في دماغه بيعملها على طول

ابتسمت هبة بحزن وهي تتذكر غباءها واندفاعها، وفي نهاية اليوم وضعت أميرة ذراعها بذراع هبة واتجها للخارج لتلتقيا بإيهاب الذي وقف يتأمل أميرة وتقدم خطوة ليلقي السلام، إلا أنه تذكر يوسف وحديث الصباح فأمسك يد ابنته وأسرع منصرفا دون أي كلام..

وقفت أميرة وقد أصابتها الحيرة وأن ظنت أن إيهاب غاضب منها لتخليها عنه وعودتها مع حسين فقررت ألا تبالي به أما هبة فظنت أن إيهاب تلقى تهديدا من رجائي بالابتعاد عنها فابتسمت بسعادة، فرجائي

اهتم لأمرها بعد تهورها بالأمس وقررت أن تعود لزيارته لشكره ولكن هذه المرة يجب أن تتعلم أن تكون صعبة المنال.

حانت الآن الساعة السابعة حسب التوقيت المحلي لمدينة القاهرة هكذا أعلن المذياع، وأعلن يوسف عن وصول إيهاب وسمح له رجائي بالدخول، دخل إيهاب الذي ما أن رأى رجائي حتى أصيب بحالة من الرعب وتمنى لو ألقى بنفسه عند قدمه ليطلب منه العفو والمغفرة ويقسم بعدم التعرض لأميرة بل وصل به الخوف أنه سيتعهد بمحاولة تغيير اسم ابنته.

مد رجائي يده مصافحا لإيهاب فشعر ببرودة يده فأمسك رجائي بيد إيهاب واحتضنها بكلتا يديه، انتفض إيهاب ولكنه استسلم خوفا حتى تركه رجائي وسمح له بالجلوس.

ابتسم رجائي ساخرا فإيهاب بالفعل من أضعف ما يكون وقارنه رجائي بنادر ولده، وابتسم سعيدا فلا وجه للمقارنة بين الشخصيتين والآن عليه أن يبدأ خطته كما رسمها له يوسف فالأمر سيحتاج لبعض الوقت، فوفاء ليست بالأنثى الضعيفة كما أخبره يوسف وعليه أن يتحلى بالصبر وانتبه من أفكاره على نظرات يوسف القلقة فاعتدل في جلسته واتخذ مظهر الجدية وقال له

. أستاذ إيهاب الحقيقة أنا عرفت شهامتك مع أميرة مرات ابني وطبعا مش محتاج أعرفك أن دي لحظة طيش وغضب بتحصل بين أي زوجين عادي جدا وأنت طبعا زوج وعارف أن الستات أوقات بيخرجوك عن شعورك..

هز إيهاب رأسه مؤكداً واسترسل رجائي قائلا

. ومش محتاج وصية طبعا أن الموضوع ده مش لازم يتعرف وأنا واثق فيك طبعا بدليل أن الأزمة العابرة دي مر عليها كتير واحتفظت بالسر فأنا فعلا بشكرك

تمتم إيهاب ولم يفهم منه رجائي ولا كلمة ولكنه استنتج أنه ربما يقول لا شكر على واجب وهز رجائي رأسه بلا اكتراث لرده ثم أكمل قائلا

. خلينا في المهم طبعا دي كانت فرصة عظيمة أني أعرف أنك محاسب كبير وشاطر وزي ما أنت عارف أنا رغم أني مسئول حكومي بس ده ما يمنعش أن عندى أعمال خاصة بشركتى وبشركة حرمنا المصون وأنا محتاج مساعدتك في حسابات الشركة بثلاثة أضعاف مرتبك الحكومي ويا سيدي كمان أنا مش هحتاجك إلا الفترة المسائية بس يعني مش هتضطر تسيب وظيفتك الحكومية..

وبلغة الأرقام حسبها إيهاب وزال خوفه ورهبته وحلت محلها السعادة والسرور ووافق بدون أي نقاش أو جدال ووقف مصافحا لرجائي الذي حياه ثم قال له

. بالمناسبة دي أنا عامل عزومة صغيرة في الشيراتون بكرة يا ريت تشرفنا أنت والمدام

رحب إيهاب واتجه للخارج ثم توقف فجأة وسأل بحياء

. هي أميرة أقصد مدام أميرة وأستاذ نادر هيكونوا معانا في العزومة؟

ابتسم رجائي ثم قال

. لأ طبعا أنا ما بحبش أخلط الأمور الشخصية بشغلي.. العزومة على شرفك أنت والمدام وبعض الموظفين الأكفاء وأسرهم.

ابتسم إيهاب بسعادة غامرة...

عاد إيهاب للبيت يحمل علبة فخمة راقبتها وفاء بمكر، نحا إيهاب العلبة جانبا ولف يديه حول خصر وفاء وضمها لصدره وقبل وجنتها وجبهتها ثم قبل شفتيها واستسلمت وفاء لقبلة طويلة شعرت بعدها برعشة تسرى في جسدها ثم انتبهت فأبعدته برقة عنها ونظرت له بدلال متسائلة

.لا كده مش طبيعي خير يا حبيبي في أيه يا إيهاب

تركها إيهاب واتجه للعلبة الفخمة وشرع في فتحها وهو يقول

.في أفخم وأجمل فستان لأحلى زوجة في الدنيا

وفرد الفستان الأسود اللون وكان له بريق جذاب بفعل فصوص صغيرة لامعة، أسرعت وفاء لتمسك به وهي في ذهول ووضعته على جسدها ولفت به بسعادة كالأطفال في ليلة العيد ثم أسرعت ووضعته برقة على الأريكة واحتضنت إيهاب بسعادة وسألته

.والمناسبة إيه يا حبيبي ؟

أحاط خصرها مرة أخرى وقال بتروي وهدوء

. المناسبة وظيفة جديدة بثلاثة أضعاف مرتبي ومن غير ما أسيب شغلي كمان يعني من الساعة ستة للساعة عشرة

صرخت وفاء بسعادة واحتضنته وبدأ عقلها يحسب سريعا دخلهم الشهري الجديد...

***

14

تزينت وفاء واستعدت لسهرة الليلة بعد أن تركت أميرة الصغيرة في رعاية والدتها، وقف إيهاب يراقبها وهو في حالة نشوة وانبهار بجمالها ورقتها وابتسم لنفسه بسعادة وحدث نفسه

. سبحانك يا رب بقى يبقى عندي ملاك زي دي وأجري شوية ورا أميرة وشوية ورا هبة، وتذكر هبة وموعده معها فضحك في نفسه بسعادة وقال

. خليها تروح وتستنى يمكن تتعلم الدرس وتحترم نفسها

لم يدرك أن هبة كانت في هذه اللحظة أكثر سعادة لظنها أن رجائي ألزمه حده وأصبح كل تفكيرها كيف يمكنها أن تصبح رفيقة لرجائي ذي النفوذ.

وهناك في الشيراتون جلس رجائي يجاوره يوسف على مائدة أعدت بعناية فائقة لرجائي بيه وضيوفه، استنشق رجائي نفسا طويلا من سيجاره وزفره فانطلق دخانها يعبث بالهواء وراقب يوسف الدخان الأبيض وهو يخرج فبدأ كالطفل الذي يتابع فقاعات الهواء وكم تمنى يوسف أن يعرض عليه رجائي سيجارة من سجائره الباهظة الثمن والمستوردة من كولومبيا ولم تتحقق أمنيته فكان يكتفي باستنشاق رائحة الدخان ومتابعته حتى يذروه الهواء.

نحا رجائي سيجاره جانبا وقال بحزم

. عارف يا يوسف لو كانت وفاء دي مش حلوة هعمل فيك أيه

ابتعد يوسف للخلف قليلا وقال بكل ثقة

. عيب يا باشا أنا عمر بضاعتي كانت نص نص أنا ما نقيش إلا اللي على الفرازة بس زي ما قلت لسعادتك هتحتاج وقت وصبر طويل شوية

عاد رجائي ونفخ دخانه في الهواء واتبعه بقوله

. لو على الصبر مش مشكلة أنا ما فيش أطول من بالي، المهم أنها تستحق

ضحك يوسف حتى ظهر صفار أسنانه وقال بسعادة

. بص حضرتك وعاين بنفسك

التفت رجائي تجاه الباب وتأمل وفاء

هذه اللحظة من اللحظات النادرة التي تمر بحياة الإنسان، فلكل منا لحظة لا تنسى مهما طال الزمان، لحظة مؤثرة وتعتبر محورا لحياته القادمة، وبرغم اقتراب رجائي من الستين وعلي الرغم مما مر به من أحداث منذ ثورة 23 يوليو واعتقال محمد نجيب وحرب اليمن وغيره وغيره حتى نكسة يونيو واعتقال أستاذه صلاح نصر وغيرها من الأحداث، ورجائي ما زال ثابتا في مكانه ثبات الأهرام، وكثيرا ما صاح بسعادة "يا جبل ما يهزك ريح"...

إلا أنه أمام جمال وفاء وانبهاره بها شعر لثاني مرة بهزة تهز كيانه حتى اختلت قدماه عند محاولته الوقوف لتحيتها وهي تتبختر أمامه في دلال وسعادة، وبخبرته قرأها جيدا، فهي امرأة تعتز بجمالها قوية الشخصية صعبة بل مستحيلة المنال مثلها يحتاج لتخطيط لشهور وقد تصل لسنوات لينال رضاها فهي مخلصة لزوجها ليس حبا فيه بل لأن الإخلاص طبعها.

ووصلت وفاء إليه فتحامل وتماسك ومد يده مصافحا فصافحته بلا اكتراث ولثانية فقط وسحبت يدها بكل جراءة وقوة فهي امرأة تتحكم في سير الأمور ولا يمكن أن تكون مسيرة وجلست أمامه لا تبالي بوجوده فهي تركز كل حواسها مع زوجها الذي تبدل حاله من إيهاب الضعيف الفقير إلى إيهاب صاحب الثروة وأن كان لم يجمعها بعد ولكنه عاش ككبار الموظفين ، وظل رجائي صامتا ومراقبا للزوجين.

وتعجب للحظة كيف لإيهاب أن يفكر في خيانة مثل هذه وأن كان مع أميرة، ورفع رجائي طرف شفته ساخرا من نفسه وهو يتذكر أول وأقوى هزة هزت حياته وكانت أول مرة رأى فيها أميرة وكيف وافق دون أي شرط على الزواج ليس لتحقيق رغبة ابنه بل لرغبته هو في امتلاك أميرة.

فوفاء رغم جمالها الباهر الذي كاد يضاهي جمال أميرة إلا أن أميرة تقدمت عنها بكثير في القبول فأميرة لها شخصية مرحة متواضعة لبساطة نشأتها تجذبك من أول وهلة أما وفاء المعتزة بنفسها فربما لا تلفت نظر الكثيرين أو بالأدق لا يصبح بهم رغبة للتقرب منها فهي أقرب للغرور، وهز رأسه بغضب من نفسه لقد عاهد نفسه ألا يعاود التفكير في أميرة مرة أخرى، فكلما فكر فيها عاد ليتذكر دناءته عندما ركب إحدى الكاميرات التي حصل عليها من جهاز المخابرات في حمام بيت نادر ابنه وتذكر كيف كان يقضي ساعات في حجرته السرية يستمتع بمشاهدة أميرة وهي تستحم، إلا أنه بعد حادثة نادر اتخذ عهدا على نفسه ألا يعاود التفكير فيها أبدا ونزع الكاميرا، وقد وجد في وفاء الأمل في أن ينسى أميرة تماما، فاتخذ قراره أنها له مهما طال الزمن وأن وصل لسنوات...

انتهت أميرة من أداء امتحانات الصف الأول والثاني الثانوي وأصبحت فجأة طالبة بالثانوية العامة وهي تستعد لإنجاب طفلها الثاني، وطوال الشهور الماضية ونادر يحاول التكفير عن ذنوبه المتعددة تجاهها وشعرت أميرة أن نادر صادق في تغيره، وكثيرا ما عنفت نفسها على إصرارها على الاستقرار بغرفة سهر.

وفي إحدى الليالي وبعد محادثة تليفونية طويلة مع حبيبة، وكانت من المحادثات الغريبة فطوال المحادثة كانت حبيبة تحاول أن تلين قلب أميرة تجاه نادر بشتى الطرق فقالت لها

. بصي يا أميرة ما هو مدام محكوم عليكي بالعيشة معاه يبقى تعيشي صح ويا بنتي أنتي بنفسك بتقولي إنه بقى حنين قوي معاكي ومع بنته

وكفاية أنه وقف جنبك وساعدك لما تخلصي امتحانات.. يا أميرة كل جوازة في أولها مشاكل..

ضحكت أميرة بسخرية مرة وقالت

. أول جواز مين يا ماما أنا بقالي خمس سنين

اعترضت حبيبة وقالت

. لا يا عينية برضه لسه في أول جوازك وهتفضلي كده لغاية لما تفهمي طبع جوزك ويفهمك.. اللي زي جوزك يا بتاعة المدارس بيحب الواحدة اللي ليها رأي وشخصية مش طيب وحاضر ونعم وهي مكسورة وخايفة.. آه هنقول طيب ونعم بس وأنتي صالبة طولك ومفهماه أنك موافقة علشان راضية، طيب لو مش راضية ومش موافقة هتقفي وتقولي لأ طبعا هيضايق ويغضب وتقوم الحريقة أومال تعملي أيه هتوافقي وتنفذي بس وأنتي مفهماه أنه هو اللي هيتحمل النتيجة..

يا بت افهمي قال متعلمين وبتوع مدارس قال وأنتوا الواحدة فيكو عاملة زي خيبتها كده

ضحكت أميرة وقالت

. اطمني نادر ولا بيضايق ولا بيزعل مني لما بعترض على حاجة

أطلقت حبيبة ضحكة ساخرة مجلجلة وقالت متهكمة

. مش بقول خايبة ولا هبلة كمان.. ده بس دلوقتي يا عين أمك لغاية ماترضي عنه وتسامحيه ونبدأ من جديد

احتارت أميرة في شأن أمها ولم تدرك أتريد أن تصلح بينها وبين نادر أم تشعل فتيل الخوف في قلبها حتى تظل على عهدها فسألت أمها بتهكم

. هو أنتي كده بتطمنيني علشان أصالحه صح

زفرت الأم بنفاد صبر وقالت

. يا بت قلبي وجعني وأنتي طوبة مش عايزة تفهمي جوزك بيعمل اللي عليه علشان تسامحيه طيب لو فضلتي على عندك هيقولك اتفلقي يا حيلتها ومع نفسك في البيت زي الكنبة ولا الكرسي، لأن جوزك شيطانه وحش، طيب لو سامحتي ورجعتي للخوف والمسكنة هترجعي تاخدي على دماغك.. أومال تعملي أيه.. "أسامح وأمسك نفسي كده وأفرد طولي وحيلي.. أناغش وأعاكس وأزعل واتقمص وأقول حاضر وأنا بضحك وأقول حاضر واللي تشوفوا وأنت أدرى.. لاعبيه يا بت لاعبيه..

كانت أميرة تستمع لأمها في انبهار وعادت بذكرياتها لبيت والدها فهكذا كانت حبيبة تعامل والدها دائما.. فابتسمت واكتسبت القوة والشجاعة ودخلت على نادر حجرته وكان يجلس في الشرفة واضعا ساقا على ساق بعد أن شفيت قدماه تماما ولمحت أميرة علبة سجائر أمامه فتقدمت بهدوء وجلست أمامه وقالت

. طيب ممكن أسألك سؤال

راقب نادر نظراتها أن بها شيئا مختلفا وأجابها

. اتفضلي تحت أمرك

أمسكت أميرة علبة السجائر الخاصة به وقالت بهدوء

. دلوقتي أنت بقالك أكتر من شهرين مبطل سجاير من يوم العملية ولله الحمد أيه اللي ممكن يخليك ترجعلها تاني والطفايات تتملي ونرجع نتعصب ونترفز ونضرب بعض بالطفايات...

قالت جملتها الأخيرة وهي تضحك وتضع يدها على رأسها موضع إصابتها السابقة، خجل نادر منها وبسرعة أمسك علبة السجائر وقذف بها من الشرفة وهو يقول

. معاكي حق إيه رأيك كده؟

وبتلقائية قفزت أميرة من مقعدها واحتضنته في دلال وهي تداعبه

. أيوة كده عسل

وفجأة صرخت بكل قوتها وقد احمر وجهها

. ألحقني يا نادر أنا بولد

وقف نادر وقد أصابه التوتر وصاح

. وده وقتك يا ابن نادر أنا ما صدقت

ساهر نادر.. هكذا كرر نادر الاسم وهو يراقب طفله الذي احتضنته أميرة في حنان، أنصتت أميرة للاسم وشعرت بالغيظ للحظة فنادر لم يأخذ رأيها أو يسألها وحدثها شيطانها أنه ربما كان يعاملها برفق لحملها أما الآن فليعود لسوء طبعه وأوشكت أن تغضب ولكنها تذكرت حبيبة ونصيحتها لها. فقالت

. ساهر نادر حلو الاسم هو صحيح أنت ما سألتنيش عن رأي فيه بس مش مشكلة نخليها قسمة العدل أنا اتعب وأحمل وأولد وأنت تتعب وتختار الاسم مش برضه قسمة العدل

وغمزت بعينيها مداعبة، ابتسم نادر وأدرك أنها تتهكم فقال

. أنا كنت لسه بفكر.. بس طبعا مش هسميه إلا الاسم اللي تختاريه ما هو أنتي اللي حملتي وولدتي برضه

ابتسمت أميرة وقالت

. لأ برضه ما هو أنت اللي اسمك هيلصق ورا اسمه طول العمر ومن حقك تختار اسمه

دنا نادر من رأسها وقبلها وقال

. طيب قولي أنتي عايزة تسميه أيه ونفكر مع بعض

ابتسمت أميرة وقالت

. أنا عايزة اسميه ساهر علشان يبقى سهر وساهر

ضحك نادر وقال بسعادة

. بقيتي مشاغبة قوي يا أميرة

برطمت أميرة بصوت خافت وقالت

. بركاتك يا حبيبة

***

مرت عدة أسابيع وهبه تعيش على أمل أن تجد مبررا للقاء رجائي وظلت تجوب حجرتها ذهابا وإيابا تفكر في سبب يسمح لها بلقائه فلن تكرر غلطتها السابقة وتندفع وتصبح سهلة المنال إنها بحاجة لمشكلة كبرى تلجأ له فيها وهناك ستتمنع عنه حتى يبذل جهده لاسترضائها، وفكرت أن هي اختلقت مشكلة جديدة مع أي شخص فربما يعتبرها غاوية مشاكل، إذا لابد أن تكون نفس المشكلة لتجد مبررا للقائه بدعوى تحدي إيهاب له، وهكذا قررت أن تتقرب من إيهاب مرة أخرى حتى يقع في شباكها ثم تتمنع.

وفي اليوم التالي استعدت للقاء إيهاب، إنها منذ رأته مع أميرة لم تره ثانية أبدا وانتظرته بالقرب من فصل ابنته وطال الانتظار حتى أنها دخلت الفصل لتتأكد أن أميرة الصغيرة موجودة بالفصل وعادت تقف على مقربة وكان أولياء الأمور يتوافدون لاصطحاب أطفالهم ولفت نظرها إحدى أولياء الأمور ترجلت من عربتها فكانت كنجوم السينما شبهتها بأميرة صديقتها في جمالها الباهر وأناقتها واقتربت من الفصل ففاحت رائحة عطرها الخلاب ودلفت للداخل وللعجب خرجت وهي تمسك أميرة الصغيرة، ارتبكت هبة لثواني ثم أسرعت لتحيي أميرة واحتضنتها ورفعتها عن الأرض ثم توجهت بالسلام للسيدة الجميلة وقالت

. أزي حضرتك أكيد أنتي مامتها صح

ابتسمت وفاء فزادت حسنا وجمالا، وشعرت هبة بوخزة في قلبها كيف سمحت لنفسها أن يفلت إيهاب من بين يديها، فرجل متزوج بامرأة كهذه عندما يعشق مثلها فهو المكسب كله، وتخيلت نفسها وهذه الجميلة تتوسل لها أن تبتعد عن طريق زوجها حتى لا تخرب بيتها، وشعرت بمدى غبائها وانتبهت على ابتسامة وفاء وهي تجذب ابنتها من بين يديها، فسلمت لها أميرة وقالت لها

. أنا أول مرة أشوف حضرتك متعودين دايما أن الأستاذ إيهاب اللي بيجي ياخدها

وبابتسامتها الفاتنة أجابت وفاء

. أيوة فعلا.. بس هو حاليا بيشتغل بعد الظهر كمان.. يعني يا دوب بيبقي عايز يروح يستريح شوية علشان ينزل تاني

وضحكت فظهر جمال وتناسق أسنانها وأكملت

. وبيني وبينك فرصة أني اتعود على السواقة

نظرت هبة للعربة الحديثة وضحكت قائلة

. آه فعلا دي عربية غير عربية أستاذ إيهاب مبروك

واصلت وفاء الابتسام وهي تجيب

. ميرسي يا حبيبتي بس أنا ما اتشرفتش بيكي

وباندفاع أجابت

. أنا هبة مدرسة بالمدرسة

تبدلت ابتسامة وفاء وتحولت لنظرة غاضبة وقالت بتهكم

. آه حضرتك الأستاذة هبة صاحبة أميرة عبيد

ازدردت ريقها وهي تفكر أي كارثة جديدة أوقعت نفسها بها وأجابت ببطء

. أيوة حضرتك تعرفيني

ضحكت وفاء ضحكة قصيرة بتهكم وقالت

. لأ بس سمعت عنك أيام مشكلتها مع جوزها.. وهي عندي ويا ترى أنتي بقى اللي بتطمني على جوزي ولا هي

ارتبكت هبة ولكنها دافعت عن نفسها بسرعة

. لا أبدا أميرة أصلا في أجازة وضع.. وأنا ما عرفش عنها حاجة أن بس اللي حبيت أسلم على أمورة زيك واتعرف بحضرتك.. عموما آسفة لو ضايقتك

والتفتت لتفر من أمامها إلا أن وفاء أمسكتها من ذراعها وقالت معتذرة

. معلش أنا آسفة بس أنتي أكيد فاهمة إحساسي

ادعت هبة البراءة وقالت

. آه طبعا يا...

. وفاء اسمي وفاء ومن غير ألقاب

وابتسمت هبة ابتسامة الأفعى وقالت

. طبعا يا وفاء عذراكي وحاسة بيكي كمان.. معاكي حق بس بيتهيألي أميرة قطعت علاقتها بإيهاب من زمان ولا أيه؟

ضحكت وفاء وقالت بسعادة

. آه طبعا وما تقدرش تقربله تاني، وإلا هبلغ رجائي حماها فورا

انتهت هبة وأصغت جيدا وقالت بلهفة

. رجائي حما أميرة هو أنتي تعرفيه

ضحكت وفاء بسعادة وقالت

. آه طبعا ما هو إيهاب حاليا بيشتغل معاه في شركته

***

15

. باشا الست اللي اسمها هبة بره ومصرة إصرار غريب أنها تقابل حضرتك وشكلها بتشيط

ضحك رجائي بشدة وقال

. واضح أنها عرفت أن إيهاب بيشتغل معايا بس تفتكر من مين؟ عموما مش مهم..

وتريث قليلا ثم قال بخبث

. هو إيهاب وصل مكتبه

لم يفهم يوسف مغزى السؤال ولكنه أجاب

. لأ حضرتك لسه على ميعاده نص ساعة

ضرب رجائي مكتبه برقة وقال

. تمام دخل هبة مكتب إيهاب وفهمها أني هقابلها هناك.. بس أوعى يكون إيهاب اسمه مكتوب على البار

ضحك يوسف بسعادة وقال

. أوامر سعادتك تنفذ يا فندم

تفحصت هبة المكتب الجديد بكل دقة ولاحظت أنه مكتب منفرد ولا يوجد به ملحق جانبي، فشعرت بوخزة في كرامتها واعتبرت هذا تصريح من رجائي بعدم الرغبة فيها مرة ثانية فأوشكت على الانصراف وقد احتبست دموعها في عينيها واتجهت للخارج في نفس لحظة وصول إيهاب الذي أصيب بالصدمة عندما فتح مكتبه ليجد هبة أمامه.

وصدمته كانت كصدمتها وذهولها إلي هذه الدرجة وصلت استهانة رجائي بها ولم تتمكن من تحمل الإهانة فزرفت دموعها وقالت بألم

. لأ لأ مش ممكن مش معقول

وبدأت نوبة من البكاء الحاد وهي تحاول أن تفر من المكتب، رق قلب إيهاب لها وظن انها كانت قادمة له في الأساس فأمسك ذراعها واحتضنها بحنان وملس على شعرها وطلب منها هامسا

. شششششش اهدي اهدي يا هبة أنا آسف بجد آسف لو كنت جرحتك وسبتك تستنيني

بكت هبة بحرقة فمن ظنته يهابها ويخاف لقاءها كل هذه الفترة يعيش منتصرا لأنه يظن أنها انتظرته وهو من تخلى عنها، أي حظ عاثر هذا الذي أوقعت نفسها فيه ودفنت رأسها في صدره وواصلت النحيب على سوء حظها وقررت أن تستغل الفرصة وتعيد علاقتها بإيهاب، فرجائي أصبح مفقود الأمل فيه، فرفعت رأسها وأمسكت وجه إيهاب بيديها وشبت قليلا لتقبل فمه، وفوجئت عندما دفعها إيهاب برقة بعيدا عنه وابتعد عنها وقال بحنان

. هبة معلش أنا آسف أنا اكتشفت أنه كان معاكي حق واللي حصل بينا كان غلطة ما ينفعش تتكرر تاني أبدا.. وخصوصا وأنا بحب مراتي جدا جدا

نظرت هبة حولها بغيظ تمنت أن تخبط رأسه بتمثال أو مزهرية وملكتها رغبة قوية في أن تصرخ وأمسكت حقيبتها واندفعت للخارج تجري مهرولة، وفي مكتب رجائي الذي أصابته هستيريا جديدة من الضحك وهو يراقب إيهاب وهبه خلال كاميرا المراقبة المثبتة بمكتب إيهاب، حاول أن يتوقف عن الضحك وأخيرا بعد معاناة قال ليوسف

. تفتكر وفاء لو شافت المنظر ده هتعمل أيه

ضرب يوسف جبهته بيده لشدة غبائه فهو لم يفهم مقصد سيده من إرسال هبة لإيهاب.

انتهت أم عاطف من إعداد حقيبة السفر الخاصة بسهر وساهر ونادت أميرة

. أقفل الشنطة يا مدام

ضربت أميرة الأرض بقدميها بغضب وصرخت

. يا نادر يا نادر

خرج نادر من الحمام بسرعة وسألها

. خير يا حبيبتي في أيه

قالت له وهي على وشك البكاء كالأطفال

. مش عارفة أقفل الشنطة

ضحك نادر وقال لها

. خلاص سيبيهالي وردي على أم عاطف أحسن تعبت من كتر ما ندهت

خرجت أميرة تجري وهي تصيح

. أيوة يا أم عاطف أيوة أقفلي الشنطة خلاص

واقتربت منها وسألتها

. أيه ما رجعتيش في كلامك وتيجي معانا

نظرت أم عاطف للأرض في خجل وقالت

. أعمل أيه بس لأ طبعا هجي معاكم ما هو سي نادر قالي إنه حجز عشة في راس البر.. بس حلفني ما أقولكيش علشان تبقى مفاجأة

ضحكت أميرة وقالت هامسة

. تمام ولا كأني عرفت حاجة طيب لبسي الولاد وأجهزي علشان نلحق نوصل دمياط قبل الشمس ما تحمي علينا

وعادت تتبختر في دلال وتنظر لنادر بمياعة واقتربت منه وقالت بدلال

. نادر أم عاطف قالت إنها هتسافر معانا خلاص

انتهى نادر من غلق الحقيبة جيدا ثم التفت إليها وقال ساخرا

. والله وأم عاطف ما قالتش حاجة تانية كمان

ابتسمت أميرة وسألته

. ممكن أسأل سؤال؟

هز رأسه وقال

. آه طبعا اتفضلي

فقالت بحذر

. هو أنت ليه حجزت عشة أنت مش عايز تقعد في الحارة

اقترب منها نادر واحتضن خصرها وقال

. ممكن بلاش الأفكار الخبيثة اللي في دماغك.. كل الحكاية أنا فكرت أننا نطول الأجازة شوية علشان التلميذة النجيبة عندها ثانوية عامة فمحتاجة شوية ترفيه عن نفسها فإحنا هنقعد عند والدك أسبوع وبعدين نروح راس البر باقي الشهر أيه رأيك كده تمام

ضربت أميرة الأرض بتحية عسكرية وقالت وهي ترفع يدها لأداء التحية

. تمام يا فندم بس هو مين اللي حجزلك العشة

ضحك نادر وقال

. أنتي ناسية رجائي بيه ورجالته ودي عشة من عشش كبار الدولة أنتي فاهمة بقى

***

احتضنت حبيبة أميرة وأطالت حتى سمعت عبيد معترضا

. يا ولية حسبي خليني أسلم على البت وسلمي أنتي على نادر بقاله ساعة مادد أيده

انتفضت حبيبة واتجهت لنادر مصافحة، ثم جذبته لصدرها واحتضنته وقبلته، صاح محمود

. يا ماما خفي على نادر شوية

احتفظت حبيبة بنادر بين ذراعيها ورفعت رأسها لمحمود وصاحت

. ريح عقلك أنت وفضي أوضتك للست أم عاطف

أصيب نادر بالذهول كما انتفضت أم عاطف وأسرعت تجيب بذهول

. لا يا حاجة ما فيش داعي أنا هنام في أي حتة حتى ممكن أفرش في المطبخ.. حصيرة الصيف واسعة

اتجهت حبيبة إليها بعد أن حررت نادر الذي مازال مذهولا وهو يراها تتقدم نحو خادمته أم عاطف وتحتضنها بترحاب وتقول لها

. مطبخ أخص عليكي يا أم عاطف إحنا برضه هنيم ضيوفنا على الأرض

ترقرقت الدموع في عين أم عاطف وقالت بانكسار

. العفو يا ست حبيبة أنا خدامتكم

أسرعت حبيبة لتضع يدها على فم أم عاطف وصاحت محتجة

. لا والنبي ما تركبينا العيب.. ده أنتي جميلك على دماغنا.. كفاية أنك شايلة أميرة وولادها ده أميرة بتشكر فيكي قوي قوي يا أم عاطف.. تبقي صاحبة جميل وعايزة تركبينا العيب ولا صدقتي اللي بيقولوا أن الدمايطة بخلة أطمني يا ختي إحنا من القاهرة أصلا

ضحكت أم عاطف وقالت

. من القاهرة ولا دمياط.. أنتم ولاد أصول وأقولك حاجة يا ست الحاجة أنا بقى اللي دمياطية وولادي لسه في دمياط

دنت أميرة منها وقالت بتعجب

. بتكلمي جد يا أم عاطف أول مرة أعرف حاجة زي دى

ربتت أم عاطف على يد أميرة في حنان وقالت لها

. دي حكاية طويلة يا ست أميرة

تدخل عبيد في الأمر عندما وجد أن النساء فتحن في حوارات لن تنتهي وأدرك أن حبيبة لن تترك أم عاطف حتى تعرف قصتها كاملة فأسرع قائلا

. لا بقولكوا أيه منك ليها ليها جهزوا الغدا خلونا ناكل لقمتنا وبعدين أقعدوا أرغوا براحتكم

أمسكت أميرة بيد نادر بسعادة وهي تتجول على كورنيش النيل تستنشق هواءه باستمتاع، راقبها نادر وقال لها متعجبا

. الغريبة أني لما باجي دمياط بحس أنك طفلة صغيرة رغم أنك أصلا مش منها ولا هي بلدك

ضحكت أميرة بسعادة وأمسكت سور الكورنيش وتأرجحت كالأطفال، وقالت بدلال

. ما أنا فعلا طفلة وطفلة صغيرة قوي والبلد دي ليها سحر غريب عليا بشوارعها وأهلها ما تسألنيش أيه هو بس هو كده بحب هواها وريحة الناس الطيبة وصوت الورش في وداني وصوت الشقا والتعب

كان نادر يراقبها بشغف وقال بخبث

. يعني تحبي ترجعي تعيشي هنا

أسرعت أميرة تعانقه في وسط الطريق وهي تقول بلهفة

. بتتكلم جد يا نادر

أحل نادر يدها من حول رقبته وقال بهدوء

. مرمر أعقلي إحنا في الشارع

اعتدلت أميرة في وقفتها وقالت بوقار

. صحيح أنا آسفة ثم احتدت بدلال

. بس هي غلطتك ما تبقاش تقولي حاجة تفرحني كده وإحنا في الشارع لكل مقام مقال يا أستاذ.. مش تفرحني وبعدين تتعصب عليا لما أفرح

والتفتت أميرة غاضبة وهي تراقبه بطرف عينيها، أسرع نادر خلفها وجذبها من يدها وقال

. اهدي طيب أنتي زعلتي ليه.. وبعدين ما أتعصبتش عليكي ولا حاجة أنا بس بلفت نظرك وأنبهك أننا في الشارع وما تزعليش وبصي بقى أنا كنت بهزر.. بس علشان خاطرك أنا بفكر اشتري عشة في راس البر ولا تزعلي نفسك

تمنت أن تحتضنه إلا أنها ألزمت نفسها الوقار وهزت رأسها وهي تقول

. شكرا يا نادر ربنا يخليك لينا

ظل نادر طوال الطريق يحاول استرضاءها حتى تعود لمداعبته مرة أخرى وهي تراقبه بحذر حتى شعرت أنه على وشك الاستسلام والملل فأسرعت تضحك ووضعت ذراعها بذراعه وهمست في أذنه

. بحبك

ضحك نادر بشدة وشد على ذراعها وقال هامسا

. وأنتي مجنونة وهتجنيني معاكي

ضحكت أميرة وحدثت نفسها "بركاتك يا ست حبيبة يا ست الكل"

وهكذا أدركت أميرة أن عليها الاحتفاظ بشعرة معاوية في يدها وتعلمت أن ضعف المرأة واستسلامها لا يعدها كزوجة صالحة، فالطاعة مطلوبة وواجبة ولكن الطاعة لا تعني الضعف، فجمال المرأة في ضعفها القوي في طاعتها المتمردة في حزنها الضاحك في مرحها رغم الألم فالمرأة كائن خرافي أسطوري تحتار أن تفهم معانيه هي مجموعة من المشاعر المختلطة المحبة الكارهة الناقمة الغاضبة السعيدة الباكية فرحا الباكية حزنا.

ومفتاح المرأة في أذنها فإن ملكت أذنها وأسمعتها ما يشجي روحها فأنت ملكت كائنا أسطوريا يمكنه أن يسبح بك في عالم الخيال والأساطير، أما إذا آذيت أذنها أو أصابك الخرس فأعلم أنها ستصاب بالصمم لأبد الآبدين وهنا ستتحول الحياة لأسطورة من النكد والمشاكل على أتفه الأسباب، وقد يصل الأمر لحد البحث عن من يشبع الأذن المحرومة من طيب الكلام وهذا ما تداركه نادر قبل أن تنساق أميرة لطريق الهاوية.

ولم يدركه عبد الرحمن زوج هبة التي أصيبت بحالة الصمم فلم تعد تسمع ولا تقبل منه أي كلام حتى عندما اتصل بها اليوم ليبلغها أخباره السارة فقال بسعادة

. باركيلي يا هبة مرتبي زاد والحمد لله هانت واسمعي يا ستي أنا قررت أنزل أجازة السنة دي وهاخدك ونروح أي مصيف تحبيه

وكأنها لم تسمع كل ما قاله واقتصرت في ردها على الجزء الأخير

. عايزة أروح راس البر

ورغم نبرتها الحادة إلا أنه حاول استرضاءها فقال

. خلاص يا حبيبتي أول ما أنزل مصر هنطلع على راس البر ونقضي الأجازة كلها

وبحدة شديدة صاحت هبه

. لا أنا هسافر من بكرة هدور على عشة وأقعد هناك لغاية لما تنزل

ارتبك عبد الرحمن وقال

. هتنزلي راس البر وتقعدي لوحدك

وفاجأته هبة بهستيريا من الضحك المتواصل ثم قالت وهي تواصل ضحكها

. ده على اعتبار أني هنا قاعدة وسط عيلة ولمة.. آه صحيح شوف الزحمة والناس اللي طالعة ونازلة عليا ولا أنت نسيت أني يتيمة وأخواتي اللي أنت أخدتني من وسطهم في طنطا بيفوت عليا سنة واتنين وأنا ما بشوفهمش ولا أخواتك اللي ميعرفونيش ولا بيفكروا يرفعوا السماعة يسألوا عليا ويشوفوا يمكن مت ولا انتحرت ولا جايبة رجالة وبنام كل يوم مع واحد شكل.. صحيح يا بودي أنت فاكر جسمي شكله أيه فاكر وحمتي.. لأ صحيح أنا غبية دي حاجة فات عليها اكتر من سنة لأ سنة أيه دول سنتين إلا كام شهر.. وهتفرق طبعا لوحدي في القاهرة عن لوحدي في راس البر صح..

أصيب عبد الرحمن بالذهول وهربت منه الكلمات وتصبب عرقا فهي محقة في كل ما قالته ولكنه كان يتمنى أن يبني مستقبلا يساعده لتحقيق

حياة كريمة لها ولأولاده عند إنجابهم، فهو لا يريد لهم الفقر وضيق الحال كما عاش هو وتربى، ولكنه لم يدرك أنه قد بالغ في البعد عنها إلى الآن، فقال بتردد وبنبرة متوسلة

. أنا مش قصدي يا حبيبتي أنا بس كنت بقول انزل بس على شقتنا لأن معايا حاجات كتير وبعدين يومين ونسافر

أجابته وما زالت على حدتها

. وماله أبقى أنزل أقعد يومين تلاتة أربعة خمسة في الشقة وبعدين حصلني على راس البر

واستسلم عبد الرحمن، وأعدت هبة عدتها للسفر لراس البر.

***

اتجه محمود في الصباح الباكر لرأس البر ليطمئن على العشة التي خصصت لأميرة ونادر بناء على رجاء من أميرة وتقع على مقربة من اللسان وهي إحدى العشش المخصصة لكبار رجال الدولة وكانت مجموعة متراصة في تناسق وكأنها بمعزل عن باقي المصيف، فصفوة القوم كما أوهموا أنفسهم بحاجة لمكان خاص ومن المؤكد أنه يجب أن يتميز بالفخامة عن غيرهم من أفراد الشعب.

سار محمود بين العشش يراقب أرقامها حتى يصل للعشة المطلوبة وفي طريقه لفت نظره وجود جثة لامرأة ملقاة على سلم إحدى العشش أصيب محمود بالفزع والهلع وفكر في أن يبتعد فرارا ويبلغ الشرطة وتريث ثوان ولكن للعجب أن الجثة تتحرك.

وما لبث أن أدرك أنها ليست جثة، إنها امرأة على قيد الحياة ترتدي شورت أقصر مما يجب أن يكون بكثير، والنصف العلوي سترت عورتها بقطعة قماش وردية اللون وارتدت على رأسها عصابة رأس وشدتها كمن يعاني آلام الصداع المبرحة، وتناثرت تحت العصابة خصلات شعرها

المتمردة كتمرد صاحبتها وأخيرا حاولت صاحبة الجثة أن تعتدل أو الوقوف أو الجلوس، فهي لم تحدد ما هي الحركة المطلوبة فهي تتلوي وتقف وتجلس وتسترخي وتنام على درجات السلم.

وقف محمود ليس ببعيد عنها يراقبها في حذر فيبدو أنها تعاني أسوء حالات السكر الشديد، وأخيرا لمحته صاحبة الجثة فأشارت له بلا مبالاة وطلبت منه أن يتقدم ويقترب منها، تجاهلها محمود وقرر أن يواصل طريقه فهو على وشك الوصول، وبالفعل مر محمود جوارها وتجاهلها تماما فأصابتها نوبة من الغضب وتحاملت على نفسها حتى وقفت وأسرعت خلفه بخطوات مترنحة وهي تصرخ فيه

. أنت يا بتاع أنت أقف عندك أنت أطرش أقف يا حيوان

فوقف في مكانه ثابتا حتى وصلت إليه، والتفت لتقف في مواجهته وفجأة وبدون مقدمات صفعها محمود بقوة فترنحت في مكانها وفجأة انقلبت عيناها فظهر بياضها ورجعت برأسها للوراء استعداد للسقوط وبالفعل أوشكت على الوقوع أرضا لولا أن أمسكها محمود ووضع يده خلف ظهرها وساعدها على الوقوف ونظر حوله يبحث عن أي احد فلم يجد فحملها كطفلة صغيرة واتجه بها إلى حيث كانت تجلس وصعد لشرفة العشة التي بها كالمعتاد في راس البر طقم "أنتريه" ووضعها على إحدى الأرائك وبحث حوله عما يمكن أن يسعفه وأخيرا اتجه لباب العشة الداخلي وطرقه بهدوء وما لبث بالداخل حتى سمع صوت حركة خافتة ثم صوت صادر من الداخل يقول

. حاضر يا مدام نانى

وفتح الباب لتظهر أمامه سيدة في منتصف العمر مظهرها يدل على أنها الخادمة فأسرع يشير للغائبة عن الوعي وقال

. أنا لقيتها فى الشارع

اتجهت الخادمة نحوها بلا مبالاة وكأنه أمر معتاد أن ترى سيدتها بهذه الحالة أو ربما لا يعنيها أمرها لسوء خلقها ولقسوتها على خادمتها وفي كل الأحوال تقدمت الخادمة بلا مبالاة ثم نظرت لمحمود وقالت

. طيب متشكرين قوي اتفضل حضرتك ما تتعبش نفسك

نظر محمود لها فوجدها وقد شحب وجهها وازرق جسدها وأبيضت عيناها وأصابتها رعشة فنظر للخادمة بغضب وقال

. اجري هاتي غطا

انتقضت الخادمة واتجهت للداخل فعاد محمود وأوقفها قائلا

. هو ما فيش حد هنا

ردت الخادمة باقتضاب

. لأ ما فيش

فعاد يصرخ بغضب وقد اتجه للمرأة وحملها مرة ثانية بين ذراعيه وقال

. طيب اتفضلي قدامي وريني أوضتها فين

تسمرت الخادمة مكانها ولم تتحرك فعاد محمود وصرخ بصوت أعلى

. أنتي واقفة كده ليه اتحركي وريني أوضتها فين

فتحركت الخادمة سريعا وأرشدته لحجرتها ووضعها محمود برفق على فراشها وعاد ونظر للخادمة وصرخ للمرة الثانية

. فين الغطا اتحركي

أسرعت الخادمة وفتحت الخزانة وأخرجت غطاء قدمته لمحمود وهي تنتفض، فرد محمود الغطاء على المرأة والتفت للخادمة وقال لها

. هاتي قماشة وطبق فيه ميه

أسرعت الخادمة لتنفيذ الأمر ولكن محمود أوقفها وسألها

. اسمعي هي الهانم تبقى مين

أجابته الخادمة

. دي ناني هانم بنت عمرو بيه فواز

وأسرعت لتحضر ما طلبه منها

***

16

جلست حبيبة بجوار أم عاطف بعد طول شد وجذب حتى تقنع الخادمة بالتنازل عن لقبها ومعتقداتها أنها كخادمة لا يجب أن تجالس أسيادها، وحاولت حبيبة أن تقنع المرأة بأن لا سيد لها من البشر وأنها حرة.

حاولت حبيبة أن تمدها بالقوة لتقنعها بأنها ليست أقل منهم وأنها تقدم خدمة جيدة تحصل مقابلها على أجر فلا صاحب كرم أو فضل عليها، وأخيرا اقتنعت المرأة أن تجالس حبيبة بعد أن خلد ساهر للنوم وجلست سهر تلهو أمامهما، وأمسكت كوب الشاي وقد جلست متربعة هي وحبيبة على الأريكة كصديقتين يتسامران، وارتشفت حبيبة رشفة من كوبها واستمتعت بمذاق الشاي بالقرنفل فأبدت إعجابها

. الله عليكي يا أم عاطف ومزاجك العالي بالقوي

ضحكت أم عاطف بصمت والتفتت لها حبيبة تسألها

. قولت لي يا ختي أنك من دمياط منين في دمياط

سرحت أم عاطف بخيالها وانتقلت لحيث موطنها وأولادها فتنهدت تنهيدة حارة وعادت بعدها للواقع المرير على صوت حبيبة وهي تناديها

. يا أم عاطف روحتي فين يا ولية

ابتسمت أم عاطف بخجل وقالت على استحياء

. رحت لولادي في الشعراء

اعتدلت حبيبة وارتشفت رشفة أخرى من كوبها باستمتاع وقالت متأثرة

. يا اااه يا أم عاطف ده باين أن حكايتك حكاية يا ولية.. فضفضي يا ختي وطلعي اللي في قلبك ده الكاتمة وحشة

رجعت أم عاطف بظهرها للخلف وأسندته على الحائط ورفعت رأسها لأعلى تتأمل سقف الصالة ونقوشه التي حفرها الزمن فيه وقالت وهي شاردة الذهن

. أنا حكايتي طويلة يا ست حبيبة

زاد شوق حبيبة وأوشكت أن تضرب رأس أم عاطف في الحائط لتحثها على الكلام ولكنها تماسكت وقالت لها

. قولي يا ختي هو إحنا ورانا حاجة، وأخيرا بدأت أم عاطف قصتها

. أنا يا ست الكل من العزبة أصلي، وأصل أهلي وأهل جوزى، جوزي كان طيب قوي وغلبان راجل أرزقي على قد حاله بس كنا عايشين وراضيين وحامدين ربنا وربنا رزقني ببنتين وولد زمانهم بقوا عرايس وابني بقى راجل هما يجوا من عمر ست أميرة كده وسي محمود...

كادت حبيبة تقاطعها في عجب لحديثها عن أولادها بصيغة الغائب البعيد إلا أنها تركتها تسترسل فأفاضت أم عاطف قائلة

. لا أشجان بنتي الكبيرة تطلع دلوقتي 21 سنة ومحمد20 سنة.. إنما وردة آخر العنقود يا دوب 17 سنة أيوة صح لأني سبتها وهي سنتين وبقالي 15 سنة بعيد يبقى صح..

كادت تصدر عن حبيبة شهقة إلا أنها التزمت الصمت لشدة شوقها لتسمع القصة كاملة ولم تبخل أم عاطف لتخرج المكبوت في صدرها طوال 15 سنة واسترسلت تقول

. والله يا ست حبيبة كنت راضية بعيشتي وكان وقتها وردة عندها سنة وجوزي "أويمجي" بيشتغل لحاله كده والحمد لله لغاية ما جاله المعلم شبراوي صاحب ورشة كبيرة قوي جوا دمياط هنا وطلب منه يشتغل معاه فرحنا وقلنا رزق وجانا وعرفنا طعم الفلوس والخير الحمد لله والقرش لما بيجري في أيد الراجل بيرتاح وتبدأ عينه تزوغ وأنا مع أني

جاهلة بس إلا كرامتي عشت حياتي كلها وأنا بقولها اللي يدوس على كرامتي أدوسه وجوزي خاني مع واحدة ملعب أجارك الله يا ست حبيبة لما عرفت تقوليش نار وآدت في جتتي وكرامتي وجعتني قوي واجهته ما أنكرش ودب خناقة معايا وغلط فيا وغلطت فيه وفي الآخر طلبت الطلاق..

أهلي وقفوا في وشي وقالوا ما عندناش ست تطلق صممت شفتهم وقتها عايزين يدوسوا عليا قال أيه اصبري علشان العيال يا لهوي أصبر على الخيانة علشان العيال وهينفعوني بأيه العيال وأنا مقهورة وعايشة مذلولة ومكسورة.. لأ تولع العيال.. الأول حاولت أقنعهم أطلق وأربي عيالي وهو يصرف غصب عن عينه.. أهلي قالوا لأ.. قولت يبقى خلاص يطلقني وياخد عياله المهم كرامتي ودوست قوي قوي وشتمته وصرخت وصوت لغاية لما طلقني رحت لأهلي شالوني وزعقوا ما حدش استحملني كل واحد على أد حاله أو زي ما تقولي كانوا بيكسروني علشان أرضى أرجع.. العند ركب دماغي طفشت وسبتهم واشتغلت في مصر علشان أجيب لقمتي وفاتت سنتين وحبيت اشوف ولادي مرضيش وعرفت أنه اتجوز الغندورة اللي خربت بيتي وسنة ورا سنة قلبي خلاص مش قادرة.. حبيت أرجع لولادي جالي ردهم أنهم مش عايزني بنتي الكبيرة قالتها خلي كرامتها تنفعها ومن يومها وأنا هموت وأشوفهم.

كانت حبيبة مطأطأة الرأس تنظر لأسفل فرفعت بصرها دون أن ترفع رأسها وقالت

. غبية ولية غبية لا مؤاخذة يا أم عاطف بس أصلي موتي وسمي الغباوة بعيد عن السامعين.. لهو يا ختي مفكرتيش اللي بلغوكي أن جوزك بيخونك حبايب ولا كيادين

أجابت أم عاطف بكل ثقة

. كيادين وعدوين كمان

جزت حبيبة على أسنانها وهي على وضعها وقالت

طيب يا ولية يا هبلة لما أنتي عارفة تقومي تنجحي لهم خطتهم.. والنبي يا ختي بتفكريني بالبني آدم اللي عارف أن الشيطان هيفرح لما يسيب صلاته وبرضه يسيبها.. يا ختي لما تعندي اعندي على الشر أنك ما تنجحوش مش تعلي شنه وتنجحيه وتقولي ولو كرامتي.. يا حلاوة يا كرامة وأنتي خربتي بيتك وضيعت ولادك قال كرامة قال..

لمحت حبيبة دموع أم عاطف فأشفقت عليها وأن لم ترحمها فربتت على ظهرها وقالت لها بعد أن اعتدلت وفردت ظهرها للخلف

. أحكيلك أنا يا ختي حكايتي لتقولي أني معرفش وجع الخيانة وبقول كلام على الفاضي.. زمان قوي وإحنا في الحارة في مصر لفت على جوزي واحدة بنت حرام وكانت جارتنا في الحارة ومتجوزة بنت المضايقة راجل زي عدمه ولاد الحرام بلغوني اتجننت عقلي شاط عملت زيك في الأول وقلت كرااااااامتي وجريت على حماتي مسكتني ونصحتني.. وأغمضت حبيبة عينيها وتخيلت الأحداث كما حدثت وهي تقص على أم عاطف

. حماتي قالتلى.. أوعي يا بت تخربي بيتك هي عايزة أيه غير كده يا فرحة قلبها

. أعمل إيه يا أما هتجنن

. عارفة وعذراكي بس اللي يكيدك كيديه هي بتغيظك غيظها ولعبها احرقي دمها أأقولك بقى إزاى

ضحكت حبيبة وكأنها تشاهد فيلما كوميديا وفتحت عينيها ونظرت لأم عاطف التي كانت تسمعها باهتمام واسترسلت

. واتعلمت الدرس من حماتي بقى كل مرسال تيجي تقولي على جوزي أنها شافته معاها أضحك من قلبي وأقولهم والنبي معاها حق ده بودي حبيب قلبي راجل ملو هدومه مش زي أبو هطيلة الأهطل اللي هي

متجوزاه.. حبيبي يا عبودي يخليك ليا يا ناصفني ومجري وراك ستات الحارة ولعتهم غظتهم الولية علشان تغيظني لبست جوزها ونفشته ومشيت في الحارة تدلع معاه وسابت جوزي وبعتت مرسالها تقول إن أيه عبيد ده عرة الرجالة اللي هبصله

ضحكت حبيبة وضحكت أم عاطف من قليها رغم ألمها ونظرت نظرة إعجاب لحبيبة التي واصلت

. دي يا ختي المتجوزة أحكيلك بقى على العازبة اللي كانت ناوية على جواز وأول ما عرفت بقيت لا على حامي ولا بارد طب أعمل أيه ما هي دي ما ينفعش معاها اللي عملتوا في دك هي.. طب أعمل أيه دي بقى زعلت واتقمصت وقلبت عاليها واطيها بس وأنا في بيتي لابسة قمصاني المدلعة وريحتي أيه فلة وبيتي على سنجة عشرة ولما لقيت ما فيش فايدة جبت أهلي وأهله وقعدنا وقولتله هتتجوز تطلقني وولادي في حضني لغاية...

أمسكت حبيبة كوب الشاي لتحتسي ما تبقى لها من رشفات فوجدته بارد فأزاحته وقالت لأم عاطف التي كانت تنظر لها بترقب وتحثها لتكمل

. ما تقومي تعملي لنا دور شاي

توسلت أم عاطف كالأطفال وقالت

. لأ والنبي يا ست حبيبة كملي الأول وبعدين هعملك شاي وقهوة وكل اللي نفسك فيه قولي قولتيلهم ولادي معايا لغاية أيه

ابتسمت حبيبة وعادت لتتذكر أحداث هذا الموقف وهي تجلس بجوار والدها تخاطب عبيد وأهله وقالت

. لغاية ما أتجوز آه حقي بقى أني أتجوز وساعتها هاخد الولدين يتربوا معايا وأميرة يا خدها أبوها ما هو ما ينفعش تتكشف على راجل غريب

هب عبيد بفزع وصرخ

. تتجوزي مين إن شاء الله

. وأنت مالك هو أنت هيبقى ليك عندي حاجة أنا حرة ساعتها يا جوزي يا سندي يا راجلي

. أنتي بتشتغليني وبتكدبي وأبوكي الحاج طاهر ولا أخواتك هيقبلوا أنك تتجوزي وترمي بنتك

وبسرعة اندفع الحاج طاهر فقال

. لأ عندك مين اللي قالك أومال يعني أنت تتجوز وتعيش حياتك وهي تترهبن علشان تربي ولادك ليه كانت جارية عندك ولا أيه.. بنتي حرة طول ما هي في بيتك تحت طوعك وأظن أنك ما شوفتش منها حاجة وحشة.. بس خلاص هي مش مالية عينك تملي أنت عينها ليه وتقبلك بضرة ليه.. لأ مش هيحصل ولا تتطلق وتترهبن لأ وغلاوتك وتاني يوم العدة هتكون متجوزة...

وعادت حبيبة من ذكرياتها وضحكت حتى اهتز جسدها المكتنز وأم عاطف تراقبها وتنتظر البقية بشغف ولم تصبر أكثر فصاحت في حبيبة

. وعمل أيه؟

ضحكت حبيبة وقالت

. طردها بنت المضايقة وفضحها في الشارع وقعد يهلل أنتوا عايزين تخربوا بيتي اللي هيقرب مني ولا من مراتي هفتح كرشه..

ضحكت أم عاطف وحبيبة حتى تساقطت دموع الفرح من عينهما....

***

أقبل إيهاب بسعادة على مكتب رجائي وصافحه وجلس على استحياء ثم قال راجيا

. يا فندم أنا عامل عزومة صغيرة كده في شقتي الجديدة وكنت بتمنى أن حضرتك تشرفني فيها وهي دعوة عائلية

كاد قلب رجائي أن يقفز فرحا وسعادة فما أجمل الظروف التي تساعده ليحقق غرضه بسرعة وعلى مضض مفتعل قبل رجائي الدعوة، وعاد إيهاب وهو لا يصدق أن رجائي بيه قبل دعوته بكل سهولة ويسر وأن حاول أن يبدي تمنعه ، وما أن ألتقي إيهاب بوفاء حتى أسرع إليها قائلا

. يخرب بيت عقلك كسبتي الرهان رجائي قبل الدعوة

ضحكت وفاء بسعادة وهي ترفع رأسها في خيلاء وتقول

. مش قولتلك ده أنا وفاء يا بني وأصبر عليا شوية ولو حبيت تبقى مدير الشركة هخليك تبقى المدير من غمزة عين

***

عاد محمود مساء وهو ما زال يفكر في ناني لقد تركها في رعاية الخادمة وهي في حالة يرثى لها وبعد أن ظل يراقبها لعله يكتشف سر إعجاب نادر بها حتى أنه فضلها عن أميرة أخته، فلم يجد أي وجه للمقارنة بينهما فكأنك تقارن بين الجنة والنار، فأي مقارنة بين أدب وأخلاق وتدين أميرة وتلك التي لم تعرف يوما معنى للأدب ولا للأخلاق سكيرة مترنحة عارية وكأن في دينها الحجاب للعورتين فقط عدا ذلك فمحلل كشفه.

وأما عن الجمال فأن مجرد التفكير في مقارنة أميرة بناني فيه ظلم كبير فأين هى من أميرة التي لم تعرف الأصباغ إلا يوم زفافها واكتفى الكوافير بأحمر الشفاه وأسود العين، وأثناء عودته كان يفكر هل يخبر أميرة، واستقر رأيه على أنه لا داعي لهذا فهو يفتح جرحا لشقيقته تتمنى أن تنساه للأبد.

وما أن وصل للبيت وحاول الاسترخاء إلا ووجد والدته تناديه لحجرتها خلسة، تسلل محمود واستمع لوالدته ثم اتجه للخارج وهو متضرر ومتأفف ليجد أم عاطف تسأله

. أحضر لك لقمة يا أستاذ محمود

نظر محمود لأمه متوسلا أن تسمح له بتناول ولو لقيمات صغيرة إلا أنها رفضت وقالت

. لا يا أم عاطف لما يرجع بالبشارة يبقى يا كل ويشرب

ابتسم محمود ابتسامة غاضبة واتجه فورا للخارج وهو يبرطم

. هو أنا محامي ولا الواد بلية بتاع الطلبات

***

تأبطت أميرة ذراع نادر بسعادة وقررت المرور على دكان عبيد لتحضر لسهر شيكولاتة تعويضا لها عن تركها طوال النهار، وألقوا السلام على عبيد والتفت نادر لمحسن الذي كان منشغلا مع أحد الزبائن ويبدو أنه من أهل الحي أو الأصدقاء فصوت ضحك محسن والزبون كان عاليا.

حاول عبيد أن يشغل أميرة ونادر بعيدا عن محسن ولاحظت أميرة كما لاحظ نادر ارتباك عبيد ولاحظ نادر أن محسن يحاول أن يشغل زبونه قليلا فأثارت حركته ريبته فتقدم نادر تجاه محسن وقد أصم أذنه عن نداء عبيد ووصل لمحسن الذي نظر لنادر فتابع الزبون نظرات محسن والتفت ليجد نادر يقف أمامه، حاول نادر أن يتذكر هذا الوجه وتقدم منه الزبون ومد يده مصافحا وعلي وجهه ابتسامة وقال

. أهلا يا أستاذ نادر أنا حسين من أهل الحي

سحب نادر يده بسرعة من يد حسين واحمر وجهه، ابتسم حسين ساخرا وحمل أغراضه واتجه للخارج فلمحته أميرة فهزت رأسها تحية له

وأكملت حوارها مع والدها الذي انشغل بمراقبة حالة الوجوم التي أصابت نادر، واتجه نادر لأميرة وجذبها من يدها وطلب منها الانصراف، فأصيبت أميرة بالذهول وطاوعته فورا وهي في قمة الغضب، وتقدم محسن من عبيد وقال ساخرا

. ماله ده ركبه عفريت ولا إيه؟

برطم عبيد قائلا

. ربنا يستر منه ومن قلة عقله

وضع محسن يده على كتف والده وسأله

. مش أميرة قالت أن ربنا هداه

نظر عبيد لولده وقال ساخرا

. وأنت بتاكل من الكلام ده

فضلت أميرة التزام الصمت حتى وصلت للبيت ونادر يجرها جرا وما أن وصلوا للمنزل حتى أسرعت لحجرتها وأبدلت ملابسها دون النظر تجاهه واتجهت للخارج وهي تقول بغضب

. أنا هعمل حسابي أننا بكرة نروح راس البر بعد إذنك

ذهل نادر فقد كان يستعد لخوض معركة معها لإقناعها بترك الحارة والذهاب لرأس البر فورا ولم يتوقع أن تكون هي الطالبة، وخرجت أميرة وقد رسمت على وجهها ابتسامة وجلست لجوار والدتها تتسامر وتداعب سهر وساهر وقلبها يشتعل غيظا.

وأخيرا قالت لأمها

. ماما ما تعرفيش محمود عمل أيه في راس البر شاف العشة ولا لسه

هزت حبيبة رأسها نفيا وقالت

. والنبي نسيت أسأله لما يرجع نبقى نعرف

أصيبت أميرة بالذهول وسألت

. يرجع منين؟ هو راح فين تانى؟

ارتبكت حبيبة وحاولت الهروب من الرد، ولأن أميرة مشغولة البال فلم تلحظ ، بل جمعت نفسها وقالت لأمها

. ماما إحنا الصبح عموما هنطلع على راس البر على طول أصل الجو هنا حر قوى

وجمت حبيبة وقالت

. وهتاخدوا أم عاطف معاكم...؟

كان سؤالها غريبا فردت أميرة

. آه طبعا أومال هتروح فين؟

برطمت حبيبة ثم قالت

. خلاص مش مشكلة ما هو دمياط من راس البر مش بعيدة يعني

وبعد فترة دخلت أميرة حجرتها لتجد نادر ما زال مستيقظا ومسترخيا في فراشه فصعدت للفراش واستدارت لتخلد للنوم ولم تقل سوى

. تصبح على خير

عاد عبيد ووجد الصالة فارغة فاتجه لحجرته ليجد حبيبة تجلس تتصفح جرائد اليوم كعادتها قبل النوم فهي تعشق قراءة الأخبار البايتة حتى لا تصاب بالحزن إن كانت هناك أخبار سيئة فتقنع نفسها أنه فات آوان الحزن عليها وتنام قريرة العين وإن كانت الأخبار جيدة، وهذا من النادر أن يحدث.

بدل عبيد ملابسه وارتدى جلباب النوم وجلس ممددا على فراشه وقال لها

. أميرة وجوزها كويسين

أجابته

. بخير يا خويا الحمد لله

وعاد عبيد يسأل

. يعني ما حصلش بينهم حاجة

تركت حبيبة الجريدة جانبا واعتدلت تسأله

. حاجة إيه في إيه يا خويا قلقتني

فقص عبيد عليها ما حدث

فأكملت له ما حدث منذ عودتهما وقالت له

. الولة ده مش ناوي يجيبها لبر يا عبيد

عض عبيد على شفتيه بغيظ وقال

. أيوة معاكي حق يا حبيبة ربنا الستار

وانتفضت حبيبة وقالت

. يا نهاري ده أميرة قالت إنهم هيروحوا راس البر بكرة

ربت عبيد على يدها وقال

. وماله إحنا كمان نروح من بكرة أنا قولت لمحمود يحجز لنا بس هيبقى بعيد عنهم شوية هقوم أخليه يتصل بالسمسار ويخلي الحجز بكرة بدل السبت

ضربت حبيبة على صدرها بفزع وقالت

. محمود يا حبيبي يا ابني يا ترى عملوا فيك أيه؟

اعتدل عبيد في جلسته وقال بحذر

. بعتي محمود فين يا حبيبة؟

وصل رجائي بيه واستقبله إيهاب بكل ترحاب وتقدمت وفاء وهي ترتدي ثوبا أحمر اللون أبرز جمالها ومفاتنها وأسدلت شعرها في انسيابية رائعة خلف ظهرها عدا خصلتين شردا متعمدتين ليقبلا وجنتيها فزادوها إغراء، ومدت يدها مصافحة لرجائي الذي أصر هذه المرة على أن يصبح هو سيد المصافحة فاحتفظ بيدها رغم محاولاتها لجذب يدها بسرعة كعادتها وهنا ابتسمت له ابتسامة ساخرة ورفعت حاجبها وقالت بكل ثقة

. اتفضل يا رجائي

ثم صمتت لثانية ليستمتع بوقع اسمه مجردا من الألقاب واستطردت بيه

ابتسم رجائي وتقدم وهو ما زال قابضا على يدها، فدنت منه حتى شم عطرها الخلاب وقالت بكل ثقة وإصرار

. أظن مش حركة جنتل مان أنك تمسك إيدي غصبا عني

ابتسم رجائي وترك يدها وقال

. آسف بس دايما بنسى نفسي قدام الجمال

ابتسمت بغضب وقالت

. حضرتك ضيفي وليك عليا واجب حسن الضيافة

وأشارت الى مقعده على المائدة التي ضمت بعض الأصدقاء والصديقات وجلس إيهاب مجاورا للرجائي الذي تصدر المائدة كضيف شرف وجلست هي بعيدا عنه وعن مرمى بصره وانتهى العشاء وأصبح هناك عدة تجمعات تضم فردين أو أكثر وجاور إيهاب رجائي ومعه

صديقان من أصدقائه وزوجاتهما واختفت وفاء تماما وطال بحث رجائي عنها فكان قلبه يخفق كلما مرت أمامه للحظة ثم تعود للاختفاء، وظل يؤنب نفسه على غبائه وتسرعه وانتهت الحفلة وانصرف المدعوون ووقف إيهاب ووفاء لمصافحتهم حتى وصل رجائي فقدمت وفاء يدها له بلا مبالاة واستغل رجائي لحظة انشغال إيهاب في توديع أحد الأصدقاء وانحنى أمامها معتذرا ومتوسلا وقال

. أرجو أنك تقبلي اعتذاري على الخطأ اللي ارتكبته في حقك النهاردة

جذبت وفاء يدها فتركها بسهولة وابتسمت وقالت دون أن تنظر تجاهه

. خلاص ما حصلش حاجة وشكرا لتلبية الدعوة

انصرف رجائي وهو يسب ويلعن نفسه بينما أغلق إيهاب الباب لتصرخ وفاء وهي ترتمي بين ذراعيه بسعادة وصاح إيهاب

. يخرب بيت عقلك أنتي جبتيه الأرض

أجابته بغرور

. عيب يا بني ده أنا وفاء جميلة الجميلات

أمسك إيهاب وجهها ولثم شفتيها

***

17

ظلت حبيبة تجوب حجرتها ذهابا وإيابا وهي في شدة القلق وعبيد جالس على طرف فراشه يراقبها بغيظ حتى فقد أعصابه فصرخ

. كفاية بقى اتهدي خايلتيني هو أنتي تعملي المصيبة وبعدين تقرفيني أنا

نظرت له حبيبة بغيظ وقالت

. مصيبة.. هو الخير اليومين دول يبقى مصيبة

أكد عبيد قائلاً

. أيوة مصيبة لما تبعتي ابنك عند ناس لا نعرفهم ولا يعرفونا تبقى مصيبة.. وإحنا مالنا بعاطف وأم عاطف ووردة وما عرفش مين مالنا إحنا

اعترضت حبيبة قائلة

. يا راجل اتقي الله الست قلبها وجعها على ولادها

صرخ عبيد

. وأنتي مالك

فقالت معترضة

. أيوة مالي ونص كمان لما يبقى في إيدينا نوفق الأم وولادها ما نعملهاش ليه

تهكم عبيد

. واتوفقتي يا ختي خلاص أهو إحنا مش عارفين عملوا أيه في ابنك

برطمت حبيبة وهي ترجو الله

. كل خير إن شاء الله

كان اليوم منذ الصباح غريبا بالنسبة لمحمود، ففي الصباح يلتقي بسكيرة عارية وفي المساء اتجه للعزبة وما أن توغل بداخلها حتى بحث عن من يرشده لبيت عاطف وشقيقتيه أشجان ووردة ولغرابة السؤال فمن غير المعتاد إقحام أسماء الإناث في حديث الرجال فكان عليه أن يحسن اختيار من يسأله وبعد تفكير هداه عقله لأن يسأل سيدة أو فتاة فهذا أفضل حسب ما صوره له عقله المجهد وراقب الطريق ولمح فتاة لم يتبين ولم يهتم لملامحها وأن اهتم ولاحظ لكفته عناء ما حدث له بعد أن تقدم بسيارته حتى جاورها ثم قال على عجل حتى تتوقف

. السلام عليكم يا آنسة لو سمحتي ممكن أعرف بيت عاطف وأخته أشجان ووردة فين

توقفت الفتاة لتستجمع أنفاسها المتسارعة وبدون أي مقدمات انطلقت الفتاة تصرخ بصوت عالى

. نعم يا خفيف يا ظريف حضرتك بتهزر ولا بتستظرف يا قليل الأدب

فتح محمود باب السيارة لينزل ويستفسر عما أغضبها وكان هذا التهور الثاني له فما أن فتح الباب وأنزل قدمه اليسرى حتى أسرعت الفتاة وبكل قوة أغلقت الباب على قدمه فصرخ محمود من شدة الألم وضرب مقود السيارة بيده وهو يصرخ وتجمع شباب العزبة وشعر محمود بالسعادة لينقذوه من هذه المجنونة التي تركت الباب وأجابت سؤال الشباب عما حدث وقالت بعصبية وغضب

. البيه بيهزربيسألني عن بيت عاطف وأشجان ووردة

احمر وجه بعض الشباب ممن وجدوا فرصة لإظهار شهامتهم أمام الفتاة وتقدموا نحو فريستهم وفتح أحدهم الباب وجذب الآخر محمود من قميصه وهو في ذهول وأسرع الثالث ليقتنصه من يد الثاني ومد الرابع

يده ليمسك بشعر محمود وأيقن محمود أنه سيتمزق وتوزع أشلاؤه بين الشباب وتمنى لو رأته أمه الآن لتتحسر على ما فعلته به

ووسط صراع الشباب اندفع خامس ليقول للفتاة

. خلاص يا ست وردة اتفضلي أنتي وإحنا هنربيه

أهذه وردة وأي خطأ فادح كانت سترتكبه لو قالت له هذا أكان سيغتصبها من مجرد الكلام وراقب ملامحها وقال

. يا ربي إيه الغباء اللي أنا فيه.. دي أم عاطف بالظبط

تحركت وردة لتبتعد والشاب الأول والثاني والثالث والرابع يرفضون ذهابها قبل أن ترى جثته تمثل بها فأسرع محمود يصرخ

. والدتك جت من مصر وهي اللي بعتاني أقابل عاطف

عادت وردة ووقفت من جديد وفي هذه اللحظة وصل شاب يعدو واندفع وسط الجميع وقبل أن يسأل أي سؤال ليستفسر ويفهم لكم محمود في وجهه فأسقطه أرضا، لم يعرف محمود كم مضى عليه من الوقت قبل أن يستيقظ من إغماءته ليجد نفسه ممددا على أريكة في أحد المنازل ويجاوره الشاب صاحب اللكمة و على مقربة منه تقف وردة.

اعتذر الشاب وعرف نفسه بأنه عاطف وبعد التحية والاعتذار شرح محمود القصة كاملة ولاحظ ترقرق الدموع في عين وردة التي لاحظ جمالها الفاتن البريء وتريث قليلا ثم قال بهدوء موجها حديثه لعاطف

. هو أنا ممكن أسألك عن أشجان

ثم استطرد وهو يحمي وجهه من اللكمة القادمة

. بس من غير ضرب

فلتت من وردة ضحكة فزادت الورد جمالا على جماله وأسرت بها قلب محمود الذي هام في ذلك الجمال البريء فخجلت الفتاة واحمر خداها ونظرت أرضا بينما أسرع عاطف ليجيب

. أشجان أختي متجوزة في السيالة

عاد محمود للأرض بعد أن هام في جمالها وقال بكل جدية

. ووالدك

أجابه عاطف في اقتضاب

. الله يرحمه من سنتين

ترحم عليه محمود ثم قال متوسلا

. طيب ممكن أطلب طلب

أجابه عاطف

. اتفضل

انتظر عاطف أن يسمع أمراً خاص بوالدته إلا أنه ذهل عندما وجد محمود يقول بجديته

. ممكن رغيف وحتة جبنة أصل هقع من الجوع

وانفجر عاطف ووردة في نوبة من الضحك

وأخيرا مع بزوغ فجر اليوم التالي عاد محمود للبيت ووجد حبيبة وقد غلبها النعاس على أريكة الصالة فتقدم منها وهزها برفق فهبت مفزوعة حتى انتبهت وقالت

. محمود حبيبي يا ابني

ثم لاحظت قميصه الممزق وشهقت عندما وجدت عينه اليمنى وقد أحيطت بدائرة زرقاء تعبر عن تلقيه لكمة قوية فصرخت

. حبيبي يا ابني عملوا فيك أيه ولاد ال..... دول

أوقفها محمود بإشارة من يده وقال وهو يسبح في عالم آخر

. من فضلك بلاش إهانات.. الشتيمة بتأذي ودني وأي صوت تاني غير صوتها هيأذيني.. أنا مش سامع إلا صوتها أنا مش شايف إلا عينيها أنا مش هاكل من النهاردة إلا و عيش وجبنة أحلى جبنة

راقبته حبيبة وهي في ذهول وفاض كيلها فصرخت

. ولا يا محمود حصلك إيه؟

فقال وهو مازال هائما

. قفلت باب العربية على رجلي وشتمتني وأكلتني عيش وحبنة

اقتربت من أذنه وقالت بنفس أسلوبه الهائم

. ودي مين يا حيلة أمك ؟

نطق اسمها . وردة كأنه يتلو قسما مقدسا أو يدعو دعاء متوسلا لتلبيته، واسترسل

. وردة وأحلى وردة وأجمل وردة.. دي غلبت الفل والياسمين

لوت حبيبة شفتيها وقالت بامتعاض

. يا حسرة قلبي عليك وعلي عقلك

انتفض محمود في حركة مسرحية وقال بحماس

. لو سمحت مش عايز أي كلام ولا صوت ولا نفس واسمعي يا أم محمود الكلمتين دول

ضربت أم محمود يدها اليسرى باليمنى وقالت

. سمعني واشجني يا ابن قلبي

أمسك محمود يدها اليمنى ووضعها على قلبه وقال

. قلبي آه من قلبي مش عارف يتلم على نفسه ولا راضي يهدى من ساعة ما أكلتني العيش والجبنة.. آه يا أم محمود قلبي خلاص

ثم انتبه وقال

. ماما أنا عايز اتجوزها

فقالت أم محمود ساخرة

. مين العيش والجبنة ؟

اعتدل محمود واتخذ موضع الجدية وقال

. لا وردة بنت أم عاطف

ضحكت أم محمود وقالت

. أنت يا ولا رايح تصالحهم على أمهم ولا رايح تعلق البت

اعترض محمود

. أعلق مين دي كانت علقتني ونسلت من لحمي نسايل نسايل

أمسكته حبيبة وجلست وأجلسته وقالت

. طيب تعالى جنبي وأحكيلي اللي حصل كله

***

استيقظت أميرة على عجل وأعدت حقيبتها وتسللت لحجرة محمود لإيقاظ أم عاطف وسهر ولم تمض نصف ساعة إلا وتحرك الركب في هدوء لرأس البر، ووصلوا للعشة التي وقعت في مقابل عشة ناني هانم، وانتهت أم عاطف وأميرة من تفريغ الحقائب ودخلت أم عاطف للمطبخ لإعداد وجبة الإفطار بينما أخذت أميرة حماما سريعا وخرجت لترتدي ثوبا أبرز جمالها وتعطرت واتجهت حيث جلس نادر يراقب السماء، شم

نادر رائحتها فأثارته فنظر لها مترقبا فهو منذ الأمس لا يفهمها ولا يعرف رد فعلها فاقتربت منه أميرة وبوجه صارم قالت

. المفروض عليا دلوقتي أني أطلب منك الطلاق

انتفض نادر من جلسته وحاول الكلام إلا أن أميرة بكل حزم وإصرار أوقفته وقالت

. لما حضرتك تكون بتشك فيا وبتخوني يبقى طبيعي أنك لازم تطلقني وأنا عارفة أنك ابن أصول فأنا برفع عنك الحرج وبطلب منك الطلاق

صرخ نادر معترضا

. هو مين اللي خونك أو شك فيكي أنتي بتألفي

وبكل ثقة قالت.

. أُمال تفسر اللي حصل إمبارح بأيه

ارتبك نادر وحاول أن يبحث عن دفاع فهو كان مستعدا للهجوم وانتظر منها أن تدافع عن نفسها وتقسم أنه لا علاقة بينها وبين حسين وأنها لم تشعر به ولم تتأثر لوجوده ولكنها وضعته هو في موضع الدفاع ولم يجد ما يدافع به عن نفسه إلا أن قال

. سمها غيرة أنا إتجننت لما شوفته حسيت بنار لمجرد أن عينك شافته لو أطول كنت قلعت عينك وطهرتها من صورته

احتفظت أميرة بهدوئها وقالت

. الغيرة حب واللي يحب ما يأذيش وأنت آذتني وآذتني قوي مع أنك لو كنت قربت شوية كنت شوفت أن عيني ما شافتش إلا أنت ولا هتشوف إلا أنت لو كنت واثق فيا وبتحبني وعارفني كويس كنت عرفت أنه كان مجرد هوا مر عليا ولا حسيت بيه ولا شوفته لأن ما ينفعش العين اللي شافتك والقلب اللي حبك في يوم من الأيام يشوف أو يحب بعدك كان

لازم تحس أن أنا اتعلمت منك الحب زي ما اتعلمت منك المذاكرة كان لازم زي ما ساعدتني أنجح في الامتحانات تساعدني أنجح وأعيش لحبك.. بس للآسف...

كان نادر يقف مذهولا أمامها كل كلمة كادت تخترق قلبه لم يعد يملك القدرة على المقاومة فأميرة استخدمت كل أسلحة الأنثى الممكنة لهزيمته وأدرك أنه خسر المعركة وكمحاولة أخيرة امسكها بقوة من ذراعيها وقال

. أنا لا يمكن هسمحلك تشككي في حبي ليكي ولا هقدر أبطل غيرة عليكي أنا كده وطبعي كده

أدركت أميرة أن الوقت آن لاستخدام أقوى أسلحة الأنثى

فبكت وانهارت حتى انخلع قلبه وقالت وسط دموعها

. وأنا بحبك بس غيرتك بتأذيني

وهنا أسرع نادر واحتضنها فانتهزتها فرصة ورفعت رأسها لرأسه وقبلت شفتيه بنهم، وأنهت أم عاطف وجبة الإفطار وخرجت تبحث عن الزوجين لتجد أميرة تنام كطفلة صغيرة على قدم نادر الذي انحنى ليقبل وجهها كله فانسحبت في هدوء.

***

ألقت هبة حقائبها بإهمال ونظرت لمرافقها وقالت له

. أنت متأكد أن العشة دي قريبة من اللسان ومن العشة اللي أديتك عنوانها

هز السمسار رأسه مؤكدا وقال

. بصي حضرتك اللسان آخر الشارع ده هتدخلي يمين هتلاقيه والعشة اللي في العنوان برضه في آخر الشارع أهي هناك ظاهر جنبها أهو

نظرت هبة حيث أشار ومنحته حفنه من النقود وفتحت إحدى حقائبها وبحثت داخلها عن فستان مثير فجذبته وألقت الحقيبة مفتوحة بإهمال وارتدت ثوبها واتجهت لحيث أشار لها ، حتى وصلت للعشة المطلوبة وشبت على قدميها لترى أهلها فلمحت أميرة تجلس تلعب مع سهر فنادتها .

سعدت أميرة لرؤية هبة وقفزت لترحب بها ودعتها للصعود وراقبتها أميرة لوهله ثم صاحت

. إيه الهباب اللي أنتي لبساه ده أنتي اتجننتي يا هبه؟

شعرت هبة بسعادة وقالت

. إيه مصيبة صح

تعجبت أميرة وسألتها

. هو إيه أنتي فرحانة !

هزت هبة رأسها بسعادة وقالت

. آه طبعا حد يكره يبقى حلو والناس تبقى هتاكله بعينها

وأسرعت أميرة تصرخ بحدة

. حلو أيه وزفت أيه هو فين الحلاوة دي واللي هياكلك هياكل جسمك العريان وصدرك المكشوف ولا هيبص في وشك ولا هيمه خلقتك حتى لو كنتي شبه إسماعيل يس.. أنتي اتجننتي خلاص

ثارت هبة وقفزت واقفة

. أنتي فاكرة أن ما حدش حلو إلا أنتي

. الله يلعنها الحلاوة لو كانت بالشكل ده.. أنتي جايلك قلب تمشي والناس تنهش في جسمك وأنتي عادي ما فيش عندك مشكلة خالص

اختنقت هبة وأوشكت على البكاء وهي تقول

. تصدقي أنا غلطانة أني دورت عليكي وجيتلك وطبعا كل ده علشان خايفة جوزك لو شافني يجري ورايا

ضحكت أميرة بسخرية وقالت

. جوزي فعلا ممكن يجري وراكي علشان ياخد غرضه منك وأول ما يوصل لك هيديكي ضهره ولا هيعبرك تاني يا غبية

أهكذا أنا جسد بلا روح ولا إحساس، أخلقت لمتعة كل الرجال المحرمين إلا الحلال الذي ألقاني مهملة أيضا ودون أن يقضي مني وطره.

لم تتحمل هبة فانهارت باكية بحرقة اندفعت أميرة إليها فاحتضنتها بحنان فاندست هبة في صدرها عسى أن تسترها عن كل العيون وفي لحظة صدق صرحت

. أنا خنت جوزي مع إيهاب ورجائي حماكي

اهتزت أميرة وانتفضت وأصابتها رعشة وترنحت لكنها تماسكت وجذبتها وهي لا تزال بين يديها تختبئ في صدرها وأجلستها وجلست جوارها وسمعت منها ما أذهلها حتى شعرت بالغثيان وتمنت أن تهم لتضربها وتركلها حتى الموت كانت أميرة تشعر وكأن قطعة من قلبها تتمزق بسكين وهى بين يديها تعترف لها أنها غانية أنها امرأة بلا شرف، شعرت هبة بمعاناة أميرة فقالت ساخرة

. احتقرتيني

هزت أميرة رأسها نفيا وقالت

. لأ وجعتيني

سالت هبة مستفسرة

. وجعتك؟

. قوي

. إزاي؟

. أختي وصاحبتي وكل حاجة ليا باعت نفسها بالرخيص ومش هقدر أكرهها لأنها حتة من قلبي.. ولازم أكرهها.. ومش هقدر أبعد عنها لأن روحي معاها ولازم أبعد عنها.. وجعتيني لما أفتكرتي أنك لوحدك ورحتي تدوري على حد يونس وحدتك وقررتي تسيبيني وحيدة

عادت هبة للبكاء ونظرت لها أميرة متألمة وقالت

. تعبتي.. آه معاكي حق جوزك ظلمك أيوة قوي قوي كمان بس تعالي قوليلي وأنا هعمل المستحيل وأسفرك أو أرجع جوزك أو أسوء حاجة كنت هقف معاكي لغاية ما تطلقي وتتجوزي راجل تاني حسيتي بالحرمان وجسمك ما استحملش طيب والأرملة والمطلقة وبنت البنوت كل دول بيعملوا أيه، الحكاية مش حرمان الحكاية أنك حبيتي تنتقمي منه ومن إهماله فبعتي نفسك بالرخيص...

استمعت هبة لأميرة بانتباه وآثار حنقها أن لاحظت وجود نادر من نافذة حجرته التي تطل على الشرفة الواسعة كان نادر يسمع أن والده خائن ورجل بلا شرف وظنت هبة ظن السوء في أميرة أنها تعمدت أن تفضحها في وجود نادر وحقيقة الأمر أن أميرة نست تماما وجود نادر بالعشة ، وقررت هبة ألا تترك أميرة منتصرة .

فوقفت وقالت بهدوء الأفعى

. كأنك ما تعرفيش أن رجائي بيه حماكي المصون عامل في مكتبه أوضة خاصة لملذاته عايزة تفهميني أنك ما بعتنيش مخصوص له وأنك ما تعرفيش أن ما فيش ست دخلت المكتب ده وخرجت بشرفها

ثارت أميرة وصرخت

. أنتي اتجننتي وأنا ممكن أعمل كده ليه....؟

تقدمت هبة منها وهي تراقب نادر بطرف عينيها وقالت

. عارفة ليه كان نفسك تشوفيني خاينة زي ماخنتي أنتي جوزك مع إيهاب فاكرة ولا ناسية

وبمنتهى القوة صفعتها أميرة على وجهها فترنحت وأوشكت على السقوط لولا أن تمالكت نفسها لتواجه ثورة غضب أميرة التي صرخت

. اخرسي قطع لسانك أنا عمري ما سمحت لجنس بني آدم يلمس حتة من جسمي ولا فردت شعري على كتف راجل إلا جوزي

ضحكت هبة بسخرية وقالت

. ولما تقبلي تسمعي كلام الغزل من راجل غريب ولما تقبلي أنه يحتفل بعيد ميلادك وقال أيه يحطلك الهدية في باتيه عجنه بأيده كل ده وما تبقيش خاينة

حاولت أميرة أن تتماسك إلا أنها لأول مرة في حياتها تشعر أنها امرأة خائنة لقد جلدت هبة لأنها انساقت لغرائزها الجسدية وهي ألم تكن تشعر بالإثارة والسعادة من كلمات إيهاب، إنها رفضت أن تتخذ هبة بعد وإهمال زوجها ذريعة للخيانة وهي أتسمح لنفسها أن تتخذ قسوة نادر ذريعة للخيانة.

لم تتمالك أميرة نفسها فهوت على ركبتيها على الأرض وانهارت في نوبة بكاء ودافعت عن نفسها أمام نفسها هي، ليس أمام هبة، فبدأت تصرخ

. أنا مش خاينة أنا حبيت نادر قوي أنا لغيت شخصيتي وعشت له هو وبس، بس هو قتلني بقسوته عليا كان نفسي اسمع كلمة حلوة ،أنا كان نفسي أحس أني بني آدمة وإيهاب استغل الفرصة

صرخت اميرة

. يبقى أنا خاينة خاينة

ونظرت لهبة التي وقفت متشفية في أميرة وهي تراقب نادر الذي خرج من حجرته وتقدم نحو أميرة

وانتظرت هبة ثورته

إلا أن نادر وقف أمام أميرة التي أصيبت بالصدمة والخوف عندما لمحته وانحنى نادر وأمسك بها من ذراعيها وساعدها على الوقوف وقال بهدوء

. هو أنا كنت زبالة قوي كده أنا سمحت لراجل يستغل مراتي ويسمعها كل الكلام اللي كان المفروض أقولوا أنا، بقى هو يحتفل بيكي يوم ميلادك وأنا أضربك وأطردك عريانة، وقبلتي ترجعي ليا تاني ورضيتي تنامي في فرشتي، وانهمرت دموع نادر وتقطع نفسه وحاول تجميع الكلام حتى قال

. سامحيني سامحيني يا أعظم زوجة على الأرض

لم تعرف أميرة حقيقة مشاعرها الآن هي فعلا أحبت نادر كزوج وليس كحبيب ولكنه برع في تحويل حبها إلى كره ومع ذلك عادت له وقررت أن تطبق مقولة حبيبة فإن أجبرت على العيشة فلنعش صح...

ولهذا قررت أن تبرع في التمثيل وتجيد كلام العشق والهوى الخالي من المشاعر الحقيقية أنها في الصباح وفي هذه الشرفة صرحت بأنها لم تر إلا هو وما كانت إلا كاذبة أقرت له هنا أن حسين مر كالهواء وكذبت فلقد اشتعل قلبها وانتفض جسدها وتمنت لو ألقت نفسها بين يديه، فهي خائنة وكاذبة ولكن الآن وفي هذه اللحظة ملكها نادر للأبد ملك قلبها وروحها وجسدها لقد نست كل الأيام القاسية التي مرت بها بسببه لقد اختزلت رجال الأرض في نادر فقط لقد أصبحت أسيرة له وجارية ملك يمينه وارتمت بين ذراعيه وغابت عن العالم والكون، أصبحت كالطفلة الصغيرة لا بل أصبحت العاصية ونادر شيخها الذي تتوب على يديه لقد أصبح هو ماؤها الذي تتطهر به وبين يديه عاهدت ربها أن تبذل قصارى جهدها لتسعده مهما بلغت قسوته عليها فهي أسيرة فضله فلا وجود على

الأرض لرجل يغفر لزوجته خيانتها وأن كانت بالسمع فقط، أما هبة بعد ان رأت هذا المشهد لم يعد أمامها إلا أن تجمع أذيال الخيبة وترحل وليكن رحيلا للأبد بعيدا عن أميرة...

في العشة المقابلة وقبل الأحداث السابقة بقرابة الساعة أسرعت وجدان الخادمة لتوقظ ناني من نومها فهبت ناني تصرخ في وجهها فهي لم تنم إلا منذ حوالي الساعتين، فحاولت وجدان تهدئة سيدتها حتى استيقظت وقد عزمت أمرها أن كان الأمر تافها ولا يستحق إقلاق نومها فستجلد وجدان عشرين جلدة أو حتى ينقطع لحمها، ونظرت بغضب لوجدان وصرخت

. اتفضلي ارغي قولي أقرفيني

أشارت لها وجدان أن تهدأ وقالت

. عارفة حضرتك العشة اللي قدامنا اللي سكنت النهاردة أنا شفت فيها نادر بيه

هزت ناني رأسها لتستيقظ ثم قالت

. نادر نادر اللي هو نادر رجائي

هزت وجدان رأسها إيجابا وقالت

. أيوة نادر رجائي اللي كان جوزك

ضربتها ناني في صدرها وقالت محتجة

. جوز أيه أنتي صدقتي يا هبلة

ثم هبت من على فراشها وقالت

. أنتي شفتيه بنفسك طب كان لوحده ولا مراته معاه وشكلها أيه بيقولوا حلوة صح...

***

18

أنصتت وجدان لناني حتى انتهى فيضان الأسئلة وقررت أن تروي عطش سيدتها فقالت

. أنا شايفاه بنفسي وهو طالع العشة وكمان نزل جاب حاجات ورجع ومعاه مراته وولاده وواحدة كبيرة باينها أمها ولا خدامة ما عرفش ومراته آه يا ستي لو شفتيها قمر قمر قمر

راقبت وجدان رد فعل سيدتها وتمنت أن ترى في عينيها لوعة أو حزن أو حتى حقد إلا أن ناني كانت تسمعها بكل اهتمام فقط ولم تغضب أو تثر أو حتى تطلب منها أن تصمت بل جذبت وجدان من يدها واتجهت لشرفتها وهي تقول لها

. بجد تعالي وريهالي نفسي أشوفها قوى

شعرت وجدان بالغيظ لبرود نانى

وفي هذه اللحظة خرجت هبة بأذيال خيبتها مطأطأة الرأس راقبتها ناني ثم جذبت وجدان وأشارت لهبة وهي تصيح

. وجدان شايفة اللي نازلة من العشة دي أجري اندهيلها بسرعة

أصيبت وجدان بالارتباك وقالت

. أقولها إيه يعنى؟

زفرت ناني لغباء وجدان وخافت أن ترحل هبة فأسرعت تدفع وجدان للنزول بسرعة وهي تقول

. قولي أي حاجة قولي لها ناني عمرو عايزاكي

وبالفعل نفذت وجدان الأمر وما أن سمعت هبة الاسم حتى تريثت ثواني حتى تتذكر من صاحبة الاسم وأخيرا تذكرت قصتها المعروفة مع

نادر ولكن ما الذي أتى بها إلى هنا هل يمكن أن تكون تتبع نادر أم أن نادر هو الذي يتبعها وأخيرا قررت هبة تلبية الدعوى .

وصعدت هبة لناني التي أحسنت استقبالها وتفحصت ناني هبة بكل دقة وتأملت ثوبها الفاضح وابتسمت وتحولت الابتسامة لهستيريا من الضحك أصابت هبة بالارتباك والخجل وقررت الانصراف غضبا لكرامتها إلا أن ناني أوقفتها وأمسكت يدها وقالت معتذرة

. معلش معلش أصلي ما تخيلتش أن مرات نادر تعرف ناس شيك ومودرن كده خصوصا أني أعرف أنها مقفلة

شعرت هبة بصدق ناني وقررت البقاء فما أسعدها لو أصبحت من المقربين من ناني هانم، وعرضت ناني كأسا من الخمر على هبة التي لم تتوانى لحظة واحدة وقبلته فورا فزادت ابتسامة ناني فبخبرتها أدركت أن هبة حديثة الشرب وقررت ناني ألا تترك هبة فلابد أن لديها الكثير من المعلومات عن أميرة.

وبالفعل وفي المساء كانت هبة قد ذهب الخمر بعقلها وانتهت من سرد تاريخ حياتها وخيانتها لزوجها وكل ما تعرفه عن أميرة وحبها لحسين وحب إيهاب لها، وأدركت ناني أن هبة أصبحت بلا فائدة ولكنها قررت الاحتفاظ بها عسى أن تفيدها أو حتى تؤنس وحشتها، وبطبيعة الحال لم ترفض هبة فعسى أن تجد من أصدقاء ناني من يعوضها رجائي.

اقتحم إيهاب مكتب رجائي معتذرا وظن رجائي أن وفاء قد شكت لزوجها من سوء تصرفه، فرجع بظهره للخلف ولم يطمئن وتهدأ ضربات قلبه المتسارعة إلا عندما بدأ إيهاب كلامه

. يا باشا معلش أنا بعتذر لحضرتك بس أنا بطلب أجازة يومين لو أمكن

تنهد رجائي واستراح وسأل

. خير في حاجة

تنهد إيهاب وقال بحزن

. عقل الستات يا فندم مراتي مصرة نطلع يومين المصيف وأنا قولت لها إن فيه زحمة شغل بس أعمل أيه

ضحك رجائي بسعادة وقال

. وماله حقها ويا سيدي أنا عندي فيلا في إسكندرية أو مطروح تحت أمرها

ابتسم إيهاب وقال معتذرا

. لا كتر خيرك يا فندم إحنا متعودين نروح راس البر أهو منها نصيف ومنها أطمن على والدتي وأختي

زادت سعادة رجائي فلقد قرر أن يلحق بولده نادر وتم إعداد العشة المجاورة لنادر

فانشرح قلبه وقال

. ويا ترى حجزت ولا لسه

أجابه نادر بخجل

. والله أنا وصيت جوز أختي يحجز لنا

ضرب رجائي مكتبه ضربات منتظمة ثم قال

. لا لا مافيش داعي أنا هكلمهم يحجزولك عشة تبعنا وأهو تبقى معايا ما أنا كمان مسافر كمان يومين

انحنى إيهاب شاكرا وانصرف بظهره وهو يواصل الانحناء

وما أن خرج حتى اتجه لمكتبه واتصل بوفاء وقال لها بسرور

. أنت ما لكيش حل فعلا الراجل عرض عليا عشة من عشش كبار الدولة.. بس نفسي أعرف أنتي عرفتي إزاي أنه هيوافق وبعدين أنتي كنتي عارفة أنه مسافر هو كمان لراس البر

ضحكت وفاء بسعادة وقالت بكبرياء

. طبعا هو أنا في حاجة ما عرفهاش

أغلق إيهاب الهاتف وبدأ شعور غريب يتسلل لعقله أنه اعتاد من وفاء القوة والعقل والتفكير الحكيم ولكنه ومنذ أن صرحت له بإعجاب رجائي بها وهو لا يفهمها، نعم أنه يقر بخطئه عندما أصابه الذعر وهي تواجهه بهذه المعلومة ولم يتخيل كيف سيمكنه الدفاع عنها أمام رجائي وهو من هو ولن ينسى نظرة الاحتقار التي رمقته بها حينها حتى ظن أنها النهاية وأنها لا بد ستطلب منه الطلاق فورا إلا أنها وللعجب تريثت قليلا ثم أخبرته خطتها العظيمة في أنها ستملك رجائي وتتحكم فيه بمقوماتها كأنثى وستصبح هي سيدة القرار على أن تحافظ على نفسها جيدا ووثق إيهاب بها فهذا كان بالنسبة له طوق النجاة.

ولكنه يشعر أنها تلاعبه كما تلاعب رجائي وما الداعي لإصرارها على السفر لرأس البر وهي من كانت تكرهها لوجود أهله بها وظن أولا أنها تقصد الاستمتاع بما يستمتع به رجال الدولة وأسيادها ولكنه فوجئ بسفر رجائي فهل تسعى هي خلفه، هل خططت لهذا؟ أم أنها اتفقت مع رجائي وأصبح هو لعبتهم، شعر إيهاب بعقله على وشك الانفجار ولكنه يخشى مواجهتها وإثارة غضبها فربما تشتكيه لرجائي ويقع المحذور فما عليه الآن إلا الاستسلام ومتابعة الموقف.

انتهى محمود من مساعدة حبيبة في تفريغ حقائبها في صوان العشة التي تبعد عن عشة أميرة ببضعة شوارع فقط ، ثم قال فى عجل

. أنا رايح اطمن على أميرة وأعرفها أننا وصلنا

غمزت حبيبة بعينها وقالت

. تطمن على أميرة ولا على حماة المستقبل يا ابن حبيبة

تنهد محمود بحرارة وقال بهدوء

. حماتي آه من بنت حماتي وجمال بنت حماتي

ألقته حبيبة بالمنشفة وهي تقول

. مش لما تبقى حماتك يا منيل امشي غور

خرج محمود فأسرعت خلفه حبيبة تناديه

. ولا يا محمود خد هنا ما قولتليش عاطف وأخواته هيجوا لأمهم إمتى

تنهد محمود لمداعبة حبيبة وقال بولع

. قصدك وردتي

ضربته حبيبة بغيظ في كتفه وصاحت

. أنا قولت عاطف ما جبتش سيرة ورد ولا شوك

ضحك محمود وقال

. آخر الأسبوع إن شاء الله علشان أشجان تقدر تيجي معاهم

ربتت حبيبة على كتفه وقالت

. يلاا مش مشكلة هانت

ثم صرخت بحدة

. أنت لسه واقف روح لأختك وهاتهم علشان يتغدوا معانا أبوك راح حلقة السمك وزمانه جاي

اتجه محمود إلى عشة أميرة ولمحته وجدان فأسرعت لناني التي جلست تحتسي الخمر مع هبة التي اندمجت مع ناني وانتبهت على صوت وجدان

. ست ناني فاكرة الراجل اللي جابك من يومين وعملك كمادات

اعتدلت ناني بسرعة وقالت بإلحاح

. أيوة طبعا ماله

قالت وجدان بانتصار

. شوفته أهو في أول الشارع

قفزت ناني ولحقت بها هبة ونظرت ناني فوجدته أمامها

نعم هو بهيئته وباعتداده بنفسه، ابتسمت ناني والتفتت تبحث عما ترتديه في قدميها على عجل وانتبهت على صوت هبة تصيح

. ده محمود أخو أميرة أنتي تعرفيه يا ناني!

تصلبت ناني في مكانها وازدردت ريقها الجاف وشعرت بالاختناق فأمسكت حلقها وعادت تراقبه فوجدته يتجه فعلا لعشة أميرة.

انهارت ناني في مكانها وجلست هبة جوارها وهي مرتبكة لا تفهم سر تغير ناني وما سر اهتمامها بمحمود.

طلبت أميرة من محمود أن يعود لحبيبة ويحضرها وعبيد لتناول الغداء لديها فالمكان هنا أكثر اتساعا فوافق محمود وأسرع لإحضار حبيبة0

صاحت وجدان بصوت عال تخبر ناني بنزوله مما لفت نظر محمود فاتجه بنظره إلى عشة ناني فالصوت مألوف ثم أنه لا يعرف أحد هنا إلا هي، ابتسم محمود وبكل ثقة اتجه للعشة ووقف عند أول درجات السلم المؤدي للشرفة وأسند يده على سور السلم وقال بصوت مرتفع

. هو في حد بينادي عليا هنا

قفزت ناني مرتبكة وأسرعت لتقف على آخر درجات السلم وقالت بكبرياء

. هو أنت مين أصلا؟

ضحك محمود بشدة والتفت ليرحل وهو يقول

. بتاع اللبن

أسرعت ناني حافية القدم خلفه وهو يمد الخطى وأوقفته وهي تقول

. استنى عندك هو أيه مش تقف كده وتكلمني

نظر لها محمود نظرة أصابت قلبها، فتسارعت دقاته وارتجف جسدها فهي ناني عمرو والجميع يعرف أنها بلا قلب بل هي تابعة لأهوائها ورغباتها أو رغبات من يحتاجها من أصحاب النفوذ أن أجزل لها العطاء ولكن من يكون هذا ليفعل بها وبقلبها ما يفعله، وأوشكت على البكاء غيظا فحاولت التورية فصرخت بحدة

. أنت.. أنت قليل الذوق

انحنى محمود في حركة مسرحية وقال

. من بعض ما عندكم

واتجه للرحيل فأمسكت ذراعه وقالت بغضب

. أنت إزاي تتجرأ وتيني أنت مش عارف أنا مين..؟

ابتسم محمود ودنا من أذنها وهمس

. الجميلة ناني عمرو فواز

وابتسمت ناني في خجل فتاة السادسة عشر وتورد خداها وانحنى محمود أمامها وأمسك يدها ورفعها لفمه وقبلها فارتجفت وأوشكت على

السقوط وتركها محمود تحاول أن تستجمع أشلاءها وانصرف وهي تراقبه وهو يبتعد عنها دون وعي أو إدراك فمازالت تحت تأثير الصدمة وأجمل صدمة مرت في حياتها.

ووقفت في أعلى الشرفة وجدان وهبة تراقبا الموقف ونظرت هبة لوجدان وتساءلت

. هو إيه اللي حصل لناني

وبنفس الحيرة أجابت وجدان

. ما عرفش أول مرة في حياتي أشوفها بالحالة دى

تلمست ناني طريقها بصعوبة حتى وصلت لأولى درجات السلم فارتمت عليها وانهارت باكية...

أنهت وفاء مكالمتها التليفونية وهي تستفسر من محدثها

. يعني أنت هتسافر راس البر ولا لأ؟

وسمعت الرد فقالت

. أيوة طبعا ضروري لازم أشوفك هناك أنا محتاجة لك

وانتهى الحوار وهي تودعه

. خلي بالك أنا بحذرك لو ما جتش أنا هقلب الدنيا وأنت عارفني مجنونة وأعملها ومش هسمح لحد يستغلني أبدا أنا وافقت أساعدك بس علشان مصلحتك أتوفقت مع مصلحتي وبس.. أظن واضح ومش أنا اللي حد يعاملها بالشكل ده.. يا ريت تكون فهمت.

وأغلقت الهاتف واتجهت للمرآة تراقب نفسها وتتأمل وجهها وهي تحاول السيطرة على غضبها فلم تتمكن من كبح غضبها فضربت الحائط بيدها فآلمتها فأمسكت يدها باليد الأخرى وهي تبكي وانتهت على صوت

المفتاح ينبئ بوصول إيهاب فمسحت دموعها بسرعة واعتدلت لتقف في كبرياء وتقدم إيهاب منها ولاحظ آثار الدموع في عينيها فسأل بلا مبالاة

. خير مالك؟

زمت وفاء ما بين حاجبيها فطريقته غير معتادة فأجابت وهي تراقبه

. ما فيش حاجة عادى

هز رأسه وانصرف وهي ما زالت تراقبه ولكنه توقف فجأة وسألها دون أن يلتفت إليها

. هو أنتي عرفتي منين أن رجائي بيه مسافر رأس البر

لبثت وفاء لبرهة تفكر وقلبها ينبض بالأمل هل فاق إيهاب وقرر أن يقف في مواجهة رجائي ويثور لكرامته وشرفه فابتسمت على أمل وأسرعت إليه ووقفت أمامه وقررت أن تختبره فقالت وهي تدعي الغضب

. سمعته يوم العزومة.. بس عموما مش هتفرق لأني غيرت رأي ومش هسافر خلاص

انتفض إيهاب وارتبك وراقبت وفاء رد فعله كما تمنت أن يؤمن عليها ويوافقها وأن فعل لاتصلت برجائي لا بل لاقتحمت مكتبه أو حتى بيته وأسمعته مالا يحمد عقباه ولقنته درسا في الأدب والأخلاق، تمنت وحلمت ولكنها صدمت من الواقع وأن زوجها رجل ديوث فأثار غضبها وحنقها وخاصة عندما أسرع يتراجع عن غضبه المفتعل وتوسل لها

. لا يا فوفا يا حبيبتي. الراجل عمل حسابه وظبط نفسه وكلم يوسف وأنا هناك وطلب يحجز لنا عشة جنبه على طول

كتمت وفاء صرخة غضب وجزت على أسنانها وقالت لتشعل غضبه

. براحتك اللي تشوفوا عموما أنا اشتريت قميصين نوم تحفة بالألوان اللي رجائي بيحبها

أطعنته الآن بدم بارد؟ هل تقصد ما قالته فعلا؟ هل قررت الاستسلام لرجائي لقد وعدته أنها ستتخذه لعبة لتكفيه شره ولا يمنع من تحقيق بعض المكاسب ولكنها تقر أنها ستسلم نفسها إليه ورمقها ليجدها تقف في كبريائها المعهود أمام المرأة تتأمل جسدها وتكشف صدرها وتتفحصه وكأنها تتأكد من جودة وسلامة بضاعتها فأثارت غضبه وتملكته رغبة في أن يمسكها من عنقها ويخنقها أو فليمنعها ولكنها طلبت عدم السفر هل تلاعبه أم ماذا؟

وصرخ يصارع نفسه:

. واقف ليه اغضب زعق شدها من شعرها اضربها امنعها قولها مش هنسافر متسافرش متسافرش يا إيهاب...

وبكل الوهن والذل رد على نفسه:

. ما أقدرش أنا مش قده مش قد رجائي وهي وعدتني أنها مجرد لعبة

. وواضح أنها قررت تسلم نفسها هتعمل أيه هتوافق ولا هتمنعها و هتقتلهااهجم عليها واخنقها اضربها اجلدها خليك راجل

. مش هقدر ممكن تشتكيني لرجائي وتقلبه عليا

. وأيه اللي يخوفك حتى لو سجنك أو عذبك أو حتى قتلك هتبقى مت راجل

. وأموت ليه؟

. علشان تحافظ على عرضك

. ما هي لو التزمت بوعدها وقضتها كلام وبس يبقى خلاص

. هو أيه اللي خلاص هتقبل مراتك تسمع كلام الغزل من راجل غريب هتقبل أنها تقعد قدامه وهو يبص لها ويملي عينه منها ويتفرج على جسمها وأنت عارف وساكت أنت خلاص يا ابن البلد يا راجل بقيت

ديوث للدرجة دي أنت جبان وضعيف طيب زعلان ليه بقى أهي قررت أنها ما تبقاش لعبة ولا مجرد كلام وبتقولك صراحة أنها اشترت له قمصان نوم بالألوان اللي يحبها يلا يا عم القرني فكر في مكاسبك الجديدة هتبقى قد أيه...

كاد قلبه يقفز من صدره وبانفعال غير محسوب أسرع إليها وجذبها بقوة وهي تتوسل لله أن يضربها ويثور عليها ولكنه وبمنتهى الحيوانية شق عنها ثوبها وقرر أن يغتصبها قهرا وعدوانا على الأرض ودون أن يمنحها حق القبول والاستمتاع تركته وفاء ليعبث كما يشاء بحيوانية ثم فجأة دفعته بقدميها بكل قوة فألقته أرضا جوارها.

وبكل شموخ هبت واقفة وجمعت أشلاء ثوبها وصاحت به

. فوق يا إيهاب لنفسك مش وفاء اللي تعمل حاجة غصب أبدا فاهم يا ريت تفهم كويس أنا ما حدش يقدر يغصبني على حاجة ولا علشان خاطر حد لا زوج ولا بنت أنا مستعدة أحط الكل تحت رجلي ما هو ما حدش في العالم أهم مني ومش هحب حد أكتر ما هحب نفسي وإلا أبقى مريضة محتاجة تتعالج...

"ما حدش يقدر يغصبني على حاجة" ترددت أصداء الجملة في عقله وهو ملقي كالمهملات على الأرض بعد أن تركته وانصرفت لحجرتها، ماذا تقصد؟ كل المؤشرات توضح أنها قررت الخيانة بمحض إرادتها ولكن لم يدعوها خيانة؟ فهي لم تخنه وإنما ستسلم شرفها بعلمه وتحت سمعه وبصره وضحك من نفسه ستسلم شرفها هي نعم أليس شرفها هو شرفه وعرضها هو عرضه وسجد إيهاب على الأرض عسى أن تخفيه الأرض بترابها عن حقيقته المهينة.

***

19

أشرق صباح يوم جديد على أجمل المدن المصرية وتألقت عروس الدلتا بجمالها الفتان وغار نور الشمس من نورها فقرر أن يشد من حرارته عسى أن يمنع مريديها من اللجوء إليها ولكن لم تمض بضعة ساعات حتى امتلأت شوارعها وشواطئها بمحبيها وعاشقيها.

وهناك حيث تتلاحم المعجزة الإلهية ويتلاقى النيل الخالد مع البحر الثائر دون اختلاط،جلست ناني مجاورة لمحمود وقد احتضنت يده وضمتها لصدرها وترقرت دموع الغانية وسألته بكل دلال

. إيه اللي جابك النهاردة

رفع يدها بحنان ولثمها وقال

. حسيت أنك محتاجة لي

تنهدت تنهيدة شوق وحرمان وقالت

. أنا كنت محتاجة لك من زمان قوي قوي فعلا كانت حاجات كتير في حياتي هتتغير

ضمها محمود لصدره في حنان

وانقضى من الوقت ما انقضى فلا يعنيها كم مضى ولكن يشغلها كم بقى لها وهي بين يديه وكأنها شعرت بقرب الرحيل فلقد أزاحها عنه برقة وهمس في أذنها لازم أنزل حالا قبل الناس ما تصحى وتفوق

أمسكته كطفلة فلا يعنيها كلام الناس أبدا وهي حرة وتملك حريتها فقالت باعتراض

. أنا ما ليش دعوة بالناس وما لهمش حاجة عندي

ابتسم محمود بحنان وقال لها

. أنتي نسيتي أنك لسه على ذمة جوز أختي وأنه ما طلقكيش

انتفضت ناني وتحولت نظرتها للذعر والخوف من أن تفقد محمود وقالت بقلق

. هو أنت عارف؟

ضحك محمود وقال

. هو مين في مصر لسه ما عرفش

ترددت كثيرا وحاولت أن تتكلم تمنت أن تفرغ ما في جوفها من حقيقة إلا أنها لن تضمن رد فعله حينها فالأفضل أن يبقى على ظنه بأنها زوجة لنادر ولكنه سيرحل إذا لابد أن تجبر نادر على أن يطلقها أمام الجميع فحزمت أمرها وعلى من ورطها هذه الورطة أن يخرجها منها وإلا فضحت الأمر للجميع.

وتركها محمود واتجه لعشه عبيد وفي الطريق لمح رجائي بيه يراقبه بحذر من شرفته وابتسم له محييا، واطمأن رجائي لرحيل محمود والتف تجاه عشة معشوقته وفاء التي يبدو أنها ما زالت خالدة في نومها ولم تمض دقائق حتى فتح الباب وطلت وفاء بقميص نوم وردي اللون أخفت معالمه بـ"روب" يماثله في اللون فأكسبها مظهرا ملائكيا فردت يديها بكسل ورمقت رجائي ونظرته المتوسلة فاستدارت بلا مبالاة...

شعر رجائي بقمة الغضب فرجائي باشا لا تعامله أي أنثى بهذه الطريقة أبدا ولن يقبلها وفكر أن يقتحم العشة ويجرها من شعرها جرا وما عليه إلا أن يأمر إيهاب ويوسف تابعه المخلص الذي لا يفارقه بمنع أي متدخل أن صرخت أو استغاثت وراقته الفكرة وضحك لفكرة إجبار إيهاب على إخلاء الجو له ولم يوقفه عن فكرته المجنونة إلا وجود زوجته اعتماد هانم وولده تامر المضرب عن الزواج إلى الآن ووجود نادر وأميرة في العشة الملحقة بهم وتذكر أميرة وقفزت لذهنه صورتها وتخيل جسدها

الناصع البياض في الحمام فهز رأسه وكاد أن يضربها بالحائط وأشغل عقله المريض بوفاء ونزع عنها قميصها في خياله...

وانتصفت الشمس واستيقظ الجميع وخرجت أميرة ترتدي عباءة لا تظهر منها إلا ما أحل فقط فلم ينازعها أحد جمالا وأشرقت ابتسامتها وهي تقفز سلالم عشتها وتصعد لعشة رجائي بسعادة وتنحني لتقبل رأس رجائي الذي احتضنها بحرص وحذر وتعالت ضحكتها وهي تراه وحيدا فقالت

. طيب قولي يا بابا أنك صاحي كنت بعتلك ساهر يسليك

ضحك رجائي رغم تعجبه فلأول مرة تدعوه بابا وأقنع نفسه أنه هو هكذا وهي ابنته نعم ابنته ولن يقبل غير ذلك أبدا وابتسم قائلا

. يا ريت ده أنا كنت هطق

وفجأة تبدلت فرحة أميرة وانقلبت عبوسا عندما رأت وفاء تخرج بصحبة إيهاب من العشة المقابلة، استدارت أميرة بسرعة وظهر على وجهها الغضب وراقبها رجائي وكذلك وفاء التي ارتدت ثوبا مثيرا وتعمدت وفاء أن تصيح بصوت مرتفع

. أميرة أزيك إيه مش تسلمي ده إحنا عشرة برضه وكنا هنبقى شركة في قلب واحد

أغمضت أميرة عينيها لتتحكم في غضبها وقبضت يدها بقوة وزفرت ثم رسمت ابتسامة ببراعة والتفتت وهي تواصل الابتسام

. فوفا دي مفاجأة لأ بجد مفاجأة

سندت وفاء يديها على سور الشرفة فكشفت مابين نهديها وضحكت بغرور وقالت

. طبعا مفاجأة حلوة بس هو رجائي وتريثت كعادتها ونظرت لرجائي وهي ترفع حاجبها واسترسلت

. بيه ما قالكيش إننا هنا

انتفضت أميرة ونظرت لرجائي متسائلة

أصيب رجائي بالارتباك ولكنه أبدى تماسكه ومن داخله اشتعل غيظا وتمنى أن يستفرد بوفاء فهذه السيدة كارثة متحركة وعاد لينظر لأميرة وقال بلا أي اهتمام

. عادي أصل إيهاب بيشتغل عندي محاسب وتعمد أن يرفع صوته قائلا

. أنتي عارفة أنا بحب أحسس الموظفين اللي بيشتغلوا عندي أنهم زيهم زينا

وضحك بصوت مرتفع

. برضه الطبقات الكادحة دي حقها تحس إحساس الناس الذوات برضه

انطلقت من وفاء ضحكة عاهرة فأشعلت رجائي وأميرة حتى إيهاب غيظا والتفتت لتحتضن إيهاب وهي تدفعه أمامها قائلة

. يلا يا هوبتي نفطر فطار الطبقات الكادحة ولا أقولك أنا عايزة أفطر باتيه وكرواسون

ورمقت أميرة بطرف عينها وغادرت

أسرعت أميرة عائدة إلى عشتها وهي على وشك البكاء لتصاب بصدمة جديدة عندما وجدت في العشة المقابلة ناني التي وقفت تتبع أميرة بنظرها فعادت أميرة لرجائي وصاحت به لتتأكد فهي لم يسبق لها أن رأت ناني إلا في صفحات المجتمع وهز رجائي رأسه مؤكدا لها صحة المعلومة

انهارت أميرة وأسرعت لعشتها واقتحمت حجرة نادر الذي جلس في فراشه وفجأة وجد أميرة تفتح الصوان وألقت حقيبة الملابس على الفراش وبدأت تجمع ملابسهم، انتفض نادر وهب واقفا على ركبتيه على الفراش وسألها

. أميرة مالك في إيه؟

لم تجبه أميرة بل بدأت تبرطم لنفسها بصوت عال

. لأ ما هو مش ممكن إيهاب ووفاء وناني في مكان واحد لأ دي مؤامرة عليا أنا مش هقدر استحمل لأ.. وليه استحمل وإزاااي إزاااي

والتفتت لنادر وصرخت

. ما هو أكيد هبة الحيوانة قالت لأبوك على إيهاب أنا واثقة أنها قالتله يقوم هو يشغله عنده لأ ويجيبه هنا قدامي كمان

صدم نادر وتوقف عقله عن الكلام ولم تصبر أميرة فأكملت

وفي العشة اللي قدامنا ألاقي ناني عمرو فواز يبقى اللي بيحصلنا ده أيه فهمني يا نادر فهمني علشان خاطري

أسرع نادر واحتضنها بحنان وأجلسها لتهدأ ونادى لأم عاطف لتجالسها حتى عودته، أمسكت أميرة بيده كالأطفال وصاحت به

. نادر سايبني ورايح على فين

عاد نادر وربت على كتفها وانحنى ليقبل رأسها بحنان وقال

. ما تخافيش أنا رايح لبابا وراجع على طول

تزاحمت الأفكار والظنون في عقل نادر وهو يتقدم بخطوات سريعة لعشة والده كاد عقله أن يجن وحاول أن يبعد عنه سوء الظن فمنذ أن تزوج أميرة وهو يلاحظ نظرات والده الغريبة لها حتى أيقن أن والده لا يحب أميرة فطوال وجودها معه في مكان به والده تحول وجه والده

للكآبة والغضب ظن المسكين أن والده كاره لأميرة حتى أنه يحاول التخلص منها باستدعاء إيهاب أمامها لربما آثار وجوده مشكلة بينها وبين نادر أو تخطئ أميرة وتندفع في علاقتها مع إيهاب، وقف نادر يلتقط أنفاسه المتسارعة من شدة غضبه...

لم يفهم المسكين أن والده ما أصابه التجهم والغضب إلا لوجوده هو مع أميرة في مكان واحد فمجرد أن يتصور رجائي نادر مع أميرة حتى يكاد عقله أن يجن وأسعد لحظاته حين يحدث الشقاق بينها وبين ولده فهذا كان يقربه من هدفه فحلم رجائي أن تطلق أميرة من زوجها وتصبح مكسورة فيندفع هو بكل شهامة أو بكل جبروت أن امتنعت حتى يحصل عليها ولم يردعه إلا لحظة إحساسه أنه سيفقد نادر للابد

فلو علم نادر ما كان يضمره والده له ولزوجته لعلم أن غضبه من وجود إيهاب أهون الضرر، وانتظم تنفسه وصعد لشرفة العشة فوجد والده يجلس ممددا على أريكة يطالع صحيفته تجاوره اعتماد فتقدم بهدوء وسأل والده بصوت خفيض

. بابا هو أنت شغلت إيهاب ده عندك من إمتى؟

أجابه دون أن يرفع نظره عن صحيفته

. قريب مش من كتير

زفر نادر بضيق وعاد يسأل في همس

. بس حضرتك عارف علاقته بأميرة

حاول رجائي أن ينهي الحوار بإحراج نادر فرفع صوته قائلا

. يعني إيه علاقته بأميرة مش فاهم

أدرك نادر غرض والده فكعادته يستخدم أسلوب الإحراج ليسرع محدثه بغلق الحوار إلا أن نادر لم يعد الشاب الصغير الذي يخاف

الإحراج أو يخشى والدته وعقابها وقرر مجاراة رجائي وليقلب العاقبة على الباغي فقال بصوت مرتفع وبقوة..

. أكيد هبة قالتلك على محاولاته الخسيسة مع أميرة أصل هبة حكت لنا على موقفك معاها ومساعدتك ليها في أزمتها

ولأول مرة يشعر أن ابنه قد كبر وخرج عن نطاق السيطرة فنظراته المتحدية تؤكد أن هبة فضحته أمام ولده ما ألعنها من امرأة وتمنى لو كانت أمامه لمزعها لألف قطعة وألقاها لكلاب الحواري تنهشها.

واعتدل رجائي ليعلن عن استسلامه وجذب نادر ليقربه منه إعلانا عن صحة ما قالته هبة وقال بصوت ليس بمرتفع ولا خفيض حتى لا يثير ريبة اعتماد التي اعتدلت واستعدت للهجوم فما زالت على كرهها لأميرة واعتبارها من عامة الشعب التي لا ترتقي بأولاد الأصول واستجاب نادر لوالده وأنصت له وهو يقول

. الحقيقة أنا اتكلمت معاه وهو اعتذر وأقسم أنه خطأ غير مقصود ووعد بالتزام الأدب ومن غير ما يوعد هو لا يتجرأ أنه يبص لها أصلا فيا ريت تنسى الموضوع ده خالص وتقنع أميرة تنساه

ورمق اعتماد المتحفزة وعلا صوته قائلا

. وبعدين مراتك جدعة وبمليون راجل وألزمته حده وعلمته الأدب

حاول نادر أن يقنع نفسه خاصة عندما قال له والده

. وبعدين أنا محتاج له قوي ده محاسب ممتاز غير علاقته الكويسة في شغله بالحكومة اللي بتنفعنا في شركة ست الكل مامتك يبقى خلاص الشركة واعتماد هانم أهم من أي علاقات شخصية

تراجعت اعتماد وابتسمت في سعادة

جز نادر على أسنانه ونظر لوالده بحظر وسأله

. وناني أيه اللي جابها هنا؟

انتفضت اعتماد ولم تطيق صبرا فصرخت

. ناني عمرو فواز هنا؟

هز نادر رأسه مؤكدا ورمقها رجائي وهو يجز على أسنانه ويقبض على يده، وعاد لينظر لنادر وسأله

. وإحنا مالنا ومالها مش كل واحد في حاله

اندفعت اعتماد بغضب

. يعني إيه الهبل اللي بتقولوا ده أنت ناسي أن ابنك لسه مطلقهاش

اعتدل رجائي وقام واقفا واقترب من اعتماد وقال

. ما أنتي كان في إيدك تمنعي المصيبة دي ما منعتهاش ليه

ارتبكت اعتماد وقالت

. قصدك أيه؟ وأنا أنا أنا كنت همنعها إزاي..؟

ثم صرخت بلا مبرر فجأة

. وبعدين مصيبة إيه اللي بتقول عليها

ضحك رجائي وقال بهدوء

. مالك انفعلتي كده أنا قصدي أنك كنتي تقدري تسيطري على ابنك بدل ما يتهور ويروح يتجوز بنت راجل واطي منحدر الأخلاق زي عمرو ولا أنتي شايفة أيه

وقف نادر مذهولا هو على يقين أن في الأمر سر وسر خطير ووالده يستخدم أسلوب الملاعبة واللهو مع والدته ولكن ما السر؟ ولم انفعلت أمه بهذا الشكل؟ وعن أي مصيبة يتحدث والده وأيقن أن لا جدوى الآن

من الحديث مع والده، فتركه وقد قرر أن يعمل جهده لينتقل من عشته لأخرى في أبعد ما يكون عن هذا العالم الشاذ.

ترك رجائي العشة ليستمتع بترك اعتماد تتلوى غضبا وحيرة فهي الآن على وشك الجنون وتتمنى أن تعرف مقدار ما يعرفه رجائي عن سرها الذي أخفته لأكثر من عشرين سنة.

اتجه رجائي إلى شاطئ البحر ذلك الجزء من الشاطئ المخصص لعلية القوم تجول على غير هدى وراقب الوجوه أنها وجوه مألوفة لديه وأصبح ملزم بتوزيع ابتسامته على الجميع.

وجوه ممسوخة تكتسي بالعزة وباطنها ما أحقره فهناك التي تجلس بكبرياء ألم تخن زوجها مع صديقه وما زالت تقضي أوقاتها عابثة، وتلك الأخرى هناك لم تترك ذا حرفة "سباك نجار كهربائي نقاش" إلا وقدمت له مقابل خدماته ليلة ماجنة فهي تحن لذوي الحرف ممن يماثلون زوجها الأول وكأنها تنتقم من صاحب النفوذ الذي طلقها قهرا من زوجها وتزوجها غصبا، وهذا الذي يشرب سيجاره باستمتاع أهذه سيجارة أم نوع من المخدرات التي أبدعت وأتقنت في تهريبها، وهذا مرتشي وهذا آه من هذا وما أحقره الذي تنازل عن رجولته بسهولة ويسر، ما أسوأه من مجتمع وما أحقرهم من صفوة، وهو أليس فاق الجميع في نذالته نعم هو هكذا...

ووقف يراقب أمواج البحر التي تنساب بكل سهولة ويسر ما أبدع خلق الخالق وما أحوجه لأن يرمي بجسده بين أمواج البحر عسى أن تطهره من ذنوبه ولكن هل تكفي أمواج البحر بل أنه يحتاج لبحور ومحيطات لتطهره من ذنوبه وكبائره فأي كبيرة يا رجائي بيه لم ترتكبها وأسرع يدافع عن نفسه فأنا لم أكفر بربي أبد، كيف؟؟ لقد كفرت بقدرته على ردعك وردع أمثالك، لقد كفرت بوجوده فسولت لك نفسك ارتكاب

الزنا بكل أنواعه وأشكاله، حتى أنك لم تتوانى يوما عن تقديم زوجتك لصاحب نفوذ، لتكفيك شره وتذكر مشهدا لصلاح منصور في أحد أفلامه وهو يقول لمحققه

. وأنا أعمل أيه ومراتي حلوة والكل بيجاملني علشانها

فأسرع المحقق قائلا

. طيب هاتهالي أشوفها علشان أتأكد

ضحك رجائي حتى انحنى راكعا ونسي أنه وسط صفوة القوم المذهولين وأخيرا اعتدل ومسح دموعه، أكانت دموع أم حمم بركان قلبه الثائر.

واستدار ليكمل جولته فلمح وفاء تجلس هائمة مع السحاب ترى فيما تفكر ومن شغل بالها أيمكن أن يكون هو وبحث عن إيهاب حوله فلم يجده فتابع السباحين في الماء وأخيرا وجده يسبح مع ابنته فاقترب من مجلس وفاء بحذر حتى أظل عينيها بظله الذي حجب عنها نور الشمس فانتبهت ورمقته بنظرة غاضبة فابتسم متوسلا ورويدا رويدا تحولت النظرة الغاضبة لنظرة عتاب ولوم وأخيرا وبكل كبرياء أشارت له برأسها لمقعد يجاورها وقالت بغرورها القاتل

. أقعد

استجاب لها كالطفل المطيع أو فليكن أوضح مع نفسه كالعبد الذليل فما أحوجه الآن إلى أن يرمي بجسده أسفل قدميها فما أحقره وشعوره بحقارته جعله في حالة يرثى لها تابعته وفاء بطرف عينيها ثم سألته مباشرة

. أنت عايز مني إيه؟

ابتسم وقد قرر أن يستكمل حقارته ويجازف بسمعته وكأنه يدفع نفسه للانتحار الذي سيكون اختياره الوحيد إذا صرخت وفضحته وسط المدعين الصفوة والتميز واقترب من أذنها وقال هامسا

. عايزك

شعرت بغصة في حلقها ولكنها تماسكت حتى لا يفلت زمام الأمر منها وقالت متحدية وهي تعلم أنها تدفعه للعند والغضب

. ده بعدك وبعيد عن أحلامك

ضحك ساخرا وتحداها قائلا

. أنا لو عايزك هخدك ودلوقتي ووسط الناس دي كلها وما حدش هيقدر يتحرك من على شمسيته وأقولك كمان جوزك نفسه مش هيقدر يتنفس ولا يقربلك إلا بعد ما أشبع منك

عادت تنظر للسماء وقالت بكل عزة

. وأنا مش محتاجة الناس دي كلها ولا جوزي علشان يحميني

والتفتت له فجأة وعيناها تشتعل غضبا وقالت بصوت هادر

. أنا ممكن أغرس أيدي في صدرك لغاية ما أطلع روحك في أيدي

وعادت تنظر للبحر وهي تضحك وأكملت

. هو ليه كل الرجالة متخيلة أنهم أصحاب القوة والقرار.. علي فكرة استغلال القوة هو الحل الأمثل للضعفا والتافهين

ضحك رجائي بصوت مرتفع فما أعظمها من امرأة وما أحوجه لمثلها صاحبة القرار والسيدة وانتهى من ضحكه وعاد ينظر لها بإعجاب وقال

. أنا بقى لا يمكن هكون ضعيف ولا تافه ولا هقربلك إلا لما استأذن وأخبط على بابك وتسمحيلي أدخل وساعتها هخليكي ملكة

قفزت وفاء واقفة وهي تتباهى بجسدها الممشوق وقالت

. أنا مش محتاجة لك ولا لغيرك علشان أبقى ملكة أنا إمبراطورة

انتابت رجائي هستيريا جديدة من الضحك.

***

وقف محمود في شرفة عشتهم يتأمل النجوم التي أطلق سواد الليل سراحها، وتذكر وردة، آه يا وردتي الجميلة ومنى نفسه بانقضاء الليل حتى يحل النهار محله فعندها ستهل عليهم وردة وأشقاؤها للقاء أم عاطف فهو الموعد المرتقب.

واقتحمت عليه أفكاره صورة ناني المتيمة عشقا فيه، فتحسس محمود مقعدا وجلس وقد أسند ظهره ورأسه للخلف يبث همه للنجوم فهو إلى الآن لا يفهم كيف اندفع وقبل عرض رجائي بيه وأغمض عينيه ليسترجع شريط ما حدث سابقا0

كان محمود يستعد لمغادرة عشه أميرة فوجد رجائي بيه أمامه حياه بلا اهتمام ولكن رجائي ناداه قائلا

. محمود أنا عايزك في موضوع مهم ممكن ثانية

لم يملك محمود أي مبرر للرفض فانتقل لعشة رجائي وجلس أمامه وانتظر ثواني حتى بدأ رجائي الكلام فقال

. بص يا محمود أنا عارف أنك محامي ذكي جدا وشاطر علشان كده هدخل في الموضوع على طول ومن غير أسئلة لغاية لما انتهي من كلامي

ولم ينتظر حتى يحصل على موافقته وكأنه أقر بالموافقة الإجبارية واسترسل قائلا

. أنا عرفت أن ناني عمرو متيمة بيك

ظهر على وجه محمود آثار المفاجأة ولم يكترث رجائي وأكمل

. أنا باختصار بطلب منك تشغلها وبمعنى أدق تجاريها وتمكنها من حبك ومش أي حب كمان يا ريت حب العشق

رمقه محمود بغيظ أيظن أنه مالك للقلوب أو نصب نفسه إلها يقرر من العاشق ومن المعشوق وما هي درجة العشق واستمر رجائي في كلامه دون اكتراث لأي رد فعل لمحمود سواء كان تعجبا أو غضبا وقال

. علشان أريحك هفهمك أيه أسبابي اللي خلتني أطلب منك طلب زي ده وأنا واثق أنك تقدر تنفذه.. أولا أنا فوجئت بوجودها هنا وطبعا لازم أحط في اعتباري أنها ممكن ترجع تشغل نادر وأكيد أميرة أصلا هتضايق لو شافتها فإحنا عايزينك تشغلها معظم الوقت تخلي عقلها وقلبها ما يشوفش إلا أنت وهي جاهزة لده أصلا..

ثانيا وده الأهم أن نادر مش معاه عقد جوازهم العرفي ولا إحنا عارفين مين الشهود ولا أي حاجة وفي إشاعة بتقول أن نادر وقع على تنازل عن شقته وشيك بـ300 ألف جنيه..

كاد محمود أن يتوقف عن التنفس وجحظت عيناه ولكن رجائي استكمل

. أنا مش عارف الحقيقة ولا نادر نفسه فاكر حاجة لأنه حسب كلامه كان سكران إحنا محتاجين نتأكد ومحتاجين أنها تظهر الورقة العرفي وما تستغلهاش لا قدر الله بعد عمر طويل لنادر وتقول ده جوزي وتدخل في الميراث.

مبررات لا تعنيه ولا دخل له فيها ولم يقنعه إلا فكرة شغلها عن نادر لأجل خاطر أميرة واندفع وقبل المهمة وربما من باب التسلية أيضا وتجربة مرافقة ذوات النفوذ إلا أنه يحتقر نفسه الآن فكيف سيواجهها بعد أن تعرف الحقيقة لقد أجاد في أداء دوره وبرع

أمسكت وفاء هاتف العشة وتأكدت أن إيهاب ما زال يلهو مع ابنته بدراجتها بالأسفل وطلبت رقما وانتظرت تسمع صوت رنين الهاتف بالجانب الآخر حتى انتهى فكررت الرقم ثم أغلقت الهاتف بحدة وقوة وصرخت

. والله العظيم لأندمك حتى لو كان ده آخر حاجة هعملها في حياتي، ماشي إن غدا لناظره قريب يا باشا

أسرعت هبة تعدو على رمال الشاطئ الباردة وتنظر لسواد الليل بسعادة، وضحكاتها تدغدغ نسمات الهواء حتى سقطت أرضا فاعتدلت لتستلقي على ظهرها حتى لحق بها رفيقها الذي ارتمى جوارها وهو يشاركها ضحكها، تأملت هبة وجهه بكل الحب وقالت له

. وبعدين يا حبيبي المخفي جوزي هيوصل بكرة والبيه صمم ينزل على هنا على طول

جلس مرافقها وأمسك علبة سجائره وأشعل سيجارة قدمها لهبة وعاد فأشعل الثانية واستنشق نفسا عميقا وأخرجه وجلس يراقب الدخان وهو تذروه الرياح ثم قال

. قولتلك أنا ممكن ما أخرجوش من المطار أصلا

ضحكت هبة ساخرة وقالت

. وأنا قولتلك إننا هنروح في داهية يا حبيبي

واعتدلت جالسة ثم قالت بجدية

. يا روح قلبي قولتلك إن أول ما هيتعرف اللي عملته هتلاقي الدنيا اتقلبت عليك واحتمال كبير عليا أنا كمان فأنسى الفكرة دي لأننا مش هنلاقي اللي يحمينا وتعالى نفكر في فكرة نقدر عليها...

***

20

أقبل صباح الخميس يا له من يوم ارتبط في الأذهان بالراحة والسعادة، وبالفعل كان يوما ستخلد ذكراه للأبد في نفوس ثلاثة شباب حرموا لأكثر من خمسة عشر من الأعوام من حضن الأم باختيارهم واختيارها التي ظلت طوال الخمسة عشر عاما تعاني الندم من سوء الاختيار، واليوم ستكون ذكراه راسخة في قلوب الجميع.

استيقظت أم عاطف باكرا وفتحت أبواب العشة لتسمح لشمس الصباح بالتسلل إلى جنبات العشة، ولحقت بها أميرة التي كانت تعلم بقدوم أبناء أم عاطف اليوم فأسرعت تحتضنها بسعادة وقالت لها

. النهاردة يا حبيبتي تريحي نفسك خاااالص مش عايزاكي تعملي حاجة وماما وبابا ومحمود زمانهم جايين ومعاهم ضيوف عزاز قوى

ربتت أم عاطف على يدها التي تحتضنها وقالت ضاحكة

. يعني الست حبيبة والحاج والنبي حارسه وكمان ضيوف ومش عايزاني أعمل حاجة.. بقى ده اسمه كلام يا ست أميرة

قبلت أميرة كتفها وقالت

. أيوة مش هتعملي حاجة وهتتفضلي تقعدي كمان قدامي هنا

ودفعتها برقة حتى أجلستها وقالت

. أيوة مكانك زي ما أنتي كده بالظبط وأنا ثواني هجهز فطار سريع وخفيف ليا و.....

ولم تكمل أميرة جملتها فقاطعها صوت حبيبة وهي تقول

. فطار خفيف إيه إحنا يا ختي جينا وجايبين فطارنا أقصد ضيوفنا هيفطرونا على حسابهم

ووصلت حبيبة لنهاية الدرج فأسرعت تحتضن أميرة سريعا وانقضت على أم عاطف التي أصابها الذهول وهي تحاول أن تراقب الضيوف المختفين خلف محمود وعبيد.

وأخيرا تقدم محمود وظهر من خلفه عاطف وقد أمسك بوردة بيده اليمني وأشجان باليسرى وتحمل أشجان طفلتها ذات العامين.

وحل الصمت الرهيب والأم تتأمل أولادها وتتفحص ملامح وجوههم وتؤكد لنفسها صدق ما رأت وتعود لتدعي أنها أوهام أو أضغاث أحلام وسالت دموع الأبناء الصامتين، ولم تتحمل حبيبة فأسرعت تحث أم عاطف على الحركة فنظرت لها أم عاطف وهي تشير لأولادها ثم ضحكت ضحكة سريعة وقطعتها قبل أن تكملها وسألت بقلب ملهوف

. أنا صاحية صح

هزت حبيبة رأسها إيجابا.. فعادت أم عاطف لتضحك ثم قالت

. لأ مش صاحية أنا نايمة وبحلم كمان بس والنبي يا رب وحياة سيدي أبو المعاطي ما تصحيني سيبني نايمة سيبني لغاية ما أحضنهم بس وأتملى منهم والنبي يا رب

ألمسهم بس...

سالت الدموع وفاضت وأسرعت حبيبة لتضرب أم عاطف في كتفها بقوة وهي تدفعها تجاه أولادها وتقول

. صاحية يا وليه يا مخبولة ولادك أهم قدامك اجري المسهم واحضنهم واترمي في حضنهم أحسن والنعمة أخدهم وامشي

وفتحت أم عاطف يديها وأسرع الأبناء يختفون بين ذراعيها وطال احتضانها لأبنائها وأخفى الأبناء وجوههم في صدر الأم، حتى تمكنت حبيبة من استجماع قدرتها على الكلام، بعد أن فاضت بدموعها كالجميع حتى

شعرت بانقطاع نفسها فقفزت من مجلسها ونزعت الأولاد برقة من حضن الأم وصاحت بهم

. خلاص خلصنا أهي معاكم ورجعتلكم وهتشبعوا منها المهم تشبعونا إحنا وروني بقى جايبين إيه

ضحك الجميع وأسرعت أشجان ووردة لإخراج ما لذ وطاب من فطير فلاحي وعيش فلاحي ومش وجبنة وعسل، وحبيبة تراقب بعين الحماة وردة ولاحظت محمود الذي فغر فاه بسعادة وثبت نظره على وردة في ذهابها وإيابها فلكزته حبيبة في كتفه

. احترم نفسك يا واد واتلم

اغتاظ محمود وصاح بها

. إيه يا حبيبة بالهداوة عليا شويه ما أنتي عارفة اللي فيها

ثم غير صوته وقال

. هموت يا حبيبة البت جننتني بذمتك مش قمر ومؤدبة

ضربته حبيبة بخفة وقالت

. آه هي مؤدبة بس أنت قليل الربايا اتلم يا واد لغاية ما نفاتح أمها وأخوها

زفر ضيقا وقال

. طب ما يلا اتكلمي

عادت ولكزته في كتفه وقالت وقد نفد صبرها

. يا واد اصبر والنعمة أنت واد مجنون وطاقق

جز محمود على أسنانه وقال

. مااااشي يا حبيبة مااااشي

وأسرع ليجلس جوار والده ومال على أذنه يحدثه فضحك عبيد بسعادة ونادى نادر وحدثه فصافح نادر محمود وضحك وهو يتجه لأميرة فأدركت حبيبة أنه لا صبر لديه وقرر إنهاء الأمر الآن فأسرعت لتمسك زمام الأمور فقالت وهي تحدث أشجان

. أُمال جوزك فين يا حبيبتي؟

ابتسمت أشجان برقة وقالت

. عنده شغل يا خالتي بس هو هيستنانا وإحنا راجعين مع ست الكل العزبة

ربتت أم عاطف على كتفها واحتضنتها بسعادة وأسرعت حبيبة لتسأل عاطف

. وأنت يا عاطف مش متجوز ولا خاطب

وبنفس الأدب قال

. لأ يا خالتي أنا واخد عهد على نفسي أجوز وردة الأول وبعدين أتجوز أنا

ضحكت حبيبة وقالت بسعادة وهي تنظر لأم عاطف

. أصيل يا واد وابن أصول وهي وردة مخطوبة ولا حد متكلم عليها

احمر وجه وردة ونظرت للأرض في خجل وأسرع عاطف قائلا

. اللي طلبوها كتير بس هي عايزة واحد متعلم مش عايزة صنايعي مخها كده، فلسا ما جاش النصيب

نظرت حبيبة لمحمود الذي انشرح صدره وعادت تنظر لوردة وقالت

. متعلم لغاية فين كده يعني ليسانس حقوق يبقى حلو

زاد حمار وجه وردة وارتبكت وفهمت أم عاطف كما فهم عاطف المقصود وواصلت حبيبة

. طيب بقول إيه يا وردتي دوقيني العيش والجبنة بتوعك أحسن محمود من يوم ما داقهم ومخه اتلحس بقى نايم قايم يحلم بيهم

توترت وردة وارتبكت فأسرعت أميرة لإنقاذها وقالت

. يا ماما الرحمة حلوة خفي على البت شوية

والتفتت لأم عاطف وقالت

. إيه رأيك يا أم عاطف محمود عايز وردة.. بنتك إديته علقة بنت حلال وأخدت قلبه فوق البيعة

كانت سعادة أم عاطف لا توصف ففي يوم واحد عاد لها ابناؤها وحققت حلم أي أم بان تعيش لحظة خطبة ابنتها فقالت وقلبها يرقص فرحا

. محمود ابني وزينة الشباب بس أنا ما ليش كلمة والكلمة كلمة أخوها وولي أمرها وأختها الكبيرة اللي ربتها

أسرع عاطف ليقبل يد أمه وقال

. الكلمة كلمتك والشورة شورتك وإحنا تحت رجليكي يا أما

كان نادر في ذهول مما يراه من هؤلاء البشر هؤلاء هم الطبقة الفقيرة المتدنية التي تعمل لدي طبقته كخدم ولكن ما هذه الأخلاق وهذا الأدب، ووقف مع نفسه لحظة وهو يراقب ساهر وسهر وحدث نفسه أنه يتمنى أن يصبحا بتلك الأخلاق وتلك العادات والموروثات التي تقدر وتحترم الكبير التي تبجل معنى الأسرة لقد غضب الأبناء لسنوات على الأم التي تخلت عنهم لكرامتها والآن غفر الأبناء وفي ثانية صعدوا الأم فوق رؤوسهم جميعا وأصبحت صاحبة الكلمة والرأي بينهم.

وها هو عبيد الذي احترم وجوده في بيت نادر فأخذ رأيه في طلب محمود أن يخطب وردة.

من هؤلاء البشر وأين هؤلاء من أسرته التي لا يقدر صغيرهم كبيرهم ولا يحترم وجوده، وعاد ليقارن معاملة حبيبة واحترامها لعبيد ومعاملة أميرة له وبين معاملة اعتماد هانم لرجائي بيه وشعر بأن الله ظل عليه بظله وكان به رحيما أن زوجه أميرة ابنة عبيد وحبيبة.

وضحك بمرارة من نفسه ومن تهوره وزواجه من ناني الزواج الذي لا يتذكره ولا يتذكر هل وقع على عقد زواج فعلا أم لا هل كما أخبره أشرف صديقه أنه وقع على تنازل عن شقته وشيكا أم لا وأن كان فأين هذه الأوراق ولماذا لم تطالب ناني بحقها ولم هذا الصمت الرهيب من عمرو فواز؟ وهل اكتفى بعقاب نادر؟ أم أنه يضمر له سوءا؟ والأهم أين اختفى أشرف صديقه الذي كلما سأل عنه أخبرته أمه أنه سافر للخارج أسئلة كثيرة تحتاج لإجابات...

ولكن الآن فليتمتع مع أسرته الجديدة التي قرر أن ينخرط في حياته معهم وقرر عدم العودة للقاهرة والبقاء جوار حبيبة وعبيد.

وجلس الجميع لتناول وجبة الإفطار معا وانتهى اليوم ليلا وقد تم الاتفاق على عودة أم عاطف مع أبنائها وأن تعقد خطبة الشابين في نهاية الأسبوع التالي، وقرر عقد الخطبة وسط الأهل والأحباب ولأن أميرة علمت صعوبة ذهاب رجائي واعتماد للعزبة فطلبت بكل أدب بعد انتهاء الاحتفال بالخطبة في العزبة أن تنتقل أسرة عاطف وأسرتها لهنا حيث تقيم لهم وليمة للعشاء بحضور أهل نادر.

أسرع محمود ليعترض فهو مطمئن البال الآن لأن ناني أخبرته بالأمس أنها ستقضي يومها مع هبة في عشتها ولكن من يضمن له عدم وجودها الخميس القادم، ولكن عبيد الذي أدرك غرض أميرة واحتراما لنادر وأهله وافق وألزم محمود الصمت الذي ضرب رأسه بكفه.

تجمعت أسرة عبيد وأسرة رجائي في عشة أميرة التي زينت بطريقة بسيطة احتفالا بإعلان خطبة محمود على وردة التي جلست كأميرة في قصص ألف ليلة وليلة وأمسك محمود يدها وعينه تخبر الجميع بمقدار سعادته إلا أن هذه السعادة كان يتخللها لحظات من الشرود والقلق وهو يراقب عشة ناني بكل حذر فكانت أبواب العشة مغلقة تنبئ بغياب قاطنيها، وندم أشد الندم أن قبل هذه الوليمة.

لاحظ رجائي توتر محمود والتفاته تجاه عشة ناني باستمرار فاقترب منه ليطمئنه وأخبره أنه سيكرث أحد الحرس ليراقب الطريق ويخبرهم عند عودتها فابتسم محمود راضيا.

واتجه رجائي لأحد الحرس وقال له آمرا

. أنت عارف ناني عمرو طبعا

هز الحارس رأسه فقال له رجائي

. تمام عايزك تقف جنب عشتها وأول ما توصل تجري عليها وتقول لها أن النهاردة خطوبة محمود أخو مدام أميرة في العشة وتختفي بعدها تماما

حياه الحارس واتجه لحيث أشار له رجائي الذي عاد وعلي وجهه سعادة فاطمأن محمود وابتسم، ورفع يد وردة لفمه وقبلها فصاحت حبيبة مداعبة

. لا وحياة أهلك هي أيه خدوهم في دوكة اتلم يا ولا

ضحك الجميع بسعادة واتجهت أميرة وأم العروس لإعداد المائدة، كانت الأمور تسير هادئة والقلوب ترقص سعيدة، ونادر يمني نفسه بانتهاء الليلة ومن الصباح سيأخذ أسرته وينتقل لعشة أخرى بعيدة وأن

استلزم الأمر سيترك رأس البر تماما، وابتسم في سعادة لوصوله لهذا القرار...

وجلست حبيبة تراقب وجوه الجميع السعيدة إلا وجه اعتماد التي مازالت على وجومها وتعاليها لم تدرك حبيبة أن وجوم اعتماد لم يكن عن كبرياء أو تعالي بل هو توجس بالخوف والريبة، وظلت تراقب رجائي وأبناءها وتسأل نفسها أي مصير سيحل بها أن انكشف سترها وفضحت.

ولم تكن اعتماد وحدها الواجمة بل على مقربة منهم وفي عشة إيهاب قطعت وفاء الشرفة ذهابا وإيابا وهي تشتعل غضبا وحدثت نفسها

. أنا وفاء ترموني للحيوان ده وتهربوا آه طبعا الأول ما تخافيش إحنا وراكي وهنساعدك تجيبيه الأرض لغاية ما أعلقه بيا وبعدين خلاص بح يسيبوني بقى مني له هما متخيلين أني ضعيفة ومش هقدر أجيبهم كلهم الأرض مااشي تمام كده قوى...

خرج إيهاب ووجدها تحدث نفسها بل تتصارع معها فسألها

. مالك يا وفاء في أيه؟

لم تحاول أن تكلف نفسها عناء أن تبدو طبيعية وقالت بحدة

. ما فيش البس هدومك علشان هنروح لأميرة نبارك لأخوها

انتفض إيهاب فزعا إلا أنها لم تمهله فرصة فصاحت بحدة أكثر وهي تأمره

. اتفضل أجهز وإلا هروح لوحدي

أدرك إيهاب أن لا مفر وفجأة وجد أمامه والدته وسهير وحسين فابتسم سعيدا واستنجد بهم إلا أنها أصرت وأصبحت أكثر حزما، وقالت للجميع الذين أصابهم الذهول من حدتها وهي تقول

. كويس قوي أنكم جيتوا في ميعادكم علشان هنبارك لأميرة على خطوبة محمود

ابتسم حسين ساخرا وقال

. هو سيادتك اتصلتي بينا علشان كده لأ الحقيقة إحنا متشكرين قوي اتفضلوا أنتوا وإحنا هنتمشى شوية وابقوا حصلونا على.....

وفجأة صرخت وفاء بهستيريا

. لا أنا قولت هتيجوا معايا يعني هتيجوا وإلا أقسم بالله ما استنى ثانية واحدة مع إيهاب

ارتبك إيهاب وأدرك أن بالأمر شيئا وعلى رغم أنه تمنى أن يصر حسين على رفضه إلا أنه أدرك أن وفاء العنيدة لن تستسلم وربما وجدتها فرصة ونفذت تهديدها حتى تتخلص منه ومن رجائي فلم يجد أمامه إلا أن يساعدها على تنفيذ خطتها الغير مفهومة.

توسل إيهاب لحسين الذي أصر على رفضه وبعد عدة توسلات وافق حسين على مضض على إرسال سهير وعمته على أن ينتظر هو بالأسفل، ووافقت وفاء وهي على ثقة أن حسين سيصعد ويشاركهم عرضها.

اقتحم إيهاب وأسرته حفل الخطبة، تقدم إيهاب على استحياء إلى رجائي إلا أن وفاء نحته جانبا وأسرعت تبارك للعروسين وسط ذهول الجميع وبحثت وفاء عن أميرة بنظرها فلم تجدها فدعتها ونادتها

. يا مدام أميرة يا مدام لو سمحتي شرفينا ثواني بس

هرعت أميرة وصدمتعندما رأت وفاء وإيهاب وكذلك سهير ووالدتها أهي إذا مؤامرة لإفساد الخطبة؟ بل وإفساد حياتها فاحتمت بسرعة خلف نادر الذي كاد أن يهجم على إيهاب لولا أن منعته وفاء ووقفت حائلا بينهم وقالت

. اصبر يا نادر بيه واسمعني كويس وبعدين هنشوف مين اللي يستحق مش الضرب لأ القتل كمان

اسمعوني كلكم هحكي لكم حكاية للأسف مش جميلة

قاطعها رجائي بحدة وهو ينظر لإيهاب قائلا

. إيهاب إيه التهريج والمسخرة دي أنت مش عارف تعقل مراتك ولا أيه.. أنا غلطان أني سمحت لكم تبقوا وسط الطبقة الراقية

استدارت سهير وكلها غضب من وفاء التي عرضتهم للإهانة واتجهت للنزول، إلا أن وفاء صرخت في الجميع

. ما حدش يتحرك من مكانه، ودنت من رجائي وقالت

. الحقيقة حتة الطبقة الراقية دي مشكوك في أمرها وعلى فكرة ما تحاولش تسكتني يا رجائي

وصمتت كعادتها ثم استرسلت

. بيه.. لأني مش هسكت ولا هخاف قولتلك أني ما بخافش من حد ولا على حد والكل هيسمعني بمزاجكم غصبا عنكم هتسمعوني

والتفتت لحبيبة التي بدأت تزمجر غضبا وأسرعت تقول لها

. معلش يا طنط استحمليني شوية بس والله اللي هقولوا مهم جدا وخصوصا أنه يخص أميرة بنتك وجوزها

تنفس رجائي وظن أنها غاضبة من إيهاب ولهذا قررت فضحه أمام أسرته وأسرة أميرة بفعلته الدنيئة مع أميرة فاسترخى وقرر متابعة العرض

وبجلوس رجائي التزم الجميع الصمت وبدأوا الإنصات فاعتدلت وفاء وتوسطت الشرفة واستعدت لعرضها المثير فقالت

. الحكاية بدأت لما الأستاذ نادر حب أميرة وطلبها للجواز...

أميرة بنت الناس الغلابة اللي مش قد المقام واللي اعتماد هانم كانت لا يمكن تقبل ولا تسمح لابنها ابن الحسب والنسب أنه يتجوز من طبقة الغلابة بس رجائي بيه الأب الحنون وافق فورا بلا قيد ولا شرط بس الحقيقة البيه وافق لأن العروسة عجبته وزغللت في عينه..

وهنا هب رجائي واقفا وصرخ في وجهها فالأمر غير ما توقعه تماما وتقدم نحوها لمنعها إلا أنها أسرعت لتقف أمام نادر وصاحت بسرعة

. لازم تسمعني

وبكل إصرار وبنظرات نارية لوالده صاح نادر

. كملي

فأوقف رجائي في مكانه وهو في ذهول من إصرار نادر وحاول أن يثنيه بنظرة توسل

ولكنها أسرعت تقول

. وعلشان يمتع نفسه بجمال العروسة ولأنها مرات ابنه فمش هيقدر يقرب لها ولو مؤقتا قرر أنه يركب كاميرا مراقبة في حمام بيت ابنه علشان يتفرج على الأميرة وهي بتستحمى...

تعالت صرخات الجميع وهجم رجائي على وفاء إلا أن اعتماد رغم صدمتها إلا أنها وجدت فرصتها عسى أن تجد ما ينقذها لدى وفاء فمنعته عنها وصرخت تأمر وفاء أن تكمل ورغم انهيار الجميع وثورتهم وفقدان أميرة لتوازنها واختلالها فأسرع نادر باحتضانها وهو يتابع وفاء التي أجبرت الجميع على التزام الصمت وأكملت

. واستنى سعادته الفرصة علشان يطلقها من نادر ويستفرد بيها بس كل مرة كانت بتتصالح وترجع لجوزها خوف أو حب مش فارق بس كان

دوره كل مرة بتتصالح فيها أنه يخليها تكره ابنه وشجع نادر على قسوته عليها وأخيرا جت الفرصة والبيه الكبير استغل فرصة الخناقة اللي بين أميرة وابنه وقرر أن تكون دي النهاية فكان لازم يقطع خط الرجعة عليهم والطريقة الوحيدة أنه يخونها مع واحدة تانية وهنا اتفق مع ناني هانم عمرو اللي بتحب اللعبة دي قوي...

وتقدمت وفاء من نادر الذي فغر فاه في ذهول وقالت

. أيوة يا نادر بيه أبوك البيه الكبير اللي اتفق مع ناني أنها تشغلك وتتفق معاك على الجواز كان متأكد أن الجوازة مش هتم وأن عمرو بيه هيعمل المستحيل علشان يمنع الجوازة دي بأي شكل...

وتوقفت وفاء عن الكلام عندما وجدت ناني تعتلي درجات الدرج بسرعة ونظراتها الزائغة تدل على سكرها وغضبها الذي اشتعل عندما قابلها الحارس وهي تترنح سكرا في الطريق فأخبرها ما أخبره به سيده فاشتعلت غضبا وها هي تنظر لمحمود شزرا وسط ذهول الجميع وأسرع رجائي وأمسك بيدها فلقد وجد أنه فضح وسط الجميع ولم يتبق لديه إلا فرصة واحدة لمعرفة الحقيقة التي عذبته طوال السنوات الثلاث الماضية هو عمر وفاة والدة ناني التي استدعته قبل وفاتها وأخبرته سرها..

وضحكت وفاء بسعادة وعادت تستكمل قصتها وقد أسرعت تحتضن اعتماد من الخلف التي ترنحت وأوشكت على السقوط وقالت

. عمرو بيه حاول فعلا يمنع الجوازة واتفق مع يوسف سكرتير رجائي والراجل المشترك بين العملاقين رجائي وعمرو أنه يمنع الجوازة بأي شكل بس يوسف عجبته اللعبة وقرر يسيب الولاد يتسلوا بناء على طلب رجائي اللي كان مستني كل ده أن اعتماد هانم تظهر في الصورة وتحاول تمنع هي الجوازة بس اعتماد فضلت مستخبية وخايفة تظهر لغاية ما وقعت المصيبة وناني هانم سكرت وزغلل نادر في عينيها وقررت أنها ما

تستناش نادر يتقدم لها رسمي زي الاتفاق وأخدته وهو سكران على إسكندرية علشان تبدأ شهر العسل ولما نادر فاق أوهمته أنها اتجوزته عرفي وأنه وقع على شيك وباع لها شقته كمان..

والخبر وصل القاهرة عمرو اتجنن واعتماد كانت هتموت فيها صرخت هاتولي ابني اتصرفوا أنا مش هقدر أشيل بنته كانت عايزة رجائي يرجع ابنها بأي شكل والجوازة دي لازم تنتهي بأي طريقة بس رجائي بيه وقف يتفرج عليها وعليهم..

بس عمرو كان لازم يتصرف فبعت أشرف صاحب نادر وطلب منه طلب محدد أنه لازم يخلص على نادر..

تسارعت الأنفاس كلها وأصبح الجميع في ذهول حتى حسين الذي اعتلى درجات السلم وما زال رجائي متشبث بيد ناني التي فاقت من سكرها، أما بطلة العرض وفاء التي أجادت في سرد كل ما أخبرها به يوسف في الأيام السابقة فما زالت محتضنة لاعتماد بطلة قصتها الآن وواصلت الكلام وقد حبست الأنفاس فقالت

. أشرف استغل خناقة ناني ونادر وحاول يقتله بس ربنا كتب عمر جديد لنادر وفاق رجائي لما لقى ابنه بيموت قدامه وقرر أنه ينسى حبه لأميرة ووعد نفسه أنه يرجع أميرة لنادر وحصل.. بس فضل السؤال اللي هيموت اعتماد هانم هو فيه عقد جواز بين ابنها نادر وبين...

وتريثت وفاء ولم تكترث لدموع اعتماد المتوسلة لها ولا لنظرات التحفيز من رجائي لتواصل كلامها وأكملت

. وبين ناني بنتها

عادت الصرخات تتعالى وسط الذهول وشهقت ناني وأسرع نادر الذي ترك أميرة تترنح حتى أسرع محمود وأجلسها.. تقدم نادر من وفاء وابتلع ريقه بصعوبة وتبعه تامر الذي صرخ في وفاء يسألها

. ناني أختي.. أختي أنا إزاي

كانت دموع اعتماد اعتراف رسمي منها بالخيانة.

وواصلت وفاء عرضها وقالت

. اعتماد هانم بنت الحسب والنسب خانت جوزها مع صاحبه عمرو بيه واكتشفت أنها حامل وطبعا اتفقت مع عمرو أن المولود هيتكتب باسم رجائي علشان الفضيحة بس عمرو بيه عمل حادثة والنتيجة أنه مش هيقدر يخلف ولا يتجوز أصلا يعني هيعيش وحيد.. وهو له ابن أو بنت ويسيبه باسم رجائي صديقه لأ طبعا.. طيب الحل بسرعة عمرو بيه راح البلد واتجوز بنت يتيمة وغلبانة اللي اكتشفت أنها هتعيش خدامة وبس ولأنها ما لهاش حد قررت تعيش وتسكت ما هي مش قد عمرو بيه وأعلن عمرو أنها حامل وجت لحظة الولادة اللي صممت اعتماد أنها تولد في المستشفى وولدت بنت جميلة وتاني يوم أعلنت المستشفى أن المولودة اتوفت واتجهزت جثة مولود واتقدمت لرجائي بيه اللي دفنها..

والحقيقة أن البنت اتنقلت لقصر عمرو بيه واتسجلت باسمه وباسم مراته اللي عرفت الحقيقة برضه من يوسف اللي وقع في حبها وعرفها مين أم البنت وقبل ما تموت قررت تكشف الحقيقة لرجائي بيه...

توقفت وفاء لالتقاط الأنفاس واتسعت عين رجائي بسعادة فها هي قد فضحت اعتماد لقد عانى طوال الثلاث سنوات الماضية وخاف من مواجهتها دون دليل فهو لا قبل له بمواجهة عمرو ونفوذه ولا أسرة اعتماد نفسها التي تقدمت نحو ابنها نادر تحاول ان تسترضيه فدفعها بعيدا عنه والتفتت لناني التي أصيبت بالخرس ووضعت يدها على فمها ودموعها تنساب على وجهها.. واقتربت منها اعتماد ففاجأتها ناني بصرخة مدوية

. سيبتيني أعاشر أخويا أنتي أيه

حاولت اعتماد أن تلمسها إلا أن ناني كانت تدفع يدها بعيدا عنها فقالت اعتماد متوسلة

. أنا حاولت أمنع الجوازة وكلمت عمرو ووعدني أنه هيرفض نادر وطمني ولما هربتم على إسكندرية صرخت واتصلت بعمرو وطلبت منه يتصل بيكي أو بالفندق ووعدني برضه أنه هيكلم رجالته في إسكندرية وهيرجعوكوا أنا عملت المستحيل..

والتفتت لنادر وقالت

. أنا حاولت واترجيتك وقولتلك إنها ما تنفعكش وبعدها رحت لأبوك وإتخانقت معاه وعملت المستحيل علشان ترجع

ضحك رجائي ساخرا فانتبهت له وتوجهت لحيث يقف سعيدا رغم فضيحته إلا أن فضيحة اعتماد قد فاقت فضيحته وانشغل بها الجميع فأبت اعتماد أن تتركه منتصرا فصرخت فيهم كلهم وهي تراقب الوجوه

. كلكم شايفيني خاينة أيوة أنا خنت رجائي ومش علشان خيانته ليا كل يوم مع واحدة شكل حتى الخادمات ولا حتى مرات البواب سابها في حالها لأ مش علشان خيانته ليا مع صحباتي لأ خالص علشان هو علمني أخون..

انتفض رجائي مرة أخرى وارتجف جسده من شدة صراخه

. كذابة كذابة وخاينة

ضحكت اعتماد فلقد أدركت أنها أصابته في مقتل وقالت

. البيه المحترم راجل الدولة الوقور كان بيقدمني أنا مراته كل يوم لواحد من الكبار أصحاب النفوذ وكل اللي هو فيه ده ثمن شرفي وشرفه..

أمسك نادر صدره وشعر بوخزة وتمنى ودعا أن تكون تلك النهاية ليتخلص من حياته ومن العار الذي لحق به لاحظه تامر فأسرع له

يحتضنه وانكمشت ناني المتحررة التي عاشت بلا قيود ولكنها الآن شعرت أنها عارية الجسد والكل ينهش في جسدها زاغت عيناها وهي تضم يدها لصدرها وكأنها تستر جسدها وبحثت عن من يحتضنها فوقعت عينيها على محمود الذي كان يرمقها بحزن وألم ورأت يده تمسك يد وردة فتمنت أن تصرخ أن تهرب وبدون تفكير لجأت لشقيقيها الحديثين لها في الأخوة واقتربت من تامر ونادر ورآها نادر فمد يده إليها وأمسكها تامر واحتضنها الشقيقان ليصبحا سترا لها...

كانت الأحداث ذات إيقاع متسارع واختلطت المشاعر والأفكار، ووقف إيهاب وقد انقبض قلبه وانحصر تفكيره في اتجاه واحد فهو لا يعنيه كل هذه المفاجآت ولا كيف لزوجته أن تجمع كل هذه المعلومات والفضائح وكل هذه الأسرار فكل ما يهمه ويشغله هو ماذا سيفعل به رجائي الآن لا بد أنه لن يتركه على قيد الحياة فما ألعنها تلك الوفاء وانتبه هل ستواصل عرضها هل ستفضحه لا يمكن أن تفعلها ولكن لماذا استدعت أمه وشقيقته وزوجها فأسرع إليها ليجذبها وطلب منها الرحيل فهذا يكفي ولتتركهم يضمدوا جروحهم إلا أنها ألقت يده بعيدا واتجهت لأمه ولشقيقته وقالت

. نكمل عرضنا يا نينا.. ابنك المحترم الراجل الوقور وقع في حب أميرة وفشلت قصة حبه بس هو عجبته لعبة الخيانة فقرر يخوني مع هبة صاحبة أميرة بس يا عيني ما ملاش عين هبة فقررت تخلص منه ما لقتش إلا رجائي ينقذها وبالمرة يبقى صاحبها وتعيش يومين لذاذ معاه فاعترفت له بالحقيقة ومحاولة جوزي المصون مع أميرة غضب رجائي إلا أميرة حب قلبه هو سابها لابنه بس لا يمكن يسمح لحد تاني يقرب منها فقرر يستدرج إيهاب لغاية ما يلبسه مصيبة ويعلمه الأدب بس لقى إيهاب ابن البلد الراجل المجدع متجوز واحدة حلوة عجبته زغللت في عينه هي دي اللي هتنسيه أميرة وحبها يعمل أيه يخطط علشان يعرف يوقعها أصل دماغها ناشفة حبتين لأ وشريفة كمان الزوجة حست من نظرات

البيه طلعت تجري على جوزها تقوله علشان يحميها خاف اترعش اترعب...

توقفت وفاء ثواني لتلتقط نفسها وأكملت

. ساعتها بس قررت أني لازم أربيه معلش يا نينا للآسف حضرتك ما ربتيش ابنك.. ولأني مش ضعيفة ولا غبية عرفت أن خبايا رجائي كلها مع يوسف كلمة حلوة ونظرة ويوسف وصلني لغاية عمرو بيه اللي اتفق معايا أشغل رجائي بيه لغاية ما أخليه يركع قدامي وساعتها عمرو هيظهر ويفضحه وكده أكيد هيقضي على نفوذه وفضايحه كلها تبان..

بس عمرو بيه ما حسبش حساب أن رجائي عرف قصة ناني ولما اكتشف أن الفضيحة هتبقى متبادلة قرر يهرب ويبعد ويسيبني أنا بقى مني للبيه.. بس أنا ما يتلويش دراعي حتى لو بموتي..

والتفتت لإيهاب وقالت بحزم

. إيهاب باشا يا راجل بالقوي طلقني فورا

ازدرد إيهاب ريقه وهو ينظر لوفاء متوسلا ويتجنب النظر لأمه التي أسرعت ووقفت في مواجهته وبكل قوتها صفعته بشدة على وجهه وقالت له آمرة

. طلق مراتك حالا

فزع إيهاب فكررت

. بقولك طلق مراتك ولما تبقى راجل وتعرف تصون عرضك وتحافظ عليه يبقى تروح تركع عند رجلها ولو قدرت تنسى وتسامح يبقى ترجعلك قبل كده خلاص ما ينفعش تعيش معاك وهي بتحتقرك وصرخت مرة أخرى بغضب أشد

. طلق مراتك

ألقى إيهاب يمين الطلاق وانهار على الأرض يبكي، التفتت وفاء بكل كبرياء وغرور وألقت على رجائي نظرة تشفي وانصرفت بسعادة لتفر بابنتها للأبد وما أن وصلت لعشتها حتى ارتمت على الدرج وانهارت تبكي.

تقدم نادر وتامر الذي ما زال يحتضن ناني من أمهما وأخذا بيدها واتجهوا لرجائي وترك نادر أمه وأمسك يد والده الذي استسلم ليد ابنه واتجهوا للخارج وفي طريقهم للخارج، مر نادر بحسين الذي ما زال يعتلي أعلى الدرج، نظر نادر لحسين فربت حسين على كتف نادر فرفع نادر يده ووضعها على يد حسين وشد عليها وابتسم بحزن وألم.

فاقت أميرة على رحيل نادر فصرخت منادية له، رفع نادر رأسه وقال لها

. هرجع صدقيني هرجع أول ما ألم نفسي

واتجه بنظره لمحمود وقال

. ما تسيبوش أميرة ولا الولاد خلوها معاكم في وسطكم في دمياط

وعاد يربت على يد حسين وقال

. خلي بالك من أختك أميرة

ابتسم له حسين وربت على يده، وانصرفت أسرة رجائي واتجهوا لسيارة نادر ورحلوا تحت نظر الجميع، وانصرف حسين وزوجته وعمته واصطحب معه إيهاب ليلم أشلاء نفسه الباقية، لم تمض دقائق التف فيها الجميع حول أميرة لمواساتها..

ووسط ذهول الجميع وصدمتهم وقفت سيارة بيجو على ظهرها الكثير من الحقائب مما يدل على عودة راكبها من سفر طويل وفتحت السيارة وترجل منها رجل غريب أسرع محمود له يستفسر عنه، فقال الراكب

. بيت مدام أميرة

هز محمود رأسه فعاد الراكب يقول

. أنا عبد الرحمن جوز هبة صاحبتها أنا لسه راجع ما لقتهاش في العشة وهي كانت بتقولي أنها بتبات عند مدام أميرة لما جوزها يكون مش موجود، هز محمود رأسه نفيا وقال

. لأ الحقيقة مراتك أختي قطعت علاقتها بيها من فترة بس هي كانت قاعدة مع مدام ناني في العشة اللي قدامنا دى

شكره عبد الرحمن رغم ذهوله واتجه لعشة ناني وطرق الباب فتحت له وجدان وهي متأففة أطلعها عبد الرحمن على شخصيته فأصابتها نوبة من الضحك المستفز وأخيرا وبعد أن نفد صبره قالت له

. مراتك هربت مع يوسف سكرتير رجائي بيه

***

عادت أميرة من عملها بعد أن انتقلت وأبناؤها لدمياط ومرت على والدها في الدكان ووضعت أحمالها على أحد الكراسي وجلست لتستريح، تقدم منها محسن ونظر للكتب الموضوعة على الكرسي وسألها

. دي كتب الثانوية برضه

هزت أميرة رأسها إيجابا وقبل أن يعترض محسن على إرهاقها لنفسها دون داع أسرع عبيد وربت على كتفها وقبل رأسها وشجعها ودعا لها، وقفت أميرة بعد أن التقطت أنفاسها وجمعت أغراضها واتجهت للخارج فلقت أمامها حسين الذي تقدم منها وحياها، ابتسمت أميرة وبادلته التحية وقالت

. عمتك عاملة إيه دلوقتي

هز حسين رأسه وقال

. بقت أحسن كتير من الأول

عادت أميرة لتسأله

. وإيهاب لسه زي ما هو

عاود حسين هز رأسه وأجاب

. ضيع نفسه بنفسه ومتخيل أن عمتي هي السبب أن وفاء تضيع منه لأنها أجبرته يطلقها مش قادر يفهم أنها أنقذته من أنه يعيش مع زوجة ما بتحترموش وبتحتقروا

ابتسمت أميرة في حزن واتجهت للرحيل وهي تودعه قائلة

. بكرة يفهم ويتعلم

وصلت أميرة للبيت وقلبها يعتصر ألما وشوقا لنادر لقد حاول محمود البحث عن أي أثر له أو لأسرته ولكن الجميع اختفى ورجائي أرسل استقالته بالبريد وأغلق الشركة ونادر أخذ إجازة طويلة من عمله واختفى الجميع..

فتحت أميرة الباب واتجهت للمائدة في وسط الصالة وألقت أغراضها في لامبالاة وارتمت على أقرب مقعد وأسندت مرفقيها على المائدة وأمسكت برأسها، تقدمت منها حبيبة وربتت على ظهرها وسألتها

. تعبتي في الشغل يا حبيبتي

هزت أميرة رأسها دون كلام فعادت حبيبة تقول

. طيب قومي ادخلي أوضتك دلوقتي

وحاولت أن تساعدها على النهوض ونجحت أخيرا والتفتت لها أميرة وقالت بكل حزم

. ماما أنا مش هدخل امتحانات الثانوية السنة دى

وكأن حبيبة لم تسمع فقالت

. طيب طيب ادخلي أوضتك دلوقتي

وحاولت دفعها، حررت أميرة ذراعها من يد أمها وظنت أن حبيبة معترضة فصرخت

. أنا مش هقدر امتحن أنا مش عارفة أذاكر ولا قادرة أذاكر من غير نادر مش هقدر يا أمي، جاءها صوت من خلفها يقول

. حتى لو ذاكرت لك أنا

التفتت بسرعة وقلبها يدق ودموعها كأنها كانت مستعدة للفيضان ففاضت ورأت أمامها نادر، نعم هو.. نعم أنه نسمات الهواء التي تنعش قلبي ليدق أنه أملي في حياة لا معنى لها إلا وجوده هو، هو معني الحب هو الأمن والأمان..

ورفعت أميرة رأسها للأعلى وفتحت ذراعيها وجرت فكانت كالأسير الذي نال حريته الآن وارتمت بين ذراعيه وانصهرت بين ضلوع صدره، وظل الزوجان لدقائق وكأنهما يستمدا الحياة من جديد، وأخيرا رفعت أميرة نظرها إليه وسألته

. أهلك فين؟

أجابها ونظراته العاشقة تلتهمها

. بابا سافر برة جوال مع نفسه وأمي مع تامر وناني في بيتها في القاهرة

سألته بهمس

. وحبيبي

. بين أيديكي

. ومش هيسيبني؟

. ما بقاش يقدر.. وهتذاكري.. وهتطلعي الأولى

. هنجح علشانك

. وهتبقي دكتورة

. هبقي أميرة في مملكتك

. أحلي أميرة

. بحبك

. بحبك يا أميرتي

تمت بحمد الله